عظات القديس مكاريوس الكبير

ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطى

العظة الأولى
النفس عرش الله وهو قائدها

" تفسير مجازى للرؤيا الموصوفة في سفر حزقيال النبى"

١ ـ يقص حزقيال النبى المبارك، الرؤيا المجيدة الملهمة التي رآها، ووصفه لهذه الرؤيا يبيّن أنها مليئة بالأسرار التي لا يُنطق بها.

لقد رأى مركبة[١] الشاروبيم وهي عبارة عن أربعة كائنات روحانية حية، لكل منها أربعة أوجه، واحد منها وجه أسد، وآخر وجه نسر، وآخر وجه ثور، والرابع وجه إنسان. ولكل وجه أجنحة بحيث لا توجد أجزاء خلفية لأي واحد منهم، وظهورهم مملوءة عيونًا، وكذلك بطونهم مشحونة ومزدحمة بالعيون، وليس فيهم أي جزء لم يكن مملوءاً عيونًا. وكان أيضًا لكل وجه بكرات، بكرة في وسط بكرة وكان الروح في البكرات.

ورأى حزقيال منظر شبه إنسان قدميه كمنظر حجر العقيق (الياقوت) الأزرق. ومركبة الشاروبيم والكائنات الحيّة كانت تحمل الرب الذي جلس فوقهم. وحيثما شاء أن يسير فإنه يسير والوجه إلى الأمام. ورأى تحت الشاروبيم كمثل يد إنسان تسند وتحمل.

٢ ـ وهذا الذي رآه النبى كان في جوهره حقيقيًا وأكيدًا، ولكنه يشير كظل مسبق إلى شيء آخر سرّى وإلهي ـ السر المكتوم بالحقيقة منذ الدهور ومنذ الأجيال (كو١:٢٦)، ولكنه أظهر في الأزمنة الأخيرة (١بط١:١٠) بظهور المسيح، فإن السر الذي رآه هو سر النفس التي كانت ستستقبل ربها وتصير هي ذاتها عرشًا لمجده (مت٢٥:٣١). لأن النفس التي تتمتع بامتياز الاشتراك في روح ونور الله وتتشرب بأشعة جمال مجده غير الموصوف ـ وهو الذي هيأها لتكون كرسيًا ومسكنًا له ـ فإنها تصير كلها نورًا وكلها عينًا! ولا يكون فيها جزءً غير مملوء بعيون النور الروحانية. أي ليس فيها جزءً مظلمًا بل تصير بكليتها نورًا وروحًا، وتمتلئ كلها عيونًا، فلا يكون لها جزءً خلفي بل في كل اتجاه يكون وجهها إلى الأمام بواسطة الجمال الذي يفوق التعبير الذي لمجد نور المسيح الجالس والراكب عليها.

وكما أن الشمس هي بكليتها ذات شبه واحد، بدون أي جزء من الخلف أو من أسفل، بل هي مكسوة بالنور من كل ناحية، وهي بالحقيقة كلها نور، بدون اختلاف بين أجزائها، أو كما أن النار، أي نفس نور النار، هي متشابهة كلها،

وليس فيها أول أو آخر، أو أكبر أو أصغر، هكذا أيضًا النفس التي تتشبع تمامًا بالجمال الذي لا يُوصف، جمال مجد نور وجه المسيح. وتكون في شركة تامة مع الروح القدس وتنال الامتياز بأن تكون محل سكن الله وعرشًا له، فإنها تصير كلها عينًا، وكلها نورًا، وكلها وجهًا، وكلها مجدًا، وكلها روحًا، والمسيح الذي يقودها، ويرشدها، ويحملها، ويسندها، هو الذي يصنعها ويجعلها هكذا وينعم عليها ويزّينها هكذا بالجمال الروحانى، لأن الكتاب يقول: ويد إنسان كانت تحت الشاروبيم[٢] لأنه هو ذاك الذي يركب عليها ويوجهها.

الشاروبيم رمز لقوى النفس :

٣ ـ والكائنات الحيّة الأربع التي حملت المركبة إنما كانت رمزًا للملكات (أي القوى) الحاكمة للنفس. فكما أن النسر هو ملك الطيور والأسد ملك الوحوش الضارية، والثور ملك الحيوانات والبهائم، والإنسان ملك المخلوقات عمومًا؛ هكذا النفس أيضًا لها ملكاتها الحاكمة. وهذه الملكات هي الإرادة، والضمير، والعقل، وملكة الحب. فهذه الملكات تضبط مركبة النفس، وعليها يستريح الله. وبحسب تفسير آخر فإن الرمز يشير إلى كنيسة القديسين في السماء. فكما يُقال هنا إن الكائنات الحيّة كانت مرتفعة جدًا، ومملوءة عيونًا وأنه لم يستطع أحد أن يدرك عدد العيون أو الارتفاع، لأننا لم نُعطَ معرفة، وكما أنه، قد أعطى لجميع الناس، فيما يخص نجوم السماء، أن ينظروا النجوم ويتعجبوا منها، ولكن لم يُعطَ لهم أن يعرفوا ويدركوا عددها، وكذلك هو الحال مع نباتات الأرض، التمتع بها أعطى للجميع، ولكن مستحيل أن يعرف أحد عددها، فهكذا أيضًا الحال فيما يخص كنيسة القديسين في السماء. فالدخول إليها والتمتع بها قد أعطى لكل الذين يرغبون ويجاهدون في طلبها، أما كيفية رؤية وإدراك العدد الذي فيها، فهذا خاص بمعرفة الله وحده. فالراكب إذن تنقله وتحمله مركبة أو عرش الكائنات الحّية التي كلها عيونًا، أو بمعنى آخر تحمله النفس التي أصبحت عرشًا له وكرسيًا، وهي الآن عين ونور. إنه يصعد عليها ويحكمها بزمام الروح ويقودها بحسب فكره هو. وكما أن الكائنات الروحانية الحيّة لم تذهب إلى حيث شاءت بل إلى حيث يعرف ويشاء ذاك الذي يجلس عليها ويوجهها، هكذا الحال هنا، فإنه هو نفسه الذي يمسك الزمام ويقود قوى النفس بروحه، حينما تتجه للسير إلى السماء، فهي تسير حسب قيادته وليس بحسب مشيئتها الخاصة. فأحيانًا يطرح الجسد، ويقود النفس ويأخذها بالفكر إلى السماء، وأحيانًا ـ حينما يشاء هو ـ يأتى بها للعمل في الجسد وشيءونه، وأحيانًا ـ متى شاء ـ يأتى بها إلى أقاصى الأرض ويكشف للنفس أسرارًا بلا حجاب. آه، يا لسموه وصلاحه، ذلك القائد الحقيقى الوحيد (للنفس)!. وبنفس الطريقة، فإن أجسادنا أيضًا ستنال الامتياز في القيامة، بعد أن تكون النفس قد سبقت وتمجّدت منذ الآن على الأرض وامتزجت مع الروح في الحياة الحاضرة.

أنتم نور العالم :

٤ ـ وأما أن نفوس الأبرار تصير نورًا سماويًا، فهذا هو ما أعلنه الرب للرسل، عندما قال " أنتم نور العالم" (مت٥:١٤) لأنه صيّرهم نورًا أولاً، ثم بعد ذلك أمر بأن يستنير بهم العالم إذ يقول " لا يوقدون سراجًا ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضئ لكل من في البيت، فليضئ نوركم هكذا قدام الناس" (مت٥:١٥،١٦).

وبمعنى آخر، لا تخفوا الموهبة التي قبلتموها منى، بل أعطوا لكل الذين يرغبون أن ينالوها. وقال أيضًا " سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرًا. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلمًا. فإن كان النور الذي فيك ظلامًا فالظلام كم يكون" (مت٦:٢٢،٢٣ ، لو١١:٣٤)، فكما أن العينين هما نور الجسد ـ وطالما هما بحالة جيدة ـ فالجسد كله يكون نيرًا، ولكن إن حدث لهما حادث فأظلمتا، يصير الجسد كله في ظلمة، هكذا قد جعل الرسل ليكونوا عيونًا ونورًا للعالم كله. لذلك فإن الرب أمرهم بهذا القول: فأنتم الذين هم بمثابة نور الجسد، إن كنتم تثبتون ولا تنصرفون عنى، فحينئذ يستنير جسد العالم كله، وأما إن كنتم وأنتم النور تكونون مظلمين فما أعظم تلك الظلمة، التي هي ليست شيئًا سوى ظلمة العالم. وهكذا فإن الرسل، إذ كانوا هم أنفسهم نورًا، فقد أعطوا النور لأولئك الذين آمنوا، إذ أناروا قلوبهم بذلك النور السماوي ـ نور الروح الذي كانوا هم أنفسهم مستنيرين به.

المِلح والذبيحة والكاهن :

٥ ـ وإذ كانوا هم أنفسهم ملحًا فإنهم حفظوا وملّحوا كل نفس مؤمنة بملح الروح القدس؛ لأن الرب قال لهم " أنتم مِلح الأرض" (مت٥:١٣)، ويقصد بالأرض قلوب الناس. إنهم أعطوا لنفوس الناس من الداخل الملح السماوي ـ ملح الروح ـ فيملّحونهم ويجعلونهم أحرارًا من الفساد والتعفن، بدلاً من تلك الحالة الكريهة التي كانوا فيها. إن اللحم، إن لم يُملّح، يفسد ويمتلئ برائحة كريهة، حتى أن الناس كلهم يبتعدون من الرائحة العفنة، ويدب الدود في اللحم الفاسد ويسكن فيه ويتغذى عليه ويختبئ فيه؛ ولكن حينما يلقى عليه الملح يموت الدود الساكن فيه وتنتهي الرائحة الكريهة لأن هذه هي خاصية الملح أن يقتل الدود ويزيل الرائحة الكريهة .

وبنفس الطريقة فإن كل نفس لا تُصلّح وتُملّح بالروح القدس ولا تشترك في الملح السماوي الذي هو قوة الله فإنها تفسد وتمتلئ برائحة الأفكار الرديئة الكريهة حتى أن وجه الله يتحول عن الرائحة المرعبة النتنة رائحة أفكار الظلمة الباطلة وعن الشهوات التي تسكن في مثل هذه النفس. والدود الشرير المرعب، الذي هو أرواح الشر وقوات الظلمة، تتمشى وتتجول فيها، وتسكن هناك، وتختبئ وتدب فيها وتأكلها وتأتى بها إلى التحلل والفساد. كما يقول المزمور " قد أنتنت وقاحت جراحاتى" (مز٣٨:٥).

ولكن حينما تهرب النفس إلى الله لأجل الخلاص وتؤمن وتطلب ملح الحياة الذي هو الروح الصالح المحب للبشر، فحينئذ يأتى الملح السماوي ويقتل تلك الديدان المرعبة ويزيل الرائحة النتنة، ويطهّر النفس بعمل قوته الفعّال، وهكذا تصير النفس سليمة صحيحة وحرة من الاضمحلال بواسطة ذلك الملح الحقيقى وتُرد وتُعاد لتكون نافعة لخدمة السيد السماوي وهذا هو السبب الذي من أجله أمر الله، في الناموس مستعملاً الرمز أن كل ذبيحة ينبغي أن تُملّح بملح (لا٢:١٣، انظر مرقس٩:٤٩).

٦ ـ فالذبيحة ينبغي أولاً أن تُذبح بواسطة الكاهن، وتموت، ثم تُقطع قطعًا وتُملّح، وبعد ذلك توضع على النار. فإن لم يذبح الكاهن الخروف أولاً ويموت، فإنه لا يُملّح ولا يُقرّب كقربان محرقة للرب. هكذا نفسنا أيضًا ينبغي أن تأتى إلى المسيح رئيس الكهنة الحقيقى ليذبحها، وتموت عن هوى فكرها الخاص وعن حياة الخطية الشريرة التي كانت تعيشها قبلاً. يجب أن تخرج منها الحياة حياة الأهواء الشريرة. كما أن الجسد إذ خرجت منه النفس يموت، ولا يعود يعيش بالحياة التي سبق أن عاشها، فلا يسمع ولا يمشى، كذلك المسيح، رئيس كهنتنا السماوي ـ حينما يذبح نفسنا بنعمة قوته، ويميتها عن العالم، فإنها تموت عن حياة الشر التي كانت تعيشها، فلا تعود تسمع أو تتكلم أو يكون لها شركة وتوطّن في ظلمة الخطيئة لأن حياتها ـ التي هي الأهواء الشريرة قد خرجت منها بواسطة النعمة. والرسول يصرخ قائلاً: " قد صُلب العالم لى وأنا صُلبت للعالم" (غلا٦:١٤).

فالنفس التي لا تزال تحيا في العالم وفي ظلام الخطيئة ولم تُمات بواسطة المسيح ولا يزال روح الخبث في داخلها، أعنى نشاط ظلمة أهواء الشر التي تتحكم فيها، فإن هذه النفس لا تنتمى إلى جسد المسيح، لا تنتمى إلى جسد النور، بل هي في الحقيقة جسد الظلمة ولا تزال جزءً لا ينفصل من الظلمة. أما الذين لهم حياة روح النور، أعنى قوة الروح القدس، فإنهم جزء لا ينفصل من النور.

٧ ـ ولكن قد يسألنى أحدكم قائلاً: كيف تدعو النفس بلقب جسد الظلمة في حين أنها لم تخلق من الظلمة؟ أصغ لى، وأفهمنى جيدًا. كما أن ثوبك الذي تلبسه قد صنعه آخر غيرك، وأنت تلبسه، وكما أن بيتك قد بناه آخر وأنت تسكن فيه، هكذا حينما تعدى آدم وصية الله وأطاع الحيّة الخبيثة، صار مُباعًا أو باع نفسه للشيطان فاكتست النفس ـ تلك الخليقة الحسيّة التي صورّها الله على صورته الخاصة ـ اكتست بنفس الشرير مثل رداء. لذلك يقول الرسول: " إذ جرّد الرياسات والسلاطين، ظفر بهم في الصليب" (كو٢:١٥)، وهذا هو الغرض الذي من أجله جاء الرب (إلى العالم)، لكيما يطرحهم خارجًا ويسترجع بيته وهيكله، أي الإنسان. لهذا السبب تُسمى النفس "جسد ظلمة الخبث" طالما أن ظلمة الخطية موجودة فيها. لأنها تحيا لعالم الظلمة الشرير، وهي ممسوكة بشدة هناك. لذلك يسميها الرسول جسد الخطيئة أو جسد الموت، قائلاً: " ليبطل جسد الخطية" (رو٦:٦). وأيضًا "من ينقذنى من جسد هذا الموت" (رو٧:٢٤)، ومن الجهة الأخرى فإن النفس التي قد آمنت بالرب وأنقذت من الخطية وأميتت عن حياة الظلمة وقد نالت نور الروح القدس كحياة لها، وبهذه الطريقة قد انتقلت حقًا من الموت إلى الحياة،

فإنها تصرف زمانها بعد ذلك في نفس هذه الحياة، لأنها تكون هناك ممسوكة بشدة بقوة نور اللاهوت. فإن النفس في ذاتها لا هي من طبيعة اللاهوت، ولا هي من طبيعة ظلمة الخبث، بل هي خليقة عاقلة، جميلة، عظيمة، وعجيبة، وحسنة كمثال وصورة الله. وإنما عن طريق التعدى دخل فيها خبث أهواء الظلمة.

ضرورة المجىء إلى المسيح لنموت ونحيا :

٨ ـ إذن فما تختلط به النفس فإنها تكون متحدة معه في حركات إرادتها، فإما يكون لها نور الله في داخلها، وتعيش في النور، في كل الفضائل، وتنتسب إلى نور الراحة. وإما يكون لها ظلمة الخطيئة فتقابل الدينونة. فالنفس التي تشتهي أن تعيش مع الله في الراحة والنور الأبدى يجب أن تأتى ـ كما قلنا سابقًا ـ إلى المسيح رئيس الكهنة الحقيقى لتُذبح وتموت عن العالم وعن حياة ظلمة الخبث السابقة. وتنتقل إلى حياة أخرى وإلى سيرة إلهية. وكما يحدث عندما يموت إنسان في مدينة ما فإنه لا يسمع صوت الناس الساكنين فيها ولا أحاديثهم ولا الضوضاء التي يصنعونها، بل هو يصير ميتًا مرة واحدة، وينتقل إلى منطقة أخرى حيث لا يوجد أصوات ولا صرخات من تلك المدينة التي خرج منها، كذلك النفس أيضًا حينما تنذبح مرة وتموت عن مدينة الأهواء الشريرة التي تسكن وتعيش فيها فإنها لا تعود تسمع في داخلها صوت أفكار الظلمة، ولا يعود يُسمع فيها حديث وصراخ المنازعات الباطلة الشريرة أو ضجيج أرواح الظلمة بل تنتقل إلى مدينة مملوءة بالصلاح والسلام، إلى مدينة نور اللاهوت وتعيش هناك، وتسمع وتستوطن وتتكلم وتشارك، وهناك تعمل أعمالها الروحانية التي تليق بالله.

فلنصلِّ لكى ننذبح بقوته :

٩ ـ لذلك فلنصلِّ لكى ننذبح بواسطة قوته ونموت عن عالم الظلمة الخبيث ولكى يموت فينا روح الخطية، ولكيما نلبس وننال حياة الروح السماوي، وننتقل من شر الظلمة إلى نور المسيح، لكى نستريح في الحياة إلى مدى الدهور. فكما أن المركبات تتسابق في الميدان والمركبة التي تسبق الأخرى تصير لها مانعًا وحاجزًا وعائقًا حتى أنها لا تستطيع أن تتقدم وتصل إلى النصرة، هكذا أيضًا سباق أفكار النفس والخطيئة في الإنسان. فإذا حدث أن سبق فكر الخطيئة فإنه يعوق النفس ويحجزها ويمنعها، حتى أنها لا تستطيع أن تقترب إلى الله وتنال النصرة منه. ولكن حيث يركب الرب ويمسك بزمام النفس بيديه فإنه دائمًا يغلب لأنه بمهارة يدير ويقود مركبة النفس إلى ذهن سماوي ملهَم إلى الأبد. وهو ـ أي الرب ـ لا يحارب ضد الخبث إذ له دائمًا القوة الفائقة والسلطان في نفسه، بل هو يصنع النصرة بنفسه. فالكاروبيم إذن لا تسير حيث تشاء من نفسها أن تسير، بل إلى حيث يقودها ويوجهها الراكب عليها. وهي تسير حيث يريد هو، وهو يسندها لأن الكتاب يقول " ويد إنسان كانت تحتها" (حز ١:٨).

فهذه النفوس المقدسة تنقاد وتسير بروح المسيح الذي يمسك بزمامها ويقودها إلى حيث يشاء ـ فأحيانًا يشاء أن تقيم في التأملات السماوية، وأحيانًا يشاء أن تلبث في الجسد، وهكذا حيثما يشاء هو فإنها تقوم بالخدمة.

وكما أن أجنحة الطائر هي له بمثابة الرجلين كذلك فإن النور السماوي أي نور الروح يمسك بأجنحة الأفكار التي للنفوس المستحقة، ويقودها ويدّبرها كما يعرف هو أنه الأحسن لها.

انظر إلى نفسك جيدًا :

١٠ ـ لذلك فحينما تسمع بهذه الأشياء أنظر إلى نفسك جيدًا، هل أنت حاصل على هذه الأشياء ومالك لها بالفعل والحق في داخل نفسك أم لا؟ فإنها ليست مجرد كلمات تُقال بل هي فعل الحق الذي يحدث في داخل نفسك، فإن لم تكن مالكًا لها بل أنت معدم من مثل هذه الخيرات الروحانية، ينبغي لك أن تكتئب وتحزن وتسعى بلهفة، كإنسان لا يزال ميتًا ومنفصلاً عن الملكوت. وكإنسان مجروح أصرخ دائمًا إلى الرب واطلب منه بإيمان أن يمنحك أنت شخصيًا هذه الحياة الحقيقية .

وحينما صنع الله جسدنا هذا فإنه لم يمنحه أن تكون له حياة، لا من طبيعة الله الخاصة ولا أن يحيا الجسد بذاته، وهكذا دبر له الطعام والشراب واللباس والأحذية، وهكذا عيّن الله له أن يأخذ كل حاجات الحياة من الخارج إذ أنه صنع الجسد نفسه عريانًا. ولا يمكن للجسد أن يعيش بدون الأشياء الخارجة عنه، أي بدون الطعام والشراب واللباس، فإن حاول أن يعتمد على طبيعته وحدها دون أن يأخذ شيئًا من الخارج فإنه يضمحل ويموت. وهذا هو نفس الحال بالنسبة للنفس أيضًا فهي لا تملك النور الإلهي رغم أنها مخلوقة على صورة الله وهكذا نظّم الله أحوالها وقد أراد بألاّ تحصل على الحياة الأبدية من طبيعتها الخاصة، ولكن من لاهوته، أي من روحه، ومن نوره، تنال طعامًا وشرابًا روحانيًا، ولباسًا سماويًا وهذه هي حياة النفس، أي الحياة بالحقيقة.

١١ـ وكما رأينا أن حياة الجسد ليست من ذاته، ولكن من خارجه، أي في الأرض، وبدون الأشياء التي من خارجه لا يمكنه أن يعيش هكذا أيضًا النفس إن لم تولد الآن في " أرض الأحياء" (مز٢٧:١٣) وتستمد غذاءً روحيًا منها وتنمو نموًا روحيًا أمام الرب وتكتسى من اللاهوت بحلل الجمال السماوي التي تفوق الوصف، فإنها بدون ذلك القوت لا يمكنها أن تعيش من نفسها في فرحة وراحة. إن الطبيعة الإلهية فيها خبز الحياة الذي قال " أنا هو خبز الحياة" (يو ٦:٣٥)، " والماء الحىّ" (يو٤:١٠)، " والخمر التي تفرح قلب الإنسان" (مز١٠٤:١٥)، " وزيت الابتهاج" (مز٤٥:٧)، وجميع أصناف طعام الروح السماوي ولباس النور، تلك التي تأتى من الله. وفي هذه الأشياء تكون حياة النفس الأبدية. ويل للجسد حينما يعتمد على طبيعته الخاصة لأنه حينئذ يضمحل ويموت، وأيضًا ويل للنفس إن استندت على طبيعتها الخاصة ولم تضع ثقتها في شيء سوى أعمالها الخاصة، ولم

تنل شركة روح الله، فإنها تموت إذ أنها لم تحصل على حياة اللاهوت الأبدية الممنوحة لها. ففي حالة المرض بالجسد، بمجرد أن يفقد الجسد القدرة على تقبل الغذاء، لا يعود هناك أمل في الشفاء، ويبدأ أصدقاء مثل هؤلاء المرضى وأقرباؤهم ومحبيهم في البكاء وذرف الدموع، وبنفس الطريقة فإن الله والملائكة يبكون على النفوس التي لا تتغذى بطعام الروح السماوي، ولم تأت إلى الحياة في عدم الفساد. ومرة أخرى أقول: إن هذه الأشياء ليست مجرد كلمات تُقال، بل هي عمل الحياة الروحانية، عمل الحق الذي يتحقق في النفس الأمينة المستحقة.

ليكن لنا حسًا سريعًا :

١٢ـ فإن كنت قد صرت عرشًا لله، وجلس فوقك الراكب السماوي، ونفسك كلها قد صارت عينًا روحانية، وصارت نفسك كلها نورًا، وإذا كنت قد تغذيت بذلك الغذاء، غذاء الروح القدس، وإن كنت قد سُقيت من ماء الحياة، وإن كنت قد لبست ملابس النور الذي لا يُوصف، وثبت إنسانك الداخلى في اختبار هذه الأمور بملء الثقة واليقين، فإنك تكون حيًا، بمعنى أنك تحيا الحياة الأبدية الحقيقية، وأن نفسك هي في الراحة مع الرب منذ الآن فصاعدًا. أنظر فها أنت قد قبلت هذه الأشياء من الرب وامتلكتها بالحق، لكيما تحيا الحياة الحقيقية. ولكن إذا وعيت نفسك ووجدت أنه ليس عندك شيء من هذه الأشياء (التي سبق ذكرها) فحينئذ يلزم أن تبكى وتنوح وتحزن لأنك حتى الآن لم تجد الغنى السماوي الأبدى. لذلك ينبغي أن تتوجع بسبب فقرك المدقع، وتتضرع إلى الرب ليلاً ونهارًا لأنك قد سقطت في فقر الخطيئة المرعب.

يا ليت كل إنسان يصير له إحساس سريع وتوجع بسبب فقره، ولا نسير في الحياة بلا مبالاة، مكتفين كأننا قد امتلأنا!، لأن الذي يحس بشدة فقره، ويأتي إلى الرب ويسأله بالصلاة باستمرار، فإنه يحصل على الفداء والكنوز السماوية، كما قال الرب في ختام حديثه عن القاضي الظالم والأرملة " أفلا ينصف الله الذين يصرخون إليه ليلاً ونهارًا، نعم أقول لكم إنه ينصفهم سريعًا" (لو١٨:٧) الذي له المجد والقوة إلى الأبد آمين.

---

[١] حزقيال النبى لم يستعمل كلمة " مركبة " في الإصحاح الأول ولكن الكلمة استُعملت في النسخة السبعينية لسفر حزقيال إصحاح ٣:٤٣.

[٢] حزقيال١:٨ ، يفسر القديس مقاريوس "الإنسان" هنا بأنه المسيح ويد إنسان كانت تحت الشاروبيم لأنه هو الذي يركبها ويوجهها

العظة الثانية

الإنسان العتيق والإنسان الجديد

" عن ملكوت الظلمة ـ أى ملكوت الخطيئة ـ وأن الله هو القادر وحده أن ينزع منا الخطيئة ويخلصنا من عبودية رئيس الشر "

١ ـ إن ملكوت الظلمة، أى الرئيس الشرير، لمّا أسر الإنسان في البدء، قد غمر النفس وكساها بقوة الظلمة كما يكسو الإنسان إنسانًا غيره "لكيما يجعلوه ملكًا، ويلبسونه الملابس الملوكية من رأسه إلى قدمه"[١]. وبنفس هذه الطريقة قد كسا الرئيس الشرير، النفس وكل جوهرها بالخطيئة. ولوثها بكليتها، وأخذها بكليتها أسيرة إلى ملكوته، ولم يدع عضوًا واحدًا منها حرًا منه، لا الأفكار، ولا القلب، ولا الجسد، بل كساها كلها بأرجوان الظلمة.

لأنه كما أن الجسد لا يتألم منه جزء أو عضو بمفرده، بل الجسد كله يتألم معًا، هكذا النفس بكليتها تألمت بأوجاع الشقاء والخطيئة. فالشرير كسا النفس كلها التي هي الجزء أو العضو الأساسي في الإنسان، كساها بشقائه الخاص، الذي هو الخطيئة، ولذلك أصبح الجسد قابلاً للألم والفساد (الاضمحلال).

الإنسان العتيق :

٢ـ لأنه عندما يقول الرسول: " اخلعوا الإنسان العتيق" (كو٣:٩)، فهو يقصد إنسانًا بتمامه، فيه عيون مقابل عيون، وآذان مقابل آذان، وأيدي مقابل أيدي، وأرجل مقابل أرجل، لأن الشرير قد لوث الإنسان كله، نفسًا وجسدًا، وأحدره، وكساه "بإنسان عتيق" أى إنسان ملوث، نجس، في حالة عداوة مع الله، " وليس خاضعًا لناموس الله" (رو ٩:٧)، بل هو بكلّيته خطيئة، حتى أن الإنسان لا يعود ينظر كما يشاء هو بل ينظر بعين شريرة، ويسمع بأذن شريرة، وله أرجل تسرع إلى فعل الشر، ويديه تصنع الإثم، وقلبه يخترع شرورًا. لذلك فلنتوسل إلى الله أن ينزع منا الإنسان العتيق، لأنه هو وحده القادر على نزع الخطيئة منا. لأن الذين قاموا بأسرنا ولا يزالون يستبقوننا في مملكتهم، هم أقوى منا. ولكنه قد وعدنا بأن يحررنا من هذه العبودية المؤلمة. فعندما تكون هناك شمس ساخنة وتهب معها الريح فإن كلاً من الشمس والريح لها كيان وطبيعة خاصة بها، ولكن لا يستطيع أحد أن يفصل بين الشمس والريح إلاّ الله الذي يستطيع وحده أن يمنع الريح من الهبوب، وبنفس المثال، فإن الخطيئة ممتزجة بالنفس، على الرغم من أن لكل منهما طبيعته الخاصة.

٣ ـ فمن المستحيل الفصل بين النفس والخطيئة، إن لم يوقف الله ويسكّت الريح الشرير، الذي يسكن في النفس وفي الجسد.

وكما أن الإنسان إذا رأى عصفورًا يطير، فإنه يشتاق أن يطير هو أيضًا، ولكنه لا يستطيع، لأنه لا يملك أجنحة يطير بها. كذلك أيضًا فإن إرادة الإنسان حاضرة (رو٦:٨) وقد يشتهى أن يكون نقيًا، وبلا لوم، وبلا عيب، وألاّ يكون فيه شيئًا من الشر، بل أن يكون دائمًا مع الله، ولكنه لا يملك القوة ليكون كذلك. وقد

تكون شهوته هي أن يطير إلى الجو الإلهي، وإلى حرية الروح القدس، ولكن لا يمكنه ذلك إلاّ إذا أعطيت له أجنحة (لتحقيق هذه الغاية). فلنلتمس من الله أن ينعم علينا "بأجنحة" (مز٥٥:٦) ، ولكى يفصل الريح الشرير ويقطعه من نفوسنا وأجسادنا، ذلك الريح الذي هو الخطية الساكنة في أعضاء نفوسنا وأجسادنا. ليس أحد إلاّ هو (الروح القدس) الذي يستطيع أن يفعل هذا الأمر.

يقول الكتاب: " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو١:٢٩)، إنه وحده الذي أظهر هذه الرحمة لأولئك الأشخاص الذين يؤمنون به، إذ أنه يخلّصهم من الخطيئة، وهو يحقق هذا الخلاص الذي لا يُنطق به لأولئك الذين ينتظرونه دائمًا ويضعون رجاءهم فيه ويطلبونه بلا انقطاع.

٤ ـ وكما أنه يحدث في أحد الليالى المظلمة الكئيبة أن تهب ريح عاصفة وتحرّك وتفتش كل الزروع والنباتات وتهزها، وهكذا حينما يسقط الإنسان تحت سلطة ظلام ليل الشيطان، ويصير في الليل والظلمة، فإنه يتكدر بواسطة ذلك الريح المرعب ريح الخطيئة الذي يهب (عليه) فيهزه ويقلبه ويفتش أعماق طبيعته كلها: نفسه وأفكاره، وعقله، ويهز أيضًا كل أعضاء جسده، ولا ينجو عضو سواء من أعضاء النفس أو أعضاء الجسد ويبقى بمأمن من الخطيئة الساكنة فينا. وبالمثل فهناك نهار النور والريح الإلهي، ريح الروح القدس، الذي يهب وينعش النفوس التي تكون في نهار النور الإلهي. والروح القدس ينفذ في جوهر النفس كلها وفي أفكارها وكل كيانها، وكذلك ينعش ويريح كل أعضاء الجسد براحة إلهية تفوق الوصف. وهذا هو ما أعلن عنه الرسول عندما قال: " لسنا أبناء ليل أو ظلمة، بل جميعنا أبناء نور وأبناء نهار" (١تس٥:٥).

الإنسان الجديد:

وكما أنه هناك في الحالة الأولى ـ حالة الخطيئة والسقوط ـ فإن الإنسان القديم قد لبس إنسان الفساد بكليته، أى لبس ثوب مملكة الظلمة، ورداء التجديف وعدم الإيمان، وعدم المبالاة والمجد الباطل والكبرياء والجشع والشهوة، وكل الفخاخ الأخرى الوسخة غير الطاهرة البغيضة التي لمملكة الظلمة، هكذا يحدث الآن، فإن كل الذين خلعوا الإنسان العتيق، الذي هو من تحت ـ من الأرض ـ كل الذين خلع عنهم يسوع رداء مملكة الظلمة ـ قد لبسوا الإنسان الجديد السماوى ـ أى يسوع المسيح ـ بكل عضو مقابل (العتيق): عيون مقابل عيون، آذان مقابل آذان، رأس مقابل رأس، ليكون الإنسان كله نقيًا بارتدائه الصورة السماوية.

٥ ـ هؤلاء قد ألبسهم الرب لباس ملكوت النور الذي لا يُنطق به، لباس الإيمان والرجاء والمحبة والفرح والسلام والصلاح واللطف وكل الملابس الأخرى الإلهية الحيّة التي لنور الحياة، ملابس الراحة التي لا يُعبّر عنها، حتى كما أن الله نفسه هو محبة وفرح وسلام ولطف وصلاح، فكذلك يكون الإنسان الجديد بالنعمة.

وكما أن مملكة الظلمة والخطيئة تبقى خفيّة في النفس إلى يوم القيامة، الذي فيه سوف تُغمر أجساد الخطاة أيضًا بالظلمة المختفية الآن في النفس، هكذا مملكة النور، والصورة السماوية ـ يسوع المسيح ـ يضئ الآن سرًا داخل النفس، ويملك في نفوس القديسين ولكنه مخفي عن عيون الناس، وعيون النفس فقط هي التي ترى المسيح حقًا حتى يأتي يوم القيامة، الذي فيه سيُغمر الجسد أيضًا بنور الرب ويتمجد به، ذلك النور المختفي الآن في نفس الإنسان، ليملك الجسد أيضًا مع النفس التي تنال منذ الآن ملكوت المسيح وتستريح مستنيرة بالنور الأبدي. فالمجد لمراحمه وحنانه وشفقته، لأنه هكذا يعطف على عبيده وينيرهم، وينقذهم من مملكة الظلمة ويمنحهم نوره الخاص وملكوته الخاص. له المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

[١] الاقتباس ـ لم يذكر مصدره ـ وهو ليس اقتباسًا من الكتاب المقدس، والقصد منه، على أية حال، هو إعطاء فكرة التغطية الكلّية بالملاب

العظة الثالثة
الشركة الأخوّية ومقاومة أفكار الشر والخلاص بيسوع وحده

" إن الأخوة ينبغي أن يعيشوا في إخلاص وبساطة ومحبة وسلام بعضهم مع البعض، وأن يصارعوا أفكارهم الداخلية ويحاربوها ".

الشركة الأخوّية :

١ ـ ينبغي أن يسكن الاخوة معًا في محبة كثيرة، وسواء كانوا يصلّون أو يطالعون الكتب المقدسة، أو يمارسون أى نوع من العمل، يتأسسون على أساس المحبة المتبادلة. وبهذه الطريقة، فإن الميول المتنوعة تكون مقبولة، فالذين يصلّون والذين يقرأون، والذين يعملون يستطيعون أن يعيشوا جميعًا في إخلاص وبساطة بعضهم مع بعض لأجل منفعتهم. فما هو المكتوب؟ " لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض" (مت٦: ١٠)، لأنه كما أن الملائكة في السماء يسكنون معًا باتفاق عظيم، وسلام ومحبة، ولا يكون بينهم كبرياء ولا حسد بل يعيشون معًا في محبة وإخلاص، هكذا ينبغي أيضًا أن يسكن الاخوة معًا. وقد يوجد ثلاثون شخصًا تحت تدبير واحد ولا يمكنهم أن يستمروا نهارًا وليلاً في عمل شيئًا واحدًا. لذلك فالبعض يعطون أنفسهم للصلاة لمدة ست ساعات ثم بعد ذلك يميلون إلى القراءة، والبعض عندهم استعداد لخدمة الغير، بينما البعض الآخر يمارسون أى نوع من العمل.

٢ ـ فمهما كان انشغال الاخوة، فينبغي أن يؤدوا عملهم في محبة وبشاشة بعضهم نحو البعض. فالذي يشتغل منهم فليقل عن الذي يصلّى " إن الكنز الذي يجده أخي هو كنز مشترك ولذلك فهو كنزى"، والذي يصلّى يقول عن الذي يقرأ "

إن كل ما استفاده أخي من القراءة هو لمنفعتى"، والذي يعمل فليقل " إن ما أعمله من الخدمة هو لمنفعة الجميع". كما أن أعضاء الجسد كثيرة لكنها جسد واحد (١كو١٢:١٢) وتساعد بعضها البعض، وكل عضو يؤدى وظيفته الخاصة، ولكن العين تنظر لحساب الجسد كله، واليد تعمل لأجل الأعضاء كلها، والقدم تمشى وتحمل كل الأعضاء، وعضو يتألم مع كل الأعضاء بالمثل، هكذا فليكن الاخوة بعضهم مع بعض، فلا يدين المصلى ذلك الذي يعمل بسبب قلّة صلاته، ولا يدين الذي يعمل ذلك الذي يصلى قائلاً: " إنه يستريح بينما أنا أعمل". ولا يدين الذي يخدم ويعمل أخًا آخر بل فليفعل كل واحد ما يفعله لمجد الله. فالذي يقرأ فليقبل الذي يصلى بمحبة ولطف وهو يقول في نفسه " إنه يذكرنى في صلاته"، والمصلّى فليفكر في الذي يعمل قائلاً في نفسه: " إن ما يعمله إنما هو لخيرنا ومنفعتنا جميعًا".

٣ ـ وهكذا يكون اتفاق عظيم وسلام ووحدانية في رباط السلام تربطهم جميعًا، ويستطيعون أن يعيشوا معًا في إخلاص وبساطة وفي نعمة الله. ولكن لا شك أن الأمر الرئيسي هو المداومة على الصلاة. وهناك أمر واحد لازم للجميع، وهو أن يحصل الإنسان في داخل نفسه على كنز، وعلى الحياة في عقله، هذه الحياة التي هي الرب نفسه ـ حتى أنه سواء كان يشتغل أو يصلى أو يقرأ فلا يزال حاصلاً على ذلك النصيب الذي لا يزول، الذي هو الروح القدس.

محاربة الأفكار واستئصال الخطية :

ولكن البعض يفكرون هكذا ـ إن الرب لا يطلب من الإنسان سوى الثمار المنظورة وأما الخفيّات فإن الله هو الذي يصلّحها. ولكن الحقيقة ليست هكذا. بل كما أن الإنسان يدافع عن نفسه فيما يخص شخصه الخارجى، كذلك يجب عليه أن يداوم الصراع والحرب في أفكاره الداخلية. فالرب يطلب منك أن تغضب على نفسك وتتعارك مع عقلك، ولا ترضى بأفكار الشر أو تتصالح معها.

٤ ـ ومع ذلك فإن استئصال الخطية والشر الساكن فينا فهذا لا يمكن تحقيقه إلاّ بواسطة القوة الإلهية. فإنه ليس مستطاعًا للإنسان ولا هو في إمكانه وطاقته أن يستأصل الخطية بقوته الخاصة، وإنما في قوتك أن تصارع ضدها وتحاربها، وأما استئصالها فهذا عمل الله.

الانتصار والخلاص بيسوع :

لأنه لو كان مستطاعًا للإنسان أن يستأصلها في حاجة كانت تدعو إذن لمجىء الرب إلى العالم؟ فكما أن العين لا تستطيع أن تنظر بدون نور، وكما أن الإنسان لا يستطيع أن يتكلم بدون لسان، أو يسمع بدون آذان أو يمشى بدون

قدمين، أو يعمل بدون يدين، هكذا لا يستطيع الإنسان أن يخلص بدون يسوع وبدونه لا يستطيع الدخول إلى ملكوت السموات. وأما إذا قلت: "إنى في سلوكى الخارجى أنا لا أرتكب الزنا والفسق، ولا أنا حسود ولذلك فأنا مستقيم" فأنت تخطئ في هذا لأنك تظن أنك تمّمت كل شيء. فالخطية ليست هي ثلاثة أنواع فقط يجب على الإنسان أن يحفظ نفسه منها، بل هي عشرة آلاف. فأين الغطرسة والوقاحة وعدم الإيمان والكراهية والغيرة والخداع والرياء؟ ألاّ ينبغي أن تصارع وتحارب ضد هذه في أفكارك الخفيّة؟ فإذا دخل لص إلى المنزل فإنك تضطرب في الحال، ولا يدعك في راحة، إنما تبدأ في المضاربة والمقاومة معه. هكذا ينبغي على النفس أن تضارب وتقاوم وتواجه القوة بقوة.

٥ ـ وما نتيجة ذلك؟.. إنه بالمقاومة وتحمل الآلام تنال الإرادة معونة وارتفاعًا وحتى إذا سقطت تقوم ثانية. وقد تلقيها الخطية في عشرة أو عشرين معركة، وقد تُغلب النفس فيها، ولكن النفس بعد وقت تغلبها في معركة واحدة، فإن صبرت النفس ولم تفزع فإنها تبتدئ تنال القوة وتتعقب العدو وتحمل غنائم الظفر بالخطية. ولكن إن تفحصّنا هنا بدقة وجدنا أن الخطية قاسية وشديدة على الإنسان " إلى أن يصل إلى إنسان كامل إلى قياس قامته" (أف٤:١٣)، فيغلب الموت تمامًا، لأنه مكتوب " آخر عدو يبطل هو الموت" (١كو١٥:٢٦)، وهكذا سيسودون على الشيطان وينتصرون.

ولكن، كما ذكرنا سابقًا إن قال أحد " أنا لا أرتكب الزنا والفسق، ولا أنا طامع في المال وهذا يكفي، فهذا قد وضع في حسابه أنه حارب ضد ثلاث قوات ولكنى أقول له أن هناك عشرين آخرين تحارب بها الخطية ضد النفس وهو لم يحاربها ولذلك فهو ينغلب. فينبغي عليه أن يحارب ضدها جميعًا وأن يجاهد، لأن العقل كما قلت مرارًا كثيرة، يعتبر منافسًا معادلاً للخطية، ويملك قوة معادلة ضدها ليقف ويرفض إيحاءاتها.

٦ ـ فإذا قلت أن القوة المضادة هي قوية جدًا وأن الشر له سيادة كاملة على الإنسان، فإنك بذلك تنسب الظلم لله حينما يدين البشر بسبب خضوعهم للشيطان لأن الشيطان قوى جدًا ويُخضع البشرية بقوة لا تقاوم. " إنك تجعل الشيطان أعظم وأقوى من النفس، ثم تقول لى لا تخضع للشيطان. فهذا مثل معاركة شاب مع طفل صغير، والطفل حينما يُغلب يدان بسبب انغلابه. فهذا ظلم عظيم" .

ولكنى أقول لك حينئذ إن العقل البشرى هو معادل صالح للعدو وموازن ضده مساويًا له، فكل نفس بهذا الشكل حينما تطلب فإنها تجد المعونة والحماية، ويُمنح لها الفداء. فالحرب والصراع متكافئان.

فلنمجد الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين

العظة الرابعة

السعي للملكوت الأبدي "محبة الله الشديدة للإنسان

" ينبغي على المسيحيين أن يتمموا سعيهم في هذا العالم بحرص وحذر، لكى يربحوا المديح السماوي من الله والملائكة ".

١ـ نحن الذين نرغب أن نحيا الحياة المسيحية بكل إخلاص وأصالة، ينبغي قبل كل شيء آخر أن نجتهد بكل قوتنا في تربية الملكة المميّزة والمفرزة في النفس (ملكة التمييز والإفراز)، حتى إذا حصلنا على إحساس دقيق وإدراك للفرق بين الخير والشر وصرنا دائمًا مميّزين الأشياء الغريبة التي اختلطت بالطبيعة النقية بشكل غير طبيعي، فإنه يمكننا أن نسلك باستقامة، وبلا عثرة وباستعمال قوة التميّيز هذه كأنها عين، يمكننا أن نحفظ أنفسنا أحرارًا من أى ارتباط أو اتحاد، مع إيحاءات الخطية، وهكذا يمكن أن تُمنح لنا الموهبة السماوية التي نصير بها أهلاً للرب.

ولنأخذ مثلاً لإيضاح ذلك من العالم المنظور، فإنه يوجد تشابه بين الجسم والنفس، بين أمور الجسد وأمور النفس، وبين الأشياء المنظورة والأشياء المستترة.

تشبيه عين الجسد والسير في الغابات :

٢ ـ فالجسد له عين لترشده وتقوده. والعين بواسطة الإبصار، تقود الجسد كله باستقامة. فتخيّل إنسانًا يسير في مناطق غابات، مملوءة بالأشواك والأوحال، وحيث تكون هناك نار مشتعلة، وفي الأرض تكون الحشيءش اليابسة سيوف منتصبة، وهناك أيضًا مهاوي ومياه كثيرة، فإن كان مسافرًا مُجدًا، حريصًا وذكيًا، فإن عينيه تقوده ليعبر تلك الأماكن الصعبة بانتباه شديد، ويرفع ملابسه من كل ناحية بيديه لئلا تتمزق من الأدغال والأشواك، أو تتلوث بالوحل أو تُقطع بأحد تلك السيوف. فعينه تقود الجسم كله. فعينه هي بمثابة نور له، تخلصه من الوقوع في المهاوي والمنحدرات، أو من الغرق في المياه وتحفظه من أى ضرر آخر. فالإنسان النشط والحذر بهذا القدر، يسير بكل حرص، إذ يلف عباءته على جسمه لتلتصق به، وكل هذا تحت قيادة عينه، فيحفظ نفسه من الأذى ويحفظ عباءته التي يلبسها من الاحتراق والتمزق. ولكن إذا كان المسافر في مثل هذه الأمكان كسولاً متوانيًا ومتفائلاً وثقيلاً غير مبالٍ، فإن ثوبه يتهدل حوله من هنا ومن هناك، فيتمزق بواسطة الأدغال والأشواك أو يحترق بالنار لأنه لم يلفه بإحكام حول جسمه ليحفظه، أو ربما يتقطع الثوب إلى قطع بواسطة تلك السيوف المنصوبة في الطريق، أو يتلوث بالوحل ـ وبطريقة أو بأخرى فإنه سرعان ما يتلف ثوبه الجميل الجديد، وذلك لقلة حرصه وإهماله وتكاسله، وإذا لم ينتبه الانتباه الجيد المناسب لما تخبره به عينه، فإنه هو نفسه يسقط في حفرة أو ربما يغرق في المياه.

٣ ـ وبنفس الطريقة، فإن النفس التي تلبس رداء الجسد الحسن ككساء لها، تملك ملكة وقوة التمييز لتوجيه وقيادة الحياة كلها مع الجسد، بينما هي تعبر وسط أدغال وأشواك الحياة، والوحل والنار والمهاوي التي هي الشهوات واللذات وغيرها من أشياء هذا العالم الخاطئة، ينبغي لها أن تتحزم وتصون نفسها ولباسها الذي هو الجسد بحرص وتحفّظ من كل ناحية، وبحزم وغيرة وعناية، وتحفظ نفسها من أن تتمزق بأدغال وأشواك العالم ـ أى الهموم والانشغالات والمعوقات الأرضية ومن أن تحترق بنار الشهوة. وإذ هي لابسة هكذا، فإنها تحول نظرها عن رؤية المناظر الشريرة وتحول إذنها عن الإنصات للمذمة، ولسانها عن التكلم بالكلام الباطل، ويديها وقدميها عن المسالك الشريرة. فالنفس لها إرادة، يمكن أن تحول بها وتحجز أعضاء الجسم عن المناظر القبيحة، وعن الأصوات الشريرة المخزية وعن الكلام البذىء وعن المساعى العالمية الشريرة.

٤ ـ وهى تتحول أيضًا بعيدًا عن الخيالات الشريرة وتحفظ القلب كى لا يدع أعضاء فكره تتجول في العالم. وهكذا إذ تسعى بجد واجتهاد وبحرص عظيم فإنها تضبط أعضاء الجسد من كل جهة عن كل ما هو ردئ فإنها تحفظ ذلك الثوب الحسن أى الجسد، غير ممزق، غير محترق، غير ملوث، وهى ذاتها تُحفظ بواسطة إرادة مبصرة عارفة ومميزة، وكل هذا يتم بقوة الرب، فبينما هي تجمع ذاتها بكل قوتها وتتحول عن كل الشهوات العالمية فإنها تنال المعونة من الرب لتُحفظ حقيقةً من الكوارث التي تكلمنا عنها. لأنه حينما ينظر الرب أى إنسان يعطى ظهره بشجاعة للذات ولمعوقات الحياة الأرضية، والاهتمامات المادية والعلاقات الأرضية، ولخيالات الأفكار الباطلة، فإنه يعطيه معونة نعمته الخاصة ويحفظ تلك النفس بلا سقوط، بينما هي تعبر بسمو ونبل خلال هذا " العالم الحاضر الشرير" (غل١:٤). وهكذا تربح النفس المديح السماوي من الله والملائكة لأنها حفظت ثوب جسدها وذاتها أيضًا حسنًا، معرضة بكل ما تملك من قوة عن كل شهوات العالم، وبمعونة الله تكون قد نجحت بسمو في شوط سباق هذا العالم.

٥ ـ ولكن إن كان الإنسان يسير في طريقه في هذه الحياة بتراخى وإهمال، وبدون حرص، ولا يتحول عن كل شهوة العالم، ولا يطلب الرب ـ والرب وحده ـ بكل شوقه، فإن أشواك وأدغال العالم تنغرس فيه وثوب الجسد يحترق هنا وهناك بنار الشهوة، ويتلوث بوحل اللذات، وبذلك فإن النفس تُحرم من الدالة (الثقة) في يوم الدينونة (١يو٤:١٧)، إذ أنها لم تنجح في حفظ ثوبها بلا عيب، بل أفسدته بأمور هذا العالم الخادعة، ولهذا السبب فإنها تُطرح خارج الملكوت. فما الذي يستطيع أن يفعله الله مع الإنسان الذي يسلّم نفسه بإرادته واختياره للعالم وينخدع بلذاته وينجذب بالمتاهات المادية؟ فالله يعطى المعونة للإنسان الذي يتحول عن اللذات المادية وعن سيرته السابقة التي تُعوّد عليها ويوجّه عقله باجتهاد كل حين نحو الرب، وينكر نفسه ويطلب الرب وحده. هذا هو الإنسان الذي يعتنى به الرب

ويحفظه تحت عنايته الخاصة ويحرس نفسه من كل جهة، من فخاخ وشباك هذا العالم المادى، إنه هو ذلك الإنسان الذي تمّم خلاصه بخوف ورعدة (فى٢:١٢)، إنه هو الذي يسير بكل حرص وسط فخاخ وشباك وشهوات هذا العالم، ويطلب نعمة الرب وعونه، ويترجى برحمته أن يخلص بالنعمة.

مَثل العذارى :

٦ ـ أنظر وفكر في الخمس عذارى الحكيمات اللواتى كن ساهرات مستيقظات وقد أخذن في أوعية قلوبهم ذلك الذي لم يكن من طبيعتهن الخاصة ـ وهو الزيت، الذي يعنى نعمة الروح المنكسب من فوق، أولئك العذارى تمكنَّ من الدخول مع العريس إلى العرس السماوي، ولكن الأخر الخمس الجاهلات اللواتى اكتفين بطبيعتهن الخاصة فلم يتيقظن ولم يشغلن أنفسهن بنوال " زيت البهجة" (مز٤٥:٧) في آنيتهن أثناء وجودهن في الجسد، بل غرقن كما في نوم الإهمال والتغافل والكسل والجهل، أو لادعائهن البر، ولذلك أغلق أمامهن عرس الملكوت إذ لم يتمكنَّ من إرضاء العريس السماوي. فإذا قد رُبطن برباط العالم وبمحبة أرضية، لم يوجهن كل حبهنَّ ولم يقدمنَّ عواطفهنَّ الحارة للعريس السماوي، فلم يُزودن بالزيت. فالنفوس التي تطلب تقديس الروح الذي هو من خارج طبيعتها تعلق حبها كله بالرب وتسير في الرب، وفي الرب تصلى، وبه تنشغل أفكارها، تاركين كل ما هو سواه، ولهذا السبب تُحسب أهلاً لنوال زيت النعمة السماوية، وتنجح في عبور هذه الحياة بلا سقوط مقدمين إرضاءً وإشباعًا كاملاً للعريس السماوي. وأما النفوس التي تكتفي بما لطبيعتها الخاصة فقط فإنها تهبط بفكرها على الأرض. وتنشغل أفكارها بالأرض، ويكون عقلها كله في الأرض. وهى تظن في ذاتها أنها تطلب العريس وتتزين بكمالات بر الجسد، ولكنها غير مولودة من الروح القدس من فوق، ولم تنل زيت البهجة.

٧ ـ فحواس النفس الخمس العاقلة، إن هي حصلت من فوق على النعمة وتقديس الروح كانت حقًا عذارى حكيمات حاصلات على حكمة النعمة من فوق. ولكن إن بقينَّ في راحة مكتفيات بطبيعتهن فإنهن يكن جاهلات وينكشف أنهن من أبناء العالم. إذ لم يكنّ قد خلعن روح العالم، رغم أنه في ظنهن أنهن عرائس العريس بسبب بعض المظاهر الخاصة والشكل الخارجى. فكما أن النفوس التي تلتصق بكليتها بالرب. تكون فيه بفكرها، تصلى فيه وتسير فيه وتشتاق لمحبة الرب، هكذا من الجهة الأخرى، تلك النفوس المُقيدة والمربوطة بحب العالم، تريد أن تصرف وجودها على الأرض وتسعى وتفكر فيها وهناك يسكن ويوجد عقلها. ولهذا السبب فإنهم لا يقدرون أن يتحولوا إلى حكمة الروح الصالحة التي هي غريبة عن طبيعتهن ـ أعنى النعمة السماوية ـ التي يلزم أن تلتحم بطبيعتنا وتمتزج بها، لكى نستطيع الدخول مع الرب إلى عرس الملكوت السماوي ولننال الخلاص الأبدى.

٨ ـ لأنه بمعصية الإنسان الأول دخل فينا شيء غريب عن طبيعتنا، الذي هو كارثة الفساد والأهواء وقد اتخذ هذا الفساد مكانه كأنه جزء من طبيعتنا بطول العادة والميل، وهذا الشيء الغريب يجب أن يُطرد ثانية بواسطة الضيف الآخر، ضيف طبيعتنا أى موهبة الروح القدس السماوية، لكيما نستعيد النقاوة الأصلية، وإن لم نحصل الآن على محبة الروح من السماء بالتضرع الكثير، والتوسل، والإيمان، والصلاة، والتحول عن العالم، وإن لم تلتصق طبيعتنا ـ التي كانت قد تلوثت بالشر ـ إن لم تلتصق بالمحبة، التي هي الرب، وتتقدس بمحبة الروح، وإن لم نثبت إلى النهاية غير عاثرين، سالكين بجد وتدقيق في كل وصاياه، فلا يمكننا الحصول على الملكوت السماوي.

حنان الله ومحبته الشديدة للإنسان :

٩ ـ وأريد أن أتكلم بعمق ودقة في هذا الموضوع بأقصى قدراتى، فاسمعوا لى إذن بانتباه وذكاء: إن الله غير المحدود، الذي لا يُدنى منه، غير المخلوق قد صار جسدًا، بصلاحه وحنانه الذي يفوق العقل، أى انه أخلى نفسه من مجده الذي لا يُدنى منه، ليتمكن من الاتحاد بخلائقه المنظورة، مثل نفوس القديسين، والملائكة، وذلك حتى يستطيعوا هم أن يشتركوا في حياة اللاهوت. فإن كل واحد من هذه (الخلائق)، بحسب نوعه، هو جسم، سواء كان ملاكًا أو نفسًا أو شيطانًا. وبرغم لطافة طبيعة كل منهم بحسب نوعها، فإنهم في جوهرهم وصفاتهم وصورتهم، لا يزالون أجسامًا لطيفة، كما أن جسدنا هذا هو في جوهره جسم كثيف. وأكثر من ذلك فإن النفس، التي هي لطيفة جدًا، قد استعانت بالعين لتنظر بها، والأذن لتسمع بها، واللسان لتتكلم به، واليد، بل وكل الجسد وأعضاءه قد استعانت بها النفس واتحدت بها، وعن طريقها تقوم بكل واجبات الحياة.

١٠ـ وبنفس الطريقة، فإن الله غير المحدود، الذي يفوق الإدراك، في صلاحه ورحمته، أنقص نفسه (أخلى نفسه)، ولبس أعضاء هذا الجسد، متخليًا عن المجد الذي لا يُدنى منه، وبرأفته ومحبته للإنسان يصير هو بنفسه جسدًا، ويأخذ إليه النفوس المقدسة المرضيّة الأمينة، ويختلط معها، بل ويصير معها روحًا واحدًا كما قال الرسول بولس (١كو٦: ١٠) ونفسًا في نفس، وإن أمكن أن أقول هكذا: وجوهرًا في جوهر، حتى أن النفس تستطيع أن تعيش في اتحاد، وتتذوق الحياة غير المائتة وتصير شريكة في المجد الذي لا يفسد ـ أعنى إذا كانت النفس مؤهلة ومرضيّة عنده.

فإن كان الله، مما لم يكن، قد خلق الخليقة المنظورة، بمثل هذا التنوع والاختلاف، وقبل أن تُخلق لم يكن لها وجود ـ وهكذا شاء فصنع بسهولة، من العدم، جواهر كثيفة وجامدة، مثل الأرض والجبال والأشجار ـ وهاأنت ترى مدى الصلابة التي في الطبيعة ـ وأيضًا خلق المياه المتوسطة، وأمر بأن تخرج منها

الطيور ـ وصنع أيضًا مخلوقات ذات طبيعة ألطف، كالنار والرياح وأشياء أخرى تصل في لطفاتها إلى حد عدم إمكان رؤيتها بعين الجسد.

١١ ـ فإن كانت المهارة غير المحدودة التي لا يعبّر عنها ـ مهارة " حكمة الله المتنوعة" (أف٣:١٠) تستطيع أن تخلق من العدم أجسامًا كثيفة وأخرى لطيفة وأخرى ألطف جدًا، كلٍ بحسب نوع جوهره، وذلك بحسب مشيئته، فهل لا يستطيع بالأحرى جدًا، ذلك الذي يفعل كما يشاء وما يشاء، وبرحمته التي لا توصف وصلاحه الذي يفوق العقل، أن يغيّر ويكيف النفوس المستحقة والأمينة، ويجعلها مشابهة له بواسطة الجسد الذي اتخذه، حتى أنه وهو غير المنظور، يمكن أن ينظروه، وغير الملموس يحسوه على حسب لطافة طبيعة النفس ـ ولكيما يشعروا بحلاوته ويختبروه اختبارًا حقيقيًا إذ يتمتعون بجمال وبهاء نوره الذي يفوق الوصف؟ وحينما يريد يصير نارًا محرقة لكل هوى خبيث دخل إلى النفس، " لأن إلهنا نار آكلة" (عب١٢:٢٩). وحينما يريد يصير راحة لا يُنطق بها ولا يُعبّر عنها، لكى تستريح النفس في راحة اللاهوت الخاصة. وحينما يريد يصير فرحًا وسلامًا للنفس، ومُدللاً ومُعانقًا لها.

١٢ ـ وبالحقيقة، إذا سُرّ الله أن يتشبه بإحدى خلائقه ـ لأجل بهجة وفرح خلائقه العاقلة ـ مثلاً كأورشليم مدينة النور، أو صهيون[١] الجبل السماوي، فإنه يستطيع أن يفعل كل ما يريد، بحسب المكتوب " قد أتيتم إلى جبل صهيون، إلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية" (عب١٢:٢٢)، فكل الأشياء سهلة ويسيرة عنده، وقد يتشكل بأى شكل يختاره لأجل منفعة النفوس الأمينة التي تستحقه. فليسعَ الإنسان فقط، أن يكون صديقًا له ومرضيًا إياه، فيرى في اختبار وشعور حقيقى، الخيرات السماوية، ومباهج اللاهوت التي لا يُعبر عنها وغناه غير المحدود، " الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر" (١كو٢:٩)، أعنى روح الرب، الذي يجعل نفسه راحة وفرحًا وبهجة وحياة أبدية للنفوس المستحقة. لأن الرب يجسّم نفسه حتى في الطعام والشراب كما هو مكتوب في الإنجيل " من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يو٦:٥٨)، لكى يُعطى النفس راحة لا يُنطق بها، ويملأها بهجة روحانية، لأنه هو يقول " أنا هو خبز الحياة" (يو٦:٢٥). وهو يجسّم نفسه في شراب الينبوع السماوي، كما يقول " كل من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو٤:١٤)، وأيضًا يقول الرسول " وجميعنا سُقينا شرابًا واحدًا" (١كو١٢:١٣مع ١كو١٠:٤).

ظهورات الله المتنوعة للنفوس :

١٣ ـ لقد ظهر الله لكل واحد من الآباء القديسين بالطريقة التي أرادها واستحسنها لهم ـ فظهر لإبراهيم بطريقة ولإسحق بأخرى وليعقوب بطريقة غيرها،

وبغيرها لنوح، ولدانيال، ولداود، ولسليمان، ولإشعياء، ولكل واحد من الأنبياء القديسين، وبطريقة لإيليا، وبأخرى لموسى. وفي اعتقادى أن موسى ـ في كل ساعة على الجبل طوال صوم الأربعين يومًا ـ كان يقترب إلى تلك المائدة الروحانية ويتلذذ بها متمتعًا ببهجتها. وظهر الله، بحسب ما شاء هو، لكل واحد من القديسين ليعطيهم راحة وخلاصًا، وليقودهم إلى معرفته. وأى شيء يشاءه هو سهل عنده. فكما يريد، فهو ينقص نفسه ببعض التجسيم، ويجعل ذاته منظورًا لعيوم أولئك الذين يحبونه، مظهرًا ذاته لأولئك الذين يستحقون، في مجد نور لا يُدنى منه، وذلك بحسب محبته العظيمة والتي لا يُنطق بها، وبواسطة قوته الخاصة. والنفس التي حُسبت أهلاً، باشتياق شديد وانتظار لله، وإيمان ومحبة، لأن تنال تلك القوة من الأعالى، أى محبة الروح السماوية، وقد نالت النار السماوية، نار الحياة غير المائتة، فإنها تنفك حقًا من كل محبة عالمية وتنطلق حرة من كل رباط الشر.

تغيير النفس بنار المحبة الإلهية :

١٤ ـ فكما أن الحديد، والرصاص والذهب، أو الفضة، حينما تُلقى في النار تنصهر وتتغير من صلابتها الطبيعية إلى قوام لين، وطوال بقائها في النار تستمر منصهرة ومتغيرة عن تلك الطبيعة الصلبة، بواسطة شدة حرارة النار، كذلك النفس التي أنكرت العالم وثبتّت شوقها نحو الرب وحده، بتفتيش كثير وآلام وصراع النفس، وتداوم على انتظار الرب انتظارًا غير منقطع بالرجاء والإيمان، والتي قد نالت تلك النار السماوية، نار اللاهوت ونار محبة الروح، فهذه نفس تنفك حينئذ بالحقيقة من كل محبة العالم وتنطلق حرة من كل فساد الأهواء وتطرح عنها كل شيء وتتغير من عادتها الطبيعية وصلابة الخطية، وتعتبر كل الأشياء بلا قيمة بالمقارنة مع العريس السماوي الذي قبلته، مستريحة بذلك في حبه الشديد الذي يفوق الوصف.

١٥ ـ وأقول لكم بالحقيقة إنه حتى الاخوة المحبوبين جدًا الذين تبصرهم هذه النفس بعينها ، إذا أعاقوها عن تلك المحبة فإنها تتحول عنهم. لأن حياة النفس وراحتها هي في تلك العشرة الخفيّة الفائقة الوصف مع الملك السماوي. لأنه إن كانت شركة المحبة الأرضية (بالزواج) تتسبب في مفارقة الإنسان لأبيه وأمه واخوته بل وكل الأشياء تبتدئ تصير في نظر الزوجين خارجة عنهما، ورغم أنهما يظلان يحبونهم فإنهما يحبونهم محبة أكثر سطحية، بينما يكون انشغال الإنسان كله موجهًا نحو علاقته بعروسه ـ لذلك يقول الكتاب " من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا" (تك٢: ٢٤). فأقول إن كانت المحبة الجسدية تجعل الإنسان ينفك من كل محبة أخرى فكم بالأحرى جدًا أولئك الذين حُسبوا أهلاً للدخول حقًا في شركة الروح، ذلك الروح السماوي المحبوب، ينفكون من كل محبة عالمية ويصبح كل شيء آخر عديم القيمة بالنسبة لهم لأنهم غُمروا بشهوة سماوية وصاروا بكليتهم في ألفة وانسجام معها.

١٦ ـ حسنًا يا اخوتى الأحباء، فحينما توضع مثل هذه الخيرات أمامنا وقد وعدنا الرب بمثل هذه المواعيد العظيمة، فلنطرح عنا كل العوائق ونهجر كل محبة العالم، ونعطى أنفسنا بسعى واشتياق لذلك الذي هو وحده صالح، لكى نصل إلى ذلك الحب الذي لا يُنطق به، أى محبة الروح التي أوصانا بخصوصها القديس بولس حاثًا إيانا أن نجّد في طلبها قائلاً: " اتبعوا المحبة" (١كو١٤:١) لكيما نتغير من قساوتنا بواسطة يمين العلّى، ونأتى إلى الحلاوة والراحة الروحانية، بعد أن ننجرح بالمحبة القوية، محبة الروح الإلهى.

إن الرب محب جدًا للإنسان وبرحمته يبقى في انتظار أن نتحول تحولاً كاملاً إليه ونتحرر من كل الأشياء المضادة. وبالرغم من أننا في جهلنا العظيم، وحماقتنا وميلنا إلى الشر، نبتعد عن الحياة ونضع عوائق كثيرة في طريقنا، غير راغبين أن نتوب حقيقة، لكنه هو مع ذلك مملوء بالحب والشفقة علينا، ويطيل أناته إلى أن نتوب ونأتى إليه، ونستنير في إنساننا الباطن لكى لا تخزى وجوهنا في يوم الدينونة.

محبة الله الشديدة لنا ومواعيده العظيمة :

١٧ ـ فإن كان الأمر يبدو لنا صعبًا بسبب مشقة ممارسة الفضيلة، ويبدو أكثر صعوبة بسبب مشورات العدو الغادرة، فانظروا أحشاء رحمة الله وطول أناته من نحونا وهو منتظر رجوعنا، وحينما نخطئ فهو يمد يده، في انتظار توبتنا. حينما نسقط، لا يستحى أو يخجل من قبولنا واحتضاننا ثانية، كما يقول النبى " هل يسقطون ولا يقومون أو يرتد أحد ولا يرجع" (إر٨:٤). فلنكن فقط صاحين متيقظين، ولنا نيّة صالحة أكيدة، ولنتحول حالاً باستقامة ونطلب منه المعونة وهو مستعد أن يخلّصنا. وهو يتطلع وينظر إلى إرادتنا ورغبتنا في الرجوع إليه برغبة حارة بأقصى طاقة عندنا، ويتطلع إلى الإيمان والغيرة النابعة من القصد الصالح، أما نجاح المسعى كله فهذا هو عمله الخاص. لذلك فلنسع، أيها الأحباء أولاد الله، تاركين جانبًا كل انشغال، وإهمال وتكاسل، ونتشجع ونكون مستعدين لاتباعه. ولا نتأخر من يوم إلى يوم، غير ملاحظين إلى أى مدى تجرحنا الخطية. إننا لا نعرف متى يأتى وقت انتقالنا من الجسد. إن المواعيد المعطاة والمقدمة للمسيحيين هي مواعيد عظيمة ولا يُنطق بها، عظيمة جدًا حتى أن كل مجد وبهاء السماء والأرض وكل زينة أخرى بكل نوع وكل كنوز وجمال الأشياء المنظورة لا تساوى شيئًا بالمرة بالنسبة للإيمان والكنز الذي لنفسٍ واحدةٍ.

محبته وطول أناته وانتظاره لحظة توبتنا ورجوعنا:

١٨ ـ فكيف نستطيع إذن أن نرفض بقلوبنا قبول مثل هذه الدعوات والمواعيد من الرب ونأبى المجىء إليه وتخصيص نفوسنا له، منكرين كل شيء "

حتى نفوسنا أيضًا" (لو ١٤: ٢٦) كما يقول الإنجيل، وأن نحبه وحده وليس شيء آخر معه، ولكن بالرغم من كل هذه الأشياء، والمجد العظيم الذي قد أعطيّ، وبالرغم من كل تدبيرات الرب منذ أزمنة البطاركة والأنبياء ـ كم من مواعيد عظيمة قد أعطيت، وما أكثر النصائح التي قُدمت، وما أعظم الشفقة التي أظهرها لنا السيد منذ البداية! وأخيرًا، في مجيئه الخاص بيننا هنا، برّهن على محبته التي لا يُعبر عنها من نحونا، بصلبه من أجلنا، ليحولنا وينقلنا إلى الحياة ـ وأما نحن فلا نزال غير راغبين في ترك مشيئتنا وترك محبة العالم وترك ميولنا وعاداتنا الرديئة. وبهذا نبرهن على أننا قليلى الإيمان، أو عديمى الإيمان، وبالرغم من هذا كله فإنه لا يزال محبًا رحيمًا حافظًا إيانا في الخفاء ومحتضنًا لنا، ولا يسلّمنا بحسب آثامنا ـ إلى سلطان الخطية إلى الأبد، ولا يدعنا نهلك بغرور العالم، بل في رحمته العظيمة وطول أناته يجعل نظره مثبتًا علينا في انتظار اللحظة التي نرجع فيها ونتحول إليه.

١٩ ـ أخاف أنه في يوم من الأيام بينما نحن متعلّقون بأفكارنا المخزية وسائرون وراء أهواءنا، تصدق فينا كلمات الرسول " أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (رو٢: ٤)؟

خطورة الاستهانة بلطفه وطول أناته:

ولكن إن كنا نقابل طول الأناة هذا واللطف والإمهال بعدم الرجوع بل بزيادة الخطايا، وبإهمالنا واحتقارنا نشترى لأنفسنا دينونة أعظم فيتحقق حينئذ بقية قول الرسول " ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبًا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو٢: ٥). إن الله قد استعمل صلاحًا عظيمًا يفوق الوصف في علاقته مع جنس البشر بل وطول أناة يفوق التعبير، ويبقى فقط أن نكون راغبين في استعادة ورجوع أنفسنا، ونسعى أن نتحول إليه تمامًا، لكيما نجد الخلاص.

أمثلة من معاملات الله في الكتاب المقدس:

٢٠ ـ وإن أردت أن تعرف طول أناة الله ولطفه العظيم فلنتعلمها من الكتب الموحى بها. أنظر إلى إسرائيل، الذي منه جاء الآباء، الذين لهم أعطيت المواعيد، ومنهم جاء المسيح حسب الجسد والذين بهم اختصت خدمات " العبادة والعهد" (رو٩: ٤، ٥)، كيف أخطأوا خطيئة عظيمة، وكم من مرة حادوا عن الطريق، ومع ذلك فلم يطرحهم إلى الأبد بل من وقت إلى وقت كان يسلّمهم للتأديبات إلى حين لأجل منفعتهم مريدًا أن يليّن قساوة قلوبهم بالضيقات والأحزان، وكان يعود إليهم ويشجعهم، ويرسل لهم الأنبياء. وكم من مرة أخطأوا وأغاظوه، ولكنه كان يطيل أناته عليهم وحينما يرجعون إليه يقبلهم بفرح، وحينما يرتدون ثانية عن طريقة لم يتخلَ عنهم، بل كان يدعوهم من جديد بواسطة الأنبياء أن يرجعوا إليه، وكم من

المرات الكثيرة تحولوا عنه ثم رجعوا فكان يحتملهم بلطف ويقبلهم إليه برأفة، إلى أن سقطوا في النهاية في التعدى الذي فاق الكل وذلك حينما ألقوا أيديهم على سيّدهم الذي تعلّموا بواسطة تقاليد الآباء والأنبياء القديسين أن ينتظروه كمنقذ لهم ومخلّص وملك ونبى. وحينما جاء لم يقبلوه بل بالعكس، فبعد أن وجهوا له الإهانة تلو الإهانة عاقبوه أخيرًا بالموت صلبًا على الصليب، وبهذا الإثم العظيم والتعدى الذي فاق كل التعديات تزايدت خطاياهم أكثر من الحد وامتلأت كأسهم. ولذلك تُركوا إلى النهاية، وهجرهم الروح القدس منذ أن انشق حجاب الهيكل. ولذلك أعطى هيكلهم للأمم وهُدم، وصار خرابًا حسب إنذار الرب " إنه لا يُترك هنا حجر على حجرٍ لا يُنقض" (مت٢٤:٢). هكذا سُلموا أخيرًا للأمم وتشتتوا في الأرض كلها بواسطة الملوك الذين أسروهم ومُنعوا من الرجوع إلى أماكنهم الأصلية.

٢١- وهذا هو نفس ما يعمله الله مع كل واحد منا حتى الآن، فإنه كملك وإله صالح يطيل أناته علينا وهو يرى كم يخطئ كل واحد منا، فيمسك يده ويسكت وينتظر أن يعود الإنسان إلى نفسه ويرجع عن الخطية تائبًا فيرحب بالخاطئ الراجع بمحبة عظيمة وفرح كثير. فهذا هو ما يقوله " يكون فرح بخاطئ واحد يتوب" (لو١٥:١٠). وأيضًا يقول " هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار" (مت١٨:٤). ولكن إن كان أحد، تحت هذه الرحمة العظيمة وطول أناة الله الذي لا يسرع بالانتقام لكل خطيئة خفيّة أو ظاهرة بمجرد ارتكابها، بل ينظر ويسكت منتظرًا توبة الخاطئ، أقول إن كان الإنسان يزدرى هكذا بالرحمة ويضيف خطيئة على خطيئة ويجمع كسلاً على كسلٍ ويكوّم إثمًا فوق إثمٍ، فإنه يملأ مكيال خطاياه، ويأتى في النهاية إلى إثم عظيم جدًا لا يمكنه القيام منه أبدًا، بل يتهشم تهشمًا ويُسلّم للشرير للهلاك الأبدى.

٢٢- وهذا هو الذي حدث مع سدوم. فإنهم مرات كثيرة أخطأوا استمروا يخطئون وبدون رجوع حتى وصلوا إلى قصدهم الشرير نحو الملائكة طالبين أن يرتكبوا الإثم معهم على أنهم رجال، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يتوبوا بعد ذلك بل رفضوا نهائيًا ، لأنهم ملأوا مكيال خطاياهم بل تعدوه ولذا أحرقوا بنار النقمة الإلهية. وهكذا حدث أيضًا في أيام نوح، فإنهم كانوا يخطئون ولا يتوبون ووصلت كثرة خطاياهم لدرجة أن الأرض كلها فسدت تمامًا وهلكت. وهكذا حدث مع المصريين أنهم أخطأوا كثيرًا وتعدّوا على شعب الله، وكان الله لطيفًا ولم يرسل عليهم ضربات كالأوبئة لكى تفنيهم كلّية، بل لأجل تأديبهم ورجوعهم وتوبتهم أرسل عليهم جلدات أسواطه الصغيرة صابرًا عليهم ومنتظرًا توبتهم. ولكنهم كانوا يخطئون ضد شعب الله ثم يندمون، ولكنهم يعودون مرة أخرى ويثبتون في عدم الإيمان القديم، الناتج عن قصد شرير، ويضيّقون على شعب الله من جديد، وأخيرًا حين أخرج الله الشعب من مصر بعجائب كثيرة بواسطة موسى فإنهم (المصريون) ارتكبوا الإثم العظيم بسعيهم وراء شعب الله، الذي بسببه أهلكتهم النقمة الإلهية

وأفنتهم، واكتسحتهم بواسطة المياه إذ حسبتهم غير مستحقين حتى لهذه الحياة المنظورة.

٢٣ ـ وبنفس الطريقة كما قلنا سابقًا فإن إسرائيل كثيرًا ما ارتكبوا آثامًا وخطايا، وقتلوا أنبياء الله وفعلوا أشياء أخرى شريرة كثيرة. وبينما كان الله محتملاً وساكنًا، منتظرًا بصبر توبتهم، انتهوا بارتكاب إثم عظيم بسببه سحقوا حتى أنهم لم يستطيعوا أن يقوموا ثانية. ولهذا السبب تخلى عنهم الرب تمامًا ورفضهم ونُزعت منهم النبوة والكهنوت والعبادة وأعطيت للأمم الذين آمنوا كما قال الرب : " إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعطى أثماره" (مت٢١:٤٣) فقد ظلّ الله إلى ذلك الحين مطيلاً أناته عليهم محتملاً إياهم ولم يتخلى عنهم وذلك بكثرة شفقته عليهم، ولكن حينما ملأوا مكيال آثامهم وزادوا عن حدودها جدًا، وبإلقاء أيديهم على سيّدهم الكريم صاروا مهجورين تمامًا من الله.

لنرجع ونتوب بسرعة ولا نيأس من الخلاص:

٢٤ ـ أيها الأحباء لقد تناولنا هذه الأمور بنوع من التفصيل مبرهنين من أفكار الكتب المقدسة أنه يجب علينا أن نرجع ونتحول بسرعة، ونبادر إلى الرب، الذي بسبب لطفه يتأنى علينا متوقعًا أن ننفك تمامًا من كل شر وميل خبيث، وهو الذي يرحب بفرح عظيم بتوبتنا ولا يريد أن يزداد احتقارنا من يوم إلى يوم ولا أن تتجمذع خطايانا وتزداد علينا فتسبب غضب الله علينا. فلنسعَ إذن بحماس وغيرة أن نأتى إليه بقلب تائب حقًا، غير يائسين من الخلاص لأن اليأس هو نفسه خطيئة وإثم وذلك حينما يتملك علينا تذكر الخطايا السالفة فيقود الإنسان إلى اليأس وقطع الرجاء وإلى التراخى والإهمال والكسل، لكى لا يعود ويرجع إلى الرب لينال الخلاص، حيث إن إحسان الرب العظيم ولطفه هو ممتد لكل جنس البشر.

هو الذي يغيّر ويحوّل ويجدّد النفس:

٢٥ـ وإن كان يظهر لنا أن الرجوع من الخطايا الكثيرة أمر عسير ومستحيل وذلك بسبب أننا صرنا مستعبدين لها فإن هذا الفكر ـ كما قلت ـ هو خدعة من الشرير وتعويقًا لحصولنا على الخلاص. فلنتذكر ونعتبر كيف أن ربنا حينما جاء بصلاحه بيننا على الأرض، أعطى البصر للعميان وشفي المشلولين، وشفي كل أنواع المرض وأقام الأموات بعد أن فسدت واضمحلت أجسادهم، وجعل الصم يسمعون وأخرج جيشًا من الشياطين من إنسان واحد وأعاده إلى عقله بعد أن كان في غاية الجنون. فكيف لا يغيّر ولا يحوّل ـ بالأحرى جدًا، النفس التي ترجع إليه طالبة رحمته وهى محتاجة إلى حمايته، ويحضرها إلى حالة سعيدة، حالة التحرر من الشهوات وحالة الثبات المستمر في كل فضيلة بتجديد الذهن، ويغيرها إلى الصحة والإبصار العقلى وأفكار السلام، بدلاً من العمى والصمم وموات عدم الإيمان

والجهالة وعدم المبالاة، ويأتى بها إلى اتزان الفضيلة ونقاوة القلب. فالذى خلق الجسد هو الذي خلق النفس أيضًا، وكما أنه في سعيه على الأرض حينما كان يجىء الناس إليه طالبين منه المعونة والشفاء فإنه بلطف كان يمنحهم ولا يضن عليهم بحسب ما تكون احتياجاتهم كمثل طبيب صالح، بل الطبيب الحقيقى الوحيد، فهكذا يكون الأمر في الاحتياجات الروحية.

٢٦ ـ فإن كان قد تحرّك بمثل هذه الشفقة على الأجساد التي تضمحل وتموت، وبلطف شديد أعطى لكل واحد حاجته التي كان يطلبها، فكم بالأحرى جدًا يصنع للنفس غير المائتة التي لا تفسد ولا تضمحل، وهى تئن تحت وطأة مرض الجهل والشر وعدم الإيمان واللامبالاة وكل أمراض الخطيئة الأخرى. فحينما تأتى إلى الرب وتلتمس معونته وتثبت أنظارها على رحمته، وترغب أن تنال منه نعمة الروح لأجل إنقاذها وخلاصها وتحررها من كل شر ومن كل شهوة، أفلا يمنحها بأكثر استعداد خلاصه الشافى، بحسب كلمته هو " أفلا ينصف الآب السماوي مختاريه الصارخين إليه نهارًا وليلاً"؟ (لو ١٨:٧) ويضيف قائلاً " نعم أقول لكم إنه ينصفهم سريعًا" (لو١٨:٨).

وفي موضع آخر يحثنا " اسألوا تعطوا لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له" (لو١١:٩،١٠)، ويختم هذا الحديث بقوله " كم بالحرى أبوكم السماوي يعطى الروح القدس للذين يسألونه... الحق أقول لكم وإن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج" (لو١١:٨ ـ١٣).

التماس عطية النعمة بلجاجة:

٢٧ـ فباللجاجة إذن، وبدون انقطاع، وبلا كلل يستحثنا في كل هذه الكلمات أن نلتمس منه عطية النعمة. فإنه جاء إلى العالم لأجل الخطاة، لكى يحوّلهم ويرّجعهم إلى نفسه ويشفي ويخلّص الذين يؤمنون به، لذلك فلنتجنب الوساوس الشريرة، على قدر طاقتنا، ونبغض المقاصد الرديئة وخداع العالم، ونعطى ظهورنا للأفكار الشريرة الباطلة، ونلتصق بالرب بأقصى طاقتنا، وهو على استعداد أن يسرع بإعطائنا معونته. فمن أجل هذه الغاية هو رحيم ومحيى وشفي للأمراض التي لا شفاء لها. وهو يصنع الخلاص لأولئك الذين يدعونه ويرجعون إليه، مبتعدين بأقصى طاقتهم ـ بالإرادة والقصد ـ عن كل تعلق عالمى، ويبعدون عقولهم بعيدًا عن الأرض ويثبتونها فيه بتوسل واشتياق. فعلى مثل هذه النفس يسبغ الله نعمته، تلك النفس التي تحسب كل شيء آخر بلا أهمية أو ضرورة، ولا تستريح على شيء في العالم، بل تتطلع لتجد الراحة والفرح في حضن لطفه ومحبته، وهكذا بعد أن تنال الموهبة السماوية بمثل هذا الإيمان، تحصل على إشباع رغبتها بيقين تام بواسطة النعمة. ومنذ ذلك الحين فصاعدًا تخدم الروح القدس باتفاق ولياقة، وتتقدم نامية كل يوم في كل مكان في كل ما هو صالح وتثبت في طريق البر، وإذ

تلبث غير متزعزعة أو مساومة مع الشر، ولا تحزن النعمة في شيء، فإنها تمنح الخلاص الأبدى مع كل القديسين لأنها قد عاشت في العالم كشريكة ورفيقة لهم متمثلة بهم آمين.

[١] يبدو أن القديس مقاريوس يقصد أن (أورشليم) و(صهيون) ، في مثل هذه الحالات هي تعبير عن الله نفسه، فالله يجعل نفسه مسكن النفس وحصنها

العظة الخامسة
الخليقة الجديدة وبيت الروح الأبدي

"الخليقة الجديدة التي للمسيحيين والفرق العظيم بينها وبين أهل هذا العالم. فأولئك الذين لهم العالم، هم مربوطون بقلوبهم وعقولهم بالرباطات الأرضية.. أما الذين لهم روح المسيح، فإنهم يشتاقون لمحبة الآب السماوي، واضعينه أمام عيونهم بمحبة كثيرة"

١ـ إن عالم المسيحيين من جهة طريقة حياتهم، وعقلهم، وكلامهم وعملهم هو شيء مختلف تمامًا عن طريقة حياة أهل هذا العالم وعقلهم وكلامهم وعملهم. فأولئك شيء وهؤلاء شيء آخر والفرق بين هؤلاء وأولئك فرق عظيم.

حالة أهل هذا العالم:

فسكان الأرض أى أبناء هذا الدهر، هم مثل القمح الذي يُلقى في غربال هذه الأرض، فيغرّبلون بالأفكار القلقة التي لهذا العالم، وتتقاذفهم ـ بلا انقطاع ـ أمواج الأمور الأرضية والشهوات والتصورات المادية المتشابكة، بينما يحرّك الشيطان نفوسهم، إذ أنه يغرّبل في هذا الغربال ـ أى غربال الهموم الأرضية ـ كل الجنس البشرى الخاطئ، وذلك منذ أن سقط آدم بتعدى الوصية وصار تحت سلطان رئيس الشر.

ومنذ ذلك الوقت الذي حصل فيه الشيطان على هذا السلطان إلى الآن، فإنه لا يفعل شيئًا سوى أن يغرّبل أبناء هذا الدهر بأفكار الخداع والتهيّج ويقذف بهم بعنف على غربال هذه الأرض.

٢ـ فكما أن القمح في الغربال يقلبه المغربل ويرتج دائمًا من جهة إلى أخرى متحركًا ومتصادمًا في داخل الغربال، كذلك فإن رئيس الشر يمسك كل الناس بواسطة الأمور الأرضية، وعن طريقها يرجّهم ويقلّبهم ويهيّجهم، ويضربهم بأفكار التخيلات الباطلة والرغبات الدنيئة، ورباطات العالم الأرضية، وهو يقوم دائمًا بأسر كل جنس آدم الخاطئ عن طريق إثارتهم وإغرائهم، كما سبق الرب وحذّر الرسل كيف أن الشرير سيقوم ضدهم: " هوذا الشيطان قد طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة ولكنى طلبت من أجلكم لكى لا يفنى إيمانكم" (لو٢٢: ٣١،٣٢). فالكلمة التي قيلت

لقايين من خالقه، وذلك القصاص الذي نطق به الله له " تائهًا وهاربًا تكون في الأرض"، بالإضافة إلى معناه الظاهر فهو نموذج ومثال لما يحدث لكل الخطاة في السر في باطنهم (أى أنين وارتعاد واضطراب). فإن جنس آدم بعد أن سقط من الوصية ودخل في الحالة الخاطئة، أصبحت له تلك الصورة في الإنسان الخفي، فتتقاذفه أفكار متقلبة من الخوف والرعب وكل أنواع الاضطراب إذ أن رئيس هذا العالم يقلب كل نفس على أمواج من كل نوع وصنف من أنواع اللذّة والشهوة، إلاّ إذا كانت مولودة من الله، وكما أن القمح يتحرك بلا انقطاع في الغربال، هكذا فإن الشرير يحرّك أفكار الناس ويقلّبهم في اتجاهات مختلفة ويرجهم ويغويهم جميعًا بواسطة الشهوات العالمية ولذات الجسد والمخاوف والاضطرابات.

٣ ـ لقد أظهر الرب أن أولئك الذين يتبعون خداعات ورغبات الشرير، يحملون صورة شر قايين، وذلك حين وبخّهم وقال "وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. وذاك كان قتالاً للناس منذ البدء ولم يثبت في الحق" (يو٨: ٤٤)، حتى إن كان جنس آدم الخاطئ قد حصلوا على هذا الحكم في باطنهم، وهو الأنين والرعب والتقليب في غرّبال هذه الأرض بيد الشيطان. فكما أنه من آدم انتشر كل جنس البشر على الأرض، هكذا فإن نوع واحد من الأهواء الشريرة سرى وتعمق في جنس البشر الخاطئ حتى أن رئيس الشر يمكنه أن يغرّبلهم جميعًا بغرّبلة التصورات المادية المقلقة. فكما أن ريحًا واحدًا تكفي لتحريك وهز كل النباتات والزروع، أو كما أن ظلام الليل الواحد يعم على كل الأرض المسكونة، هكذا فإن رئيس الشر هو نفسه الظلام الروحى ـ ظلام الخطية والموت ـ وهو ريح عاصف، وأن كان خفيًا، فإنه يهز كل جنس البشر على الأرض ويقودهم بالأفكار القلقة الطائشة ويغوى قلوب الناس بشهوات العالم، ويملأ كل نفس بظلام الجهل والعمى والنسيان، إلاّ أولئك الذين قد وُلدوا من فوق وانتقلوا بقلوبهم وعقولهم إلى عالم آخر كما هو مكتوب " إن مدينتنا هي في السموات" (في٣: ٢٠).

الخليقة الجديدة التي تميّز المسيحيين الحقيقيين:

٤ ـ فهذا هو ما يشكّل الفرق بين المسيحيين الحقيقيين وبين بقية البشر، والفرق بين الاثنين فرق عظيم كما قلنا سابقًا. فقلب المسيحى وعقله وطريقة تفكيره هي دائمًا في المجال السماوي، فالمسيحيون الحقيقيون ينظرون الخيرات الأبدية كما في مرآة، وذلك بسبب حصولهم على الروح القدس وشركته، لسبب كونهم مولودين من الله من فوق ولأنهم نالوا الامتياز أن يصيروا أولاد الله بالحق وبالفعل، إذ يصلون ـ بعد حروب وأتعاب لفترة طويلة ـ إلى حالة ثابتة مستقرة من الحرية والتحرر من الاضطراب، حالة الراحة، فلا يعودون يُغرّبلون ويموجون بالأفكار القلقة الباطلة.

بهذا هم أعظم وأفضل من العالم لأن عقلهم واهتمام نفسهم هو في سلام المسيح ومحبة الروح فعن مثل هذا تكلم الرب حينما قال " إنهم قد انتقلوا من

الموت إلى الحياة"(يو٥: ٢٤) فالعلامة المميزة للمسيحيين ليست هي في الأساليب والأشكال الخارجية فكثيرون يظنون أن الفرق الذي يميّزهم عن العالم إنما هو في الشكل أو الأساليب الظاهرة، ويا للأسف فإنهم في عقولهم وتفكيرهم هم مثل العالم إذ أنهم يُقلبون ويهتزون بقلق الأفكار غير الثابتة مثل أهل العالم وهم مثلهم أيضًا في عدم الإيمان والحيرة والاختلاط والخوف مثل كل الناس الآخرين. وقد يختلفون عن العالم في الشكل الخارجى والمظهر، ويختلفون عن العالم أيضًا إلى حد ما في الممارسات الدينية، ولكن في القلب والعقل هم مربوطون بالرباطات الأرضية إذ لم يحصلوا أبدًا على الراحة في الله وسلام الروح السماوي في قلبهم، لأنهم لم يطلبوها من الله ولم يؤمنوا أنه سيمنح لهم هذه الأشياء.

٥ ـ فإن ما يميّز الخليقة الجديدة التي للمسيحيين عن كل أهل العالم هو: تجديد القلب، وسلام الأفكار، والمحبة والشهوة السماوية للرب. وهذا هو الغرض الذي لأجله جاء الرب إلى العالم، أن يهب هذه البركات لأولئك الذين يؤمنون به حقًا. فإن المسيحيين لهم مجد وجمال وغنى سمائي يفوق الوصف والتعبير، وهذه تُكتسب بالآلام والعرق والتجارب ومحاربات كثيرة ولكن الكل يتحقق بنعمة الله.

فإن كان منظر ملك أرضى يصير موضوع اشتهاء كل الناس، حتى أن كل من يسكن في مدينة الملك يرغب في الحصول على نظرة خاطفة لجماله، وبهاء ملابسه ومجد أرجوانه، وجمال لآلئه، ولمعان تاجه البهي وكرامة حاشيته الجذّابة ـ فيما عدا الناس الروحانيين، فإنهم لا يعتبرون كل هذه الأشياء، بسبب حصولهم على اختبار مجد آخر هو مجد سماوي وخارج عن الجسد ولأنهم جُرحوا بجمال آخر لا يُنطق به، وصار لهم اهتمام وانشغال بغنى آخر وقد شعروا في الإنسان الباطن بروح آخر وصاروا شركاء له ـ فإن كان أهل هذا العالم الذين لهم روح العالم يرغبون بشدة أن يلقوا ولو نظرة على الملك الأرضي بكل جماله ومجده ـ بسبب أن نصيبه من الخيرات المنظورة أكبر من غيره من الناس، وهكذا فإن رؤيته هي امتياز وموضوع اشتهاء للجميع، وكل إنسان يقول في نفسه سرًا "ليت أحدًا يعطينى ذلك المجد والجمال والعظمة"، وينسب السعادة لذلك الإنسان ـ أى الملك، رغم أنه مثله من الأرض وله شهوات مثله ومائت أيضًا، ولكنه موضوع اشتهاء بسبب الجمال والمجد واللذان يتزين بهما لفترة محدودة من الزمن.

٦ ـ وأقول أيضًا إن كان الناس الجسديين يشتهون مجد ملك أرضى، فكم بالأكثر أولئك الذين تساقط عليهم ندى روح الحياة، أى ندى اللاهوت، وجرح قلوبهم بحب إلهي للمسيح الملك السماوي، وارتبطوا بذلك الجمال وبذلك المجد الفائق الوصف والحسن غير المائت، والغنى الذي يفوق التصور، غنى المسيح الملك الحقيقى الأبدي، وبرغبة يشتاقون نحو ذلك الذي أسرهم بحبه واستعبدهم، وبكل كيانهم يميلون إليه، ويشتهون نوال تلك الخيرات التي تفوق الوصف، التي يرونها بالروح كما في مرآة، ومن أجله يعتبرون كل بهاء الملوك والرؤساء على الأرض ومحاسنهم وأمجادهم وكرامتهم وغناهم، كلها كلا شيء بالمرة، لأنهم

مجروحون بالجمال الإلهي وقد تساقطت قطرات حياة الخلود السماوية على نفوسهم. لذلك فإن شهوتهم موجهة نحو محبة الملك السماوي، ويضعونه أمام عيونهم بحب عظيم، ومن أجله يتخلون عن كل محبة عالمية، ويبتعدون عن كل رباط أرضى حتى تكون لهم الحرية دائمًا في أن يحفظوا في قلوبهم تلك الشهوة وحدها، ولا يخلطون بها شيئًا آخر.

بيت الروح الأبدي:

٧ ـ ويخبرنا الرسول المبارك بولس بما ينبغي لكل واحد منا أن يسعى للحصول عليه في هذه الحياة إذ يقول " إننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا بناء من الله، بيت غير مصنوع بالأيدى، بل هو أبدى في السموات" (١كو٥:١) لذلك يجب علينا جميعًا أن نجتهد ونسعى بكل نوع من الفضيلة، وأن نؤمن أننا سنقتنى ذلك البيت ونمتلكه منذ الآن. لأنه إن كان بيت جسدنا ينقض فليس لنا بيت آخر للنفس لكى تدخل فيه. يقول الرسول " وإن كنا لا بسين لا نوجد عراة" (٢كو٥:٣) أى عراة من شركة الروح القدس والاندماج فيه، هذا الروح الذي فيه وحده تستطيع النفس المؤمنة أن تجد راحة.

لهذا السبب فإن المسيحيين الذين هم مسيحيون بالحق وبالفاعلية يكون لهم ثقة ويفرحون عند خروجهم من الجسد لأن لهم ذلك البيت غير المصنوع بالأيدي، ذلك البيت الذي هو قوة الروح الساكن فيهم. لذلك فحتى إن نقض بيت الجسد فلا يخافون لأن لهم البيت السماوي بيت الروح والمجد الذي لا يفسد، ذلك المجد الذي سوف يبنى بيت الجسد أيضًا ويمجّده في يوم القيامة كما يخبرنا الرسول " فالذي أقام المسيح من الأموات سيحي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو٨:١١)، وقال أيضًا " لكى تظهر حياة يسوع أيضًا في جسدنا المائت" (٢كو٤:١١)، وأيضًا " لكى يُبتلع المائت من الحياة" (٢كو٥:٤).

٨ ـ فلنسعَ إذن بالإيمان والحياة الفاضلة لكى نقتنى ذلك اللباس هنا، حتى حينما نخلع الجسد لا نوجد عراة، إذ لا يكون هناك شيء في ذلك اليوم يجعل جسدنا ممجد. لأن كل واحد بقدر ما يُحسب أهلاً ـ بواسطة الإيمان والاجتهاد ليصير شريكًا للروح القدس بقدر ذلك يتمجد جسده في ذلك اليوم. فكل ما خزنته النفس في داخلها في هذه الحياة الحاضرة، سوف يعلن حينئذ وينكشف من الخارج ظاهرًا في الجسد.

وكما أن الأشجار التي تجوز موسم الشتاء، حينما تدفئها الحرارة غير المنظورة التي للشمس والرياح، ينمو من باطنها كساء من الأوراق ويغطيها، وكما أنه في ذلك الموسم تخرج زهور العشب من باطن الأرض وتتغطى الأرض وتكتسي بها، ويكون العشب مثل تلك الزنابق التي قال عنها الرب " إنها ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها" (مت٦:٢٩) وكل هذه أمثال ونماذج ورموز عن المسيحيين في القيامة. كذلك كل النفوس التي تحب الله أعنى المسيحيون

الحقيقيون فإنه يأتيهم أول الشهور الذي يسمى نيسان: الذي هو يوم القيامة. وبقوة شمس البر يخرج مجد الروح القدس من الداخل فيكسو ويغطى أجساد القديسين ـ ذلك المجد الذي كان لهم سابقًا، ولكنه كان مخفيًا في داخل نفوسهم. فإن ما يكون للإنسان الآن، سوف يظهر بعينه خارجًا من الداخل وينكشف في جسده.

٩ ـ يقول الرب " هذا الشهر سيكون أول شهور السنة" (خر ١٢:٢)، وهو يجلب الفرح للخليقة كلها فإنه يكسو الأشجار العالية ويفتح الأرض وهو يبهج جميع الكائنات الحيّة ويعطى المرح للكل، هذا بالنسبة للمسيحيين هو نيسان أول الشهور الذي هو موسم القيامة، الذي فيه ستتمجّد أجسادهم بواسطة النور الفائق الوصف الذي هو فيهم منذ الآن ـ وأعنى به قوة الروح القدس ـ والذي سوف يصير لهم فيما بعد كساءً وطعامًا وشرابًا وبهجة وفرحًا وسلامًا، ورداءً وحياة أبدية، لأن كل جمال البهاء والبريق السماوي سوف يصير لهم من روح اللاهوت ذلك الذي حُسبوا أهلاً لقبوله في هذه الحياة الحاضرة.

١٠ ـ فكم ينبغي إذن لكل واحد منا أن يؤمن ويجتهد وأن يجد في كل سيرة فاضلة، وبرجاء كثير وصبر نطلب أن نحسب أهلاً ونحن في هذا العالم، لنوال تلك القوة من السماء ومجد الروح القدس في نفوسنا في الداخل، حتى حينما تنحل أجسادنا يكون عندنا حينئذٍ ما سوف يكسونا ويحيينا . كما يقول الرسول " وإن كنا لا بسين لا نوجد عراة" (٢كو٥:٣)، وأيضًا إنه " سيحيى أجسادنا المائتة أيضًا بروحه الساكن فينا" (رو٨:١١).

لأن موسى النبى المبارك أرانا في مثال ـ بواسطة مجد الروح الذي سطع على وجهه الذي لم يستطع أحد أن يتفرس فيه ـ كيف أنه في قيامة الأبرار ستتمجّد أجساد أولئك المستحقين، بمجد تحصل عليه منذ الآن النفوس المقدسة الأمينة إذ تُحسب أهلاً لاقتناء هذا المجد في داخلها، في الإنسان الباطن. لأن الرسول يقول: " ونحن ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف ـ أى في الإنسان الباطن ـ كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد" (٢كو٣:١٨). وكذلك كُتب عن موسى أنه لمدة أربعين يومًا وأربعين ليلة " لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماءً" (خر ٢٤:٧٨) ولم يكن ممكنًا بطبيعة جسده أن يعيش طوال هذه المدة بدون طعام إن لم يكن قد اشترك في نوع آخر من الطعام الروحانى، هذا الطعام هو الذي تشترك فيه نفوس القديسين منذ الآن بموهبة الروح بطريقة غير منظورة.

١١ ـ لذلك فإن موسى المبارك بيَّن بطريقتين ما هو مجد النور وما هي أطعمة الروح اللذيذة غير المادية التي سيحصل عليها المسيحيون الحقيقيون في القيامة، والتي تُمنح لهم منذ الآن بطريقة خفيّة، ولذلك فسوف تظهر حينئذٍ وتنكشف أيضًا على أجسادهم، لأن المجد الذي يحصل عليه القديسون الآن في نفوسهم ـ أى في الحياة الحاضرة ـ هو بعينه، كما قلنا سابقًا سوف يغطى ويكسو

أجسادهم العارية ويختطفهم إلى السماء، فنستريح هناك مع الرب في ملكوته جسدًا ونفسًا إلى الأبد.

فإنه حينما خلق الله آدم لم يزوده بأجنحة جسدية مثل الطيور ولكن قصد له في الأصل أن تكون له أجنحة الروح القدس، تلك الأجنحة التي قصد أن يعطيها له في القيامة لترفعه وتختطفه إلى حيث يشاء الروح ـ هذه هي الأجنحة التي تنال النفوس المقدسة امتياز الحصول عليها منذ الآن، وتطير في عقولها إلى المجال السماوي.

فالمسيحيون لهم عالم مختلف خاص بهم، ومائدة أخرى وثوب آخر ونوع آخر من التمتع والتنعم، وشركة أخرى وطريقة أخرى للتفكير والعقل، ولهذا السبب فإنهم يتميزون عن باقى البشر. إذ أن لهم الامتياز أن ينالوا قوة هذه الأمور في داخل نفوسهم منذ الآن بواسطة الروح القدس. لذلك فإن أجسادهم تُحسب أهلاً في القيامة للاشتراك في خيرات الروح الأبدية هذه، وسوف تختلط بذلك المجد الذي قد عرفته نفوسهم بالاختبار في هذه الحياة.

١٢ ـ لذلك يجب على كل واحد منا أن يجتهد ويسعى ويجد في كل فضيلة، وان يؤمن ويطلب من الرب لكى يجعل الإنسان الباطن شريكًا في ذلك المجد هنا منذ الآن وأن تصير للنفس شركة في قداسة الروح، لكى ما نتطهر من أدناس الشر وليكون لنا في القيامة ما نكسو به عرى أجسادنا عند قيامتها وما نغطى به عيوبها، وما يحييها وينعشها إلى الأبد في ملكوت السموات لأن المسيح سوف ينزل من السماء، ويقيم نسل آدم كله الذين رقدوا من بدء العالم، حسب الكتب المقدسة وسيقسمهم جميعًا إلى قسمين، فأولئك الذين يحملون علامته أى ختم الروح سيدعوهم إليه باعتبارهم خاصته وسيقيمهم عن يمينه، كما يقول " لأن خرفي تسمع صوتى ـ وأنا أعرف خاصتي وخاصتي تعرفنى" (يو ١٠: ١٤، ٢٧) وحينئذ تلتحف أجساد هؤلاء بالمجد الإلهي من أعمالهم الصالحة، ويمتلئون من مجد الروح، وهكذا إذ نتمجد في النور الإلهي ونختطف إلى السماء لنلاقى الرب في الهواء حسب المكتوب (انظر ١تس٤: ١٧)، فإننا نكون كل حين مع الرب مبتهجين معه إلى دهر الدهور بلا نهاية

العظة السادسة
الصلاة بهدوء ـ معنى العروش والأكاليل

الذين يريدون أن يرضوا الله ينبغي أن يقدموا صلواتهم بهدوء وسلام وبوداعة وحكمة، ولا يسببوا عثرة للآخرين بصياحهم بأصوات عالية. هذه العظة تحتوى أيضا على سؤالين، الأول هو هل العروش والأكاليل هي خلائق حقيقية أم لا؟ والثاني عن كراسي إسرائيل الاثني عشر.

الصلاة بهدوء وسلام:

١ـ أولئك الذين يقتربون إلى الرب ينبغي أن يقدموا صلواتهم بهدوء وسلام وثبات عظيم، ويثبتوا نظر عقولهم نحو الرب، ليس بصرخات غير ملائمة ومضطربة، بل باجتهاد قلب حار وأفكار يقظة. كما يحدث في حالة بعض الأمراض، أن علاج المريض يستلزم إجراء كي له أو عملية جراحية، فالبعض يحتملون ألم الكي أو الجراحة بشجاعة وصبر وضبط نفس بدون صراخ أو اضطراب، بينما آخرون عندما تجرى لهم نفس عملية الكي أو الجراحة فانهم لا يحتملون نار الكي أو مشرط الجراح ويضجون بصرخات عالية مزعجة غير ملائمة. ومع ذلك فإن ألم الإنسان الذي يصرخ عاليا هو نفس ألم ذلك الإنسان الذي لا يصنع اضطرابا .هكذا أيضا فهناك بعض الناس يحتملون شدائد وأحزان تأتى على نفوسهم بصبر ويتقبلونها بخضوع ولا يصنعون اضطرابا وانزعاجا بل يضبطون أنفسهم بالتأمل العقلي في الرب (في داخل قلوبهم)، بينما آخرون حينما تحل بهم نفس الشدائد والأحزان، يفقدون قوة احتمالهم ويقدّمون صلواتهم بأصوات مضطربة مزعجة تضايق وتعثر أولئك الذين يسمعونهم. وهناك آخرون أيضا رغم أنهم في الحقيقة لا يعانون من شدائد أو أحزان ولكنهم لأجل التفاخر والرغبة في التميّز يصلون بصراخ وبدون انضباط ظانين أنهم بواسطة هذه الأصوات العالية – يستطيعون أن يرضوا الله .

٢ـ ولا ينبغي لأي واحد من خدام الله أن يفقد ضبط نفسه، بل ينبغي أن يكون في كل وداعة وحكمة، كما يقول الرب " إلى من انظر ـ ألاّ إلى الوديع والمتواضع الروح والمرتعد من كلامي" (أش٦٦:٢ السبعينية). وفي حالة كل من موسى وإيليا نجد في الظهورات التي مُنحت لهم، أنه رغم وجود خدمة أبواق عظيمة وقوات أمام عظمة الرب، إلاّ أن حضور الرب كان يتميّز بين الكل وعن الكل، وكان يظهر في هدوء وسلام وراحة لأن الكتاب يقول: "وإذ صوت منخفض خفيف" (١مل١٩: ٢) وكان الرب في هذا الصوت. وهذا يبين أن راحة الرب هي في الهدوء والسلام والسكون. وبحسب الأساس الذي يضعه الإنسان، وبحسب الطريقة التي يبدأ بها فانه يستمر في نفس الخط إلى النهاية. فان ابتدأ يصلى بصوت عالي وصراخ مزعج، فانه يستمر في هذه العادة إلى النهاية، ولكن لأن الرب محب البشر، فانه يهب عونه ورعايته حتى لمثل هؤلاء الأشخاص ولذلك فانهم بواسطة تشجيع النعمة يستمرون بنفس هذه الطريقة إلى النهاية.
ومع ذلك يتضح أن هذا هو حال الذين لم يتهذبوا بعد (بالروح)، لأنهم يسببون عثرة للآخرين وفي نفس الوقت يكونون هم أنفسهم في اضطراب وتشويش في صلواتهم.

٣ـ إن أساس الخدمة الحقيقي هو هذا: أن نركز انتباهنا، ونصلى بهدوء عظيم وسلام، حتى لا نسبب عثرة لأولئك الذين في الخارج. والإنسان الذي يصلى هكذا، إذا حصل على نعمة الله ورضاه على صلاته واستمر إلى النهاية في هدوء فانه

سيبنى كثيرين غيره " لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام" (١كو١٤:٣٣). وأولئك الذين يصلون بضجيج وصراخ فإنهم يشبهون الإنسان الذي يصيح عاليا ليضبط إيقاع المجدفين في السفينة. هؤلاء لا يستطيعون أن يصلّوا هكذا في كل مكان لا في الكنائس، ولا في القرى، ربما يستطيعون فقط أن يصلّوا في الصحارى كما يريدون. أما أولئك الذين يصلون بهدوء فإنهم يبنون كل إنسان في كل مكان. وينبغي أن يكون حرص الإنسان وجهده كله موجها ومسلطا على أفكاره، فينبغي أن يقطع الشجرة الكثيفة المتشابكة ـ شجرة الأفكار الشريرة التي تقلقه وتهاجمه ويلقى بنفسه على الله، ولا يدع أفكاره تحمله حيث تشاء، بل يجمع أفكاره حينما تجول في كل اتجاه ويميّز بين الأفكار الطبيعية والأفكار الشريرة. والنفس لأنها تحت الخطية فإنها تكاد تشبه غابة كبيرة قائمة على جبل، أو مثل عيدان الغاب في النهر أو مثل غابة أشواك وأدغال.
فالذين يريدون أن يعبروا خلال هذا المكان يلزمهم أن يرفعوا أيديهم ويجتهدوا بكل قوة أن يدفعوا جانبا الأدغال والأشواك التي تزعجهم. وبالمثل فان الأفكار التي تأتى من القوة المعادية يزعج النفس مثل الأدغال والأشواك لذلك يلزمنا سهر وانتباه كثير وعقل يقظ، لكي نميّز ونعرف الأفكار التي ليست منا بل هي من إيحاء القوة المعادية لنا.

٤ ـ فهناك إنسان يثق في قدراته الخاصة فيظن أنه يمكنه أن يجتاز الجبال المحيطة به بقدرته، وإنسان آخر يضبط عقله بهدوء وتبصّر وتميّيز فينهي عمله ويتممه أفضل من الشخص الأول وبدون أن يتعب نفسه كثيرًا. وهكذا الأمر فيما يختص بالصلاة ، فان البعض يصيحون في الصلاة صيحات عالية غير ملائمة، كما لو كانوا يعتمدون على قوة عضلاتهم، وهم لا يعرفون كيف تخدعهم أفكارهم وتوهمهم أنهم يستطيعون أن يحققوا نجاحا كاملا بقوتهم الخاصة. بينما يوجد آخرون ينتبهون لأفكارهم ويتمّمون كل العمل والجهاد في الداخل. فهؤلاء عن طريق فهمهم وتمييزهم يستطيعون أن يصلوا إلى النجاح وأن يتخلصوا من عصيان الأفكار المتمردة، وأن يسيروا بحسب مشيئة الرب.
ونجد في كلام الرسول بولس أنه يقول: إن الذي يبنى الآخرين أعظم من الذي لا يبنيهم إذ يقول: " إن الذي يتكلم بلسان يبنى نفسه أما الذي يتنبأ فيبنى الكنيسة.. لأن من يتنبأ أعظم ممن يتكلم بألسنة" (١كو١٤:٤،٥) لذلك فليختار كل واحد أن يبنى غيره وهكذا يُمنح له ميراث ملكوت السموات .

العروش والأكاليل :

٥ ـ "سؤال" إن بعض الناس يخبروننا أن العروش والأكاليل هي خلائق حقيقية وليست أشياء روحانية، فكيف ينبغي ان نفهم ذلك ؟
"جواب" إن عرش اللاهوت هو عقلنا وأيضًا عرش العقل هو اللاهوت والروح. وبنفس الطريقة فإن الشيطان وقوات الظلمة ورؤسائها ـ منذ تعدى

الوصية ـ قد جلسوا في قلب وعقل وجسد آدم كأنه كرسي الشيطان وعرش لهم، ولهذا جاء الرب وأخذ جسدًا من العذراء. لأنه لو كان قد شاء أن ينزل إلينا بلاهوته المكشوف بدون جسد فمن كان يستطيع أن يتحمل رؤيته؟ لذلك فقد تكلّم إلى الناس بواسطة الجسد كأداة. وبهذه الطريقة فقد قضى على أرواح الشر التي كانت قد اتخذت لها مسكنًا ومجلسًا في الجسد أى كرسى العقل والفكر التي سكنت فيه، فجاء الرب وطهّر الضمير وجعل الأفكار كرسيًا له.

٦ ـ "سؤال" إذن ما هو معنى الآية " إنكم تجلسون على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (مت١٩:٢٨).

الجواب: إننا نجد أن هذا قد حدث فعلاً على الأرض بعد أن أصعد الرب إلى السماء. لأنه أرسل الروح المعزى على الاثني عشر رسولاً فجاءت القوة المقدسة من الأعالي ونصبت خيمتها وجلست على كراسي عقولهم. وحين قال الواقفون " إنهم قد امتلاؤا سلافة" (أع ٢:١٣) بدأ بطرس في الحال أن يحكم عليهم متكلمًا عن يسوع قائلاً: " يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده.." (أع٢:٢٢ـ٤، أع٥:٣٠) إن هؤلاء ليسوا بسكارى لأنه مكتوب " ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم" (أع ٢:١٧) فجاء كثيرون إلى التوبة بتأثير تعليم بطرس وهكذا بدأ عالم جديد في الوجود، عالم مختار من الله .

٧ ـ ألاَ ترون كيف ظهرت بداية الدينونة؟ فقد ظهر هناك عالم جديد، وهكذا أعطى لهم سلطان أن يجلسوا ويجروا الدينونة حتى في هذا العالم. ولكنهم سوف يجلسون ثانية ويدينون عند مجيء الرب في قيامة الأموات. ولكن قد بدأت هذه الدينونة هنا على الأرض حينما جلس الروح القدس على كراسي عقولهم. إن الأكاليل (التيجان) التي سينالها المسيحيون في الدهر التي هي غير مخلوقة. والذين يقولون إنها مخلوقة هم مخطئون. والروح يستخدم هذه الأوصاف كرموز وإشارات للحقيقة. فماذا يقول الرسول عن أورشليم السماوية؟ يقول "هذه هي أمنا جميعًا" (غلا٤:٢٦) وهذا هو اعترافنا نحن أيضًا. وأما عن اللباس الذي يلبسه المسيحيون فواضح أن الروح نفسه هو الذي يكسوهم، باسم الآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين

العظة السابعة
محبة المسيح للإنسان

" في محبة المسيح وإحسانه نحو الإنسان. وتحتوى العظة بعض أسئلة وأجوبة"

محبة المسيح المذهلة :

١ ـ إذا تصورنا إنسانًا يدخل قصرًا ملوكيًا ليرى الصور وأعمال الفن الموجودة فيه، وما فيه من كنوز وأثاث، موضوعة في مكان من القصر، وأشياء أخرى ثمينة موضوعة في مكان آخر منه، وتصوّر ذلك الإنسان وقد جلس مع الملك على المائدة، وقد وضعت أمامه المأكولات والمشروبات اللذيذة، ويمتلئ انشراحا من كل ناحية، بتأمله في كل الأشياء الجميلة هناك، ثم بعد كل ذلك يُطرد ذلك الإنسان من هناك ويُلقى في أماكن قذرة. أو تصوروا عذراء جميلة تفوق بنات جنسها في جمالها وحكمتها وغناها، إلا أنها تتزوج برجل فقير دنئ قبيح الشكل، يلبس الخرق، فتنزع عنه ثيابه الرثة وتلبسه ثيابًا ملوكيًا وتضع تاجًا على رأسه وتتزوجه متحدة به، فيأخذ ذلك المسكين في التعجب والانذهال قائلاً: "هل لي أنا البائس المسكين الوضيع الدنيء أن أحوز مثل هذه الزوجة؟" وهذا هو ما صنعه الله مع الإنسان المسكين الشقي. فقد أعطى الإنسان أن يذوق عالمًا آخر ويذوق طعامًا لذيذًا، إذ قد أظهر له الأمجاد والجمال الملوكي الفائق الوصف أى الجمال السماوي، وعندما يقارن الإنسان هذه الأمجاد الروحانية بأمور هذا العالم فانه يترك هذه الأخيرة. وسواء كان ما يقع نظره عليه في هذا العالم، هو ملك أو أمير أو حكيم فإنه يحوّل نظره ويثبّته في الكنز السماوي. ولأن الله محبة، فقد أعطى للإنسان أن ينال نار المسيح الإلهية، التي بها يصير في راحة، ويفرح متهللاً، ويثبت هناك دائمًا.

٢ـ سؤال: هل الشيطان حاضر مع الله سواء في الهواء أو بين الناس؟
الجواب: إن الشمس المنظورة هي إحدى المخلوقات، ومع ذلك، فهي تشرق على الأماكن القذرة دون أن تصاب بأي ضرر، فكم بالأحرى يستطيع الله الحيّ أن يكون حاضرًا في نفس المكان الذي فيه الشيطان دون أن يتدنس أو يتلوث. ولكن الشرير مصاب بالظلمة والعمى ولا يستطيع أن يرى نقاوة وجمال الله. وإما إن قال أحد أن الشيطان له مكانه الخاص والله له مكان آخر فانه بذلك يجعل الله محدودًا خارج المكان الذي يسكن فيه الشرير. فكيف نستطيع عندئذ أن نقول أن الصلاح والخير غير محصور، ويفوق الإدراك، وأن كل الأشياء موجودة فيه، ومع ذلك فإن الصلاح لا يتلوث بالشر، فماذا إذًا؟ هل لأن السماء والشمس والجبال هي في الله وهي قائمة به، فهل معنى ذلك أنها هي الله حاشا. بل إن الأشياء المخلوقة لها قوامها بحسب نظام خلقتها الخاص، ولكن الخالق وحده ـ الحاضر مع خلائقه ـ هو الله.

٣ ـ سؤال: حيث إن الخطية يمكن أن تتخذ شكل ملاك نور لتبدو في صورة النعمة، فكيف يميّز الإنسان ويكشف خداعات الشرير وكيف يميّز أعمال النعمة ليرحب بها. ويقبلها ؟
الجواب: إن أمور النعمة يصاحبها فرح وسلام ومحبة وحق. والحق ذاته يحث الإنسان على طلب الحق، أما أشكال الخطية فيصاحبها اضطراب وليس محبة أو فرح نحو الله. كما أن نبات الهندباء يشبه الخس، ولكن أحدهما وهو الخس حلو وإنما الآخر ـ رغم كل مشابهته للخس إلاّ أنه مر ـ هكذا الحال في مجال النعمة

نفسها، فانه يوجد ما هو شبيه بالحق، كما أن هناك جوهر الحق نفسه. فشعاع الشمس هو شيء وقرص الشمس نفسه هو شيء آخر. ودرجة الإضاءة التي يعطيها الشعاع تختلف عن درجة إضاءة النور داخل قرص الشمس. فالمصباح الذي يضاء في المنزل يسطع شعاعه في كل البيت ولكن النور داخل المصباح نفسه أشد لمعانًا وبريقًا. وبنفس الطريقة في أمور النعمة، فحينما يلمح الإنسان النعمة من على بعد، فإنه يفرح بالنظر إليها، ولكنه يتغير ويصير شيئًا آخر تمامًا، حين تدخل فيه قوة الله وتملأ قلبه وكل أعضائه وتستأسر عقله لمحبة الله.
فحينما أمسكوا بطرس ووضعوه في السجن جاء ملاك الرب وكسر السلاسل وأخرجه، وهو مثل شخص في حالة ذهول، ظن أنه ينظر رؤيا.

٤ـ سؤال: كيف يحدث أن يسقط الناس الذين تفعل فيهم نعمة الله؟
الجواب: حتى الكائنات العقلية تماما في طبيعتها هي معرّضة للزلل والسقوط. فالإنسان الذي يبتدئ أن يتشامخ، ويرتفع، يوبخ غيره قائلاً له: "أنت خاطئ"، بينما يعتبر نفسه بارًا. ألا تعلم ما يقوله القديس بولس: "ولئلا ارتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا ارتفع" (٢كو١٢: ٧) لأنه حتى الطبيعة النقيّة معرّضة للميل إلى التشامخ والارتفاع.

٥ ـ سؤال: هل يستطيع الإنسان أن يرى نفسه بواسطة النور؟
فإن بعض الناس يرفضون الإعلان الإلهي ويؤكدون أن الرؤى إنما تأتى بواسطة المعرفة والحواس؟
الجواب: إن العقل يختلف عن الرؤية، والرؤية غير الاستنارة والإنسان الذي عنده استنارة هو أعظم من الذي له عقل ومعرفة. لأن الإنسان المستنير قد نال عقله استنارة أكثر من الإنسان الذي له معرفة فقط. كما يظهر من رؤيته لرؤى داخل نفسه، لا يمكن أن تكون موضع شك. ولكن الإعلان هو شيء أعلى من الرؤى. فإن أمور الله العظيمة وأسراره إنما تعلن للنفس بواسطة الإعلان والوحي.

٦ـ سؤال: هل يرى الإنسان النفس بواسطة الوحي (الإعلان) والنور الإلهي؟
الجواب: كما تنظر عيوننا الشمس، كذلك ينظر المستنيرون صورة النفس ولكن قليل من المسيحيين يبلغون إلى هذه الاستنارة.

٧ ـ سؤال: هل النفس لها شكل ما؟
الجواب: إن النفس لها صورة وشكل كما أن الملاك له صورة وشكل، وكما أن الملائكة لهم صورة وشكل، وأيضا كما أن الإنسان الخارجي له صورته الخاصة هكذا الإنسان الداخلي له صورة مثل الملاك، وله شكل يقابل الشكل الخارجي.

٨ ـ سؤال : هل العقل شيء والنفس شيء آخر ؟

الجواب: كما أن أعضاء الجسد وهي كثيرة تدعى إنسانًا واحدًا هكذا النفس لها أعضاء كثيرة وهي: العقل، والضمير، والإرادة، والأفكار " المشتكية والمحتجة" (رو٢:١٥) وكل هذه مرتبطة معًا في نفس واحدة، إذ توجد أعضاء كثيرة أما النفس فهي واحدة، أى الإنسان الباطن. ولكن كما أن العيون الخارجية تكشف قدامها، من على بعد، الأشواك والمهاوى والحفر، وتعطى إنذارًا مقدمًا، هكذا العقل حينما يكون في يقظة وانتباه، فإنه يكشف حيل وخداعات القوة المعادية ويسبق فيحصّن النفس مقدمًا، إنه بالحقيقة هو عين النفس. فلنعطِ المجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد آم

العظة الثامنة
حالات الصلاة ـ ودرجة الكمال

" في الأشياء التي تحدث للمسيحيين وقت الصلاة، وعن درجات الكمال ـ وهل من الممكن للمسيحيين أن يصلوا إلى حالة الكمال ".

١ ـ قد يدخل الإنسان (إلى المخدع) ويركع، ويمتلئ قلبه بالحرارة الإلهية، وتفرح نفسه مع الرب كما تفرح العروس مع عريسها حسب كلمة إشعياء النبى الذي يقول "وكفرح العريس مع العروس يفرح بك إلهك" (إش٦٢:٥) وقد يحدث أن هذا الشخص الذي يكون مشغولا النهار كله يعطى نفسه للصلاة لمدة ساعة، ويخطف الإنسان الباطن في الصلاة إلى العمق الذي ليس له قرار، عمق ذلك العالم الآخر، وهو في حالة عظيمة حتى أن عقله كله يتغرّب، إذ يرفع وينقل وينفصل مبتعدًا عن الأشياء الأرضية. وفي أثناء هذه الفترة تحصل له حالة نسيان للاهتمامات والتفكير الأرضى. لأن أفكاره تكون مملوءة ومأسورة بالأمور الإلهية السماوية، والأشياء التي لا نهاية لها والتي تفوق الإدراك، الأشياء العجيبة الأكيدة التي لا يستطيع لسان بشرّى أن يُعبّر عنها، حتى أنه يصلّى ويقول في تلك الساعة " يا ليت نفسى تخرج مع صلاتى!".

النعمة بين الاشتعال والتراجع :

٢ـ سؤال: هل يستطيع كل واحد أن يدخل إلى هذه الأشياء في كل وقت؟
الجواب: إن النعمة حاضرة بلا انقطاع ـ وهي متأصلة فينا وممتزجة بنا مثل الخميرة منذ أول عمرنا إلى أن تصير ثابتة في الإنسان كطاقة طبيعية فيه وكأنها قد صارت جوهرًا واحدًا معه. ولكنها ترشد الإنسان بطرق متنوعة لأجل خيره وخلاصه بحسب تدبير النعمة. فأحيانًا تشتعل النار وتضطرم بشدة زائدة، وفي أحيان أخرى تكون خفيفة ولطيفة في اشتعالها، وكذلك النور الذي تعطيه يشتعل أحيانا بلهيب وبريق زائد، وفي أوقات أخرى تخف شدة البريق وتضعف. فالمصباح (أى قنديل النعمة) هو مشتعل ومضيء دائمًا، ولكن حينما يتألق ويتوهج، فإنه

يشتعل كأنه سكران بمحبة الله، ثم يخفت أيضا بتدبير الله، ورغم أن النور يكون موجودًا حتى عندما يخفت، إلا أنه بالمقارنة بأوقات التوهج فإنه يُعتبر مظلمًا بعض الشيء.

٣ ـ والبعض (أثناء الصلاة) ظهرت لهم علامة الصليب مضيئة بنور والتصقت بالإنسان الباطن. وفي مرة أخرى حصل لإنسان ذهول في وسط الصلاة، فوجد نفسه واقفا عند المذبح في الكنيسة، وقد قُدّمت له ثلاثة أرغفة مخمّرة بزيت، وكان كلما أكل منها، ازدادت وكثرت. وفي مرة أخرى أحضر له مثل ثوب لامع مضيء، لا مثيل له على الأرض في هذا العالم، ولا تستطيع أيدي بشرّية أن تصنع مثله، فكما حدث حينما صعد الرب إلى الجبل مع بطرس ويوحنا، تغيّرت هيئة لباسه، وصار يلمع بالنور، هكذا الحال أيضًا مع هذا الثوب، وكان الإنسان الذي يلبسه، متعجبًا ومنذهلاً منه. وفي مرة أخرى، فإن النور المضيء في القلب كشف عن النور الداخلي العميق المختفي، حتى أنه لما ابتلع من حلاوة التأمل، لم يعد يضبط نفسه، بل كان كأحمق أو جاهل بالنسبة لهذا العالم، وذلك بسبب المحبة والحلاوة الفائقة الحد، وبسبب الأسرار المخفية، حتى أن الإنسان في هذا الوقت، يصير في حرية ويصل إلى درجة من درجات الكمال، ويكون نقيًا وحرًا من الخطية، ولكن بعد هذا كله تتراجع النعمة في تدفقها، ويقابله حجاب القوة المعادية، ولكن بالرغم من ذلك تظهر النعمة ذاتها جزئيًا، ويقف هو على الدرجة الأولى والسفلى من درجات الكمال.

٤ ـ ويمكن أن نقول، إنه توجد اثنتي عشرة درجة، يعبر بها الإنسان قبل أن يصل إلى الكمال: وقد يصل الإنسان إلى هذا المقياس ويدخل في حالة الكمال ويكون فيها لفترة ما، وبعد ذلك ترتخى النعمة عنه فينزل درجة واحدة إلى أسفل ويقف على الدرجة الحادية عشر.. وأما الإنسان الغنى في النعمة فيظل دائمًا، ليلا ونهارًا في حالة الكمال، في حرية ونقاوة، مأسورا دائما ومأخوذا إلى فوق في السمو. فالآن إن هذا الإنسان الذي تُكشف له تلك الأشياء العجيبة ويختبرها اختبارا حقيقيا، لو أنها كانت حاضرة معه كل حين بلا انقطاع فانه لن يستطيع أن يقوم بتدبير الكلام ولا أن يحمل مسئولية أى عمل، ولا يستطيع أن يسمع أو أن يهتم بأي شيء عادى يختص بنفسه، أو بالغير، بل إنما يجلس في زاوية في حالة علو وسكر روحانى ولهذا السبب لم تعط درجة الكمال بصورة مستمرة للإنسان، حتى يستطيع الإنسان أن يهتم باخوته، ويهتم بخدمة الكلمة، ومع ذلك فإن "حائط السياج المتوسط قد نقض" (أف ٢: ١٤) والموت قد انغلب.

٥ ـ وتشبه هذه الحالة سحابة معتمة حول مصباح، تحجبه بخفة كالهواء الكثيف، رغم أن المصباح مشتعل ومضيء طول الوقت، مع وجود الحجاب المحيط بنور المصباح.

هكذا هذا الإنسان، فإنه يعترف ويقول أنه ليس كاملاً وليس حرًا تمامًا من الخطية. وهو يقول إن حائط السياج المتوسط قد نقض وهدم، ومع ذلك يقول إن بعض أجزاء منه لم تهدم تمامًا أو لم تهدم في كل الأوقات. ففي بعض اللحظات تشتعل النعمة وتعزى وتريح وتنعش بدرجة عالية، وفي لحظات أخرى ترتخى ويخفت نورها ويصير معتما (بعض الشيء). وذلك بحسب تدبير النعمة نفسها، لما فيه منفعة الإنسان. ولكن من هو الإنسان الذي وصل إلى الدرجة الكاملة في أزمنة النعمة الخاصة، وقد تذوق ذلك العالم (العلوى) واختبره اختبارًا مباشرًا؟ إني لم أبصر حتى الآن إنسانًا مسيحيًا كاملاً، إنسانًا يحيا في حرية كاملة تمامًا. طبعًا يوجد هنا وهناك (مسيحيون) يقيمون براحة في النعمة، ويدخلون إلى الأسرار والإعلانات وإلى الحلاوة العظيمة التي للنعمة، ولا تزال الخطية حاضرة في الداخل. والناس يعتبرون أنفسهم أحرارًا وكاملين بسبب النعمة الكثيرة والنور الذي فيهم، ولكنهم ينخدعون بسبب قلّة الخبرة. هم تحت تأثير النعمة، ولكنى لم أرَ واحدا قط، حرًا تمامًا. وأنا نفسي وصلت جزئيا إلى هذه الدرجة في بعض الأحيان، وقد تعلّمت وعرفت أن ما وصلت إليه ليس هو حالة الكمال.

عمل النعمة في الإنسان :

٦ ـ سؤال: أخبرنا ـ إن شئت ـ ما هي الدرجات التي أنت فيها ؟
جواب: بعد (رشم) علامة الصليب. تفعل النعمة هكذا: إنها تهدئ كل الأعضاء وتهدئ القلب، حتى أن النفس من كثرة الفرح، تظهر كأنها طفل برئ، ولا يعود الإنسان يدين الوثني ولا اليهودي، ولا الخاطئ ولا الإنسان العالمي. بل أن الإنسان الباطن ينظر كل الناس بعين نقية، ويفرح الإنسان بالعالم كله، ويود أن الجميع يصيرون محبين ويعبدون الله معًا يهود وأمم. وفي لحظة أخرى يكون مثل ابن ملك، إذ يثق بابن الله كأب له، وتفتح له الأبواب فيدخل إلى منازل كثيرة (يو ١٤: ٢) في الداخل، وبقدر ما يتعمق إلى الداخل، تفتح له أبواب أكثر فأكثر ـ مئات منازل تقود إلى مئات منازل بعدها، ويصير غنيًا، وعلى قدر ما يزداد غنى، تكشف له عجائب كثيرة أخرى، ويؤتمن كابن ووارث على أشياء لا يستطيع لسان أو فم بشرى أن يعبّر عنها أو ينطق بها.
المجد لله. آمين.

العظة التاسعة
النعمة والتجارب ـ الالتصاق بالرب وحده

"إن مواعيد ونبوات الله تتحقق بواسطة محن وتجارب متنوعة، وأن الذين يلتصقون بالله وحده، ينقذون من تجربة الشرير" .

قانون عمل النعمة:

١ ـ إن الفاعلية الروحانية التي لنعمة الله في داخل النفس، تعمل عملها بصبر عظيم، وحكمة وتدبير سرّى للعقل، وفي أثناء ذلك يناضل الإنسان لأوقات وفترات طويلة باحتمال كثير، ثم ينكشف له أن عمل النعمة فيه، هو عمل كامل، وذلك عندما تمتحن إرادته بتجارب كثيرة ويتبرهن أنها (إرادته) مرضّية للروح، ويكون قد أظهر ثباتًا وصبرًا لفترة غير قصيرة. وسنبيّن أن هذا هو قانون عمل النعمة بأمثلة واضحة في الكتاب المقدس.

أمثلة من الكتاب المقدس:

٢ـ إن ما أقصده يظهر بوضوح في حالة يوسف، فقد اقتضى الأمر فترات طويلة من الزمن لكى تتحقق مشيئة الله وقصده السابق من جهة يوسف، وتتم الرؤيا التي رآها. وقد أمتحن بآلام وشدائد وأحزان وقد احتملها جميعًا، وقد وُجد في جميعها خادمًا كاملاً أمينًا لله، وبعد ذلك صار ملكًا على مصر وهو الذي عال أسرته وتحققت المناظر النبوية التي كان قد رآها قبل حدوثها بفترة طويلة ووصلت مشيئة الله إلى غايتها المحتومة من نحوه بعد زمن طويل وتدابير كثيرة.

٣ ـ كذلك الحال مع داود، فقد مسحه الله ملكا بواسطة صموئيل النبى، وبعد أن مُسح، هرب من شاول الذي كان يطارده لكى يقتله، فما معنى مسح الله له إذًا؟ وأين الوعد الذي وُعد به أن يصير ملكًا بعدما مُسح؟ فإنه بعد أن مُسح حلّت به شدائد كثيرة وكان يتجول في الصحارى، محرومًا حتى من الخبز ولجأ إلى الوثنيين بسبب مؤامرات شاول ضده. كل هذه المصائب الشديدة أحاطت بذلك الإنسان الذي مسحه الله ملكًا، وبعد أن تجرّب طويلاً وأمتحن، وبعد آلام وصبر، إذ قد وضع كل ثقته وإيمانه مرة واحدة في الله، وكأنه يقول لنفسه أن ما فعله الله بي بواسطة مسحة صموئيل النبى وما أمر الله به، لابد أن يحدث لي ولابد وأن يتحقق بدون أدنى شك، حتى وإن استلزم الأمر صبرًا كثيرًا، وبعد فترة من الوقت تمت مشيئة الله وتملّك داود بعد كل تجاربه. وحينئذ أشهرت كلمة الله، وتبرّهن أن المسحة التي مَسَحه بها على يديّ صموئيل النبى، إنما هي أكيدة وحقيقية.

٤ ـ وهكذا الحال مع موسى فقد سبق الله فعرفه، وسبق فعيّنه ليكون حاكمًا ومنقذًا للشعب، وجعله يصير ابنًا لابنة فرعون، وتربّى في غنى وبهاء ومجد الملوك، وتعلّم " بكل حكمة المصريين" (أع ٧:١٢) ولما بلغ سن الرجولة وصار عظيمًا، رفض كل تلك الأشياء مُفضِلاً بالأحرى شدائد المسيح وعاره، كما يقول الرسول "على أن يكون لي تمتع وقتي بالخطية" (عب١١:٢٥).
وهرب من مصر وصرف وقتًا طويلاً يعمل كراع للغنم، وهو الذي تربى كابن ملك وعاش في لذات القصر ونعيمه، وأخيرًا إذ وُجد مقبولاً لدى الله وأمينًا من خلال الصبر الكثير ـ إذ أنه احتمل تجارب عديدة ـ أصبح بعد ذلك منقذًا وقائدًا وملكًا

لإسرائيل، وقال الله له قد جعلتك " إلهًا لفرعون" (خر٧:١) وبواسطته ضرب الله مصر بضربات كثيرة وأظهر بواسطته عجائب عظيمة على فرعون، وأخيرًا أغرق المصريين في البحر، فانظر بعد كم من الوقت ظهرت وأعلنت مشيئة الله وقصده، وبعد كم من التجارب والشدائد تحققت هذه المشيئة.

٥ ـ وهكذا أيضًا مع إبراهيم فإن الله كان قد وعده منذ زمن طويل أن يعطيه ابنًا، ولكنه لم يعطه له في الحال، بل خلال سنوات طويلة حلّت به تجارب وضيقات! ولكن إبراهيم احتمل بصبر كل ما يأتى عليه وتقوى تمامًا بالإيمان موقنًا أن الذي وعد هو صادق ولا يمكن أن يكذب، بل سيتمم كلمته، وهكذا إذ آمن نال الموعد.

٦ ـ ونوح أيضاً، لما أمره الله وله من العمر خمسمائة سنة، أن يبنى الفلك، وأخبره أنه سيجلب طوفانا على العالم، ولم يأت الطوفان إلا عندما كان نوح ابن ستمائة سنة، فظل منتظرًا بصبر مائة سنة ولم يشك في قول الله له بل تقوى بالإيمان موقنًا بأن ما تكلم الله به لابد أن يحدث، وإذ وجد مقبولاً بسبب نية قلبه وإيمانه وصبره، خَلُّص هو وأهل بيته فقط، لأنه حفظ الوصية بنقاوة.

امتحان الإرادة وطاعة الوصايا:

٧ ـ لقد استخرجنا هذه البراهين من الكتب المقدسة لكى نبيّن أن نعمة الله في الإنسان، وموهبة الروح القدس المعطاة للنفس المؤمنة، تعمل مع جهاد كثير، وصبر عظيم وطول أناة، وتجارب وامتحانات، إذ تمتحن إرادة الإنسان الحرة بكل أنواع الشدائد. فإذا لم تحزن الروح في أى شيء، بل وجدت موافقة للنعمة بطاعتها لجميع الوصايا، فإنها تحسب حينئذ أهلا للحصول على الحرية من الشهوات وتنال ملء التبني بالروح ـ المتكلم عنه في سر ـ وتنال الغنى الروحي، والمعرفة والحكمة التي ليست من هذا العالم، هذه النعم التي قد أعطى للمسيحيين الحقيقيين أن يصيروا شركاء فيها. ولأجل هذا فإنهم أعلى من كل ذوى الفطنة والمعرفة والحكمة من أهل العالم الذين لهم روح العالم.

٨ ـ فإن الشخص الروحي " يحكم في كل شيء" (١كو٢:١٥) كما هو مكتوب. إنه يعرف كل إنسان، ومن أين يأتي بافكاره وكلامه وما هو موقفه والدرجات والمقاييس التي هو فيها، ولكن ليس أحد من أولئك الذين لهم روح العالم يستطيع أن يعرف الشخص الروحي أو يحكم فيه، إنما يستطيع أن يعرفه ذلك الذي له الروح السماوي ـ روح اللاهوت ـ مثله، وبذلك فإنه يكون له نفس معرفته كما يقول الرسول " قارنين الروحيات بالروحيات، ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل الأشياء الخاصة بروح الله لأنها في نظره جهالة، أما الروحي فيحكم في كل شيء، وهو نفسه لا يحكم فيه من أحد" (١كو٢:١٣ـ١٥) فمثل هذا الإنسان ينظر إلى كل الأشياء التي يفخر بها العالم، ينظر إلى كل غنى العالم ولذاته وتمتعاته ـ بل وحتى

معرفته ذاتها ـ وإلى كل الأشياء المختصة بهذا الدهر كأشياء مرفوضة وكريهة عنده .

نار حب المسيح:

٩ ـ وكما أن الإنسان الذي تتملكه الحمى الشديدة، يكره ويرفض أحلى الأطعمة والأشربة التي تقدم له بسبب اشتعال الحمى فيه، وشدة تأثيرها عليه، وهكذا الذين يشتعلون بالشهوة المقدسة، شهوة الروح، واشتياقه، وتجرح نفوسهم بالمحبة، محبة الله، وتشتعل فيهم نار المحبة السماوية بشدة تلك النار التي " جاء الرب ليلقيها على الأرض وهو لا يريد إلا اضطرامها" (لو١٢: ٤٩) ويلتهبون بالشهوة السماوية للمسيح، هؤلاء كما قلنا سابقًا، يعتبرون كل الأشياء المجيدة والثمينة الخاصة بهذا العالم كأنها أشياء حقيرة وكريهة بسبب نار حب المسيح التي تحصرهم وتشعلهم وتضرمهم ليميلوا بكل قلوبهم إلى الله وإلى الخيرات السماوية ـ خيرات الحب الإلهي. ذلك الحب الذي لا تستطيع كل الأشياء سواء في السماء أو على الأرض أو تحت الأرض ـ أن تفصلهم عنه، كما يشهد الرسول قائلاً: " من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف الخ.. لا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا" (رو٨ :٣٥-٣٩).

الانشغال بالهدف الواحد:

١٠ـ ولكن من غير الممكن لأي إنسان أن يقتنى نفسه (لو ٢١: ١٩) وأن يقتنى المحبة السماوية ـ محبة الروح، بدون أن يجعل نفسه غريبا عن كل الأشياء المختصة بهذا العالم، ويبذل نفسه في طلب حب المسيح، ويتجرد عقله من كل الاهتمامات المادية والارتباكات الأرضية لكى يكون مشغولاً انشغالاً كليا بالهدف الواحد، ويتصرف في كل هذه الأشياء بواسطة الوصايا كلها، حتى أن كل اهتمامه وسعيه وكل انهماك وانشغال نفسه، يكون منحصرًا في اكتشاف الجوهر العقلي غير المادى، وفي كيفية تزيّين النفس بالوصايا والفضائل، وبالزينة السماوية ـ زينة الروح، وبالشركة في نقاوة المسيح وقداسته ـ حتى إذا تخلى عن كل شيء، وتحرّر من كل العوائق الأرضية والمادية، وانطلق حرًا من المحبة الجسدية، سواء كانت تعلقًا بالوالدين أو الأقرباء، فإنه لا يدع عقله أيضًا ينشغل أو يرتبك بأي أمر آخر مثل السلطان، أو المجد العالمي، أو الكرامات، وصداقات العالم الجسدية، أو أى أفكار أرضية أخرى بل يصير كل اهتمام عقله وانشغاله وتلهفه منحصرًا في طلب جوهر النفس العقلي، وبكل قلبه ينتظر بتوقع ورجاء مجيء الروح عليه، كما يقول الرب: "بصبركم اقتنوا أنفسكم" (لو٢١: ١٩) " وأيضا اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم" (مت٦: ٣٣).

١١ ـ فالإنسان الذي يسعى هكذا ويجتهد، ويكون محترسا دائمًا، سواء بالصلاة أو بالطاعة، أو بكل نوع من الأعمال الإلهية، هذا الإنسان يستطيع أن ينجو من ظلمة الشياطين الأشرار.

الالتصاق بالرب وحده:

فالعقل الذي لا يهمل تفتيش ذاته ولا يهمل طلب الرب، يستطيع أن يقتني نفسه ـ النفس التي كانت في هلاك الشهوات ـ يقتنيها بتقديم نفسه كأسير لمحبة الرب بكل غِيرة وقوة، وبالالتصاق به وحده، كما هو مكتوب: " مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كو١٠:٥)، لكي بواسطة مثل هذا السعى والاشتياق والطلب يمكن أن يصير العقل " روحا واحدا مع الرب" (١كو٦:١٧) وهذه هي عطية المسيح ونعمته التي تحل في إناء النفس المستعدة لكل عمل صالح، و" التي لا تزدرى بروح الرب" (عب١٠:٢٩) باختيارها وإرادتها الذاتية أو بانحرافات هذا العالم، وأمجاده، ورئاساته، ولذاته الجسدية، وألفة الأشرار ومعاشراتهم.

١٢ ـ فحينما تخصص النفس ذاتها كلها للرب، وتلتصق به وحده وتسير حسب وصاياه، وتعطى روح المسيح حقه من الإكرام ـ الروح الذي قد أتى عليها وظللها ـ فإنها تحسب حينئذ أهلا لأن تصير روحًا واحدًا وكيانًا واحدًا معه، كما يقول الرسول: " وأما من التصق بالرب فهو روح واحد" (١كو٦:١٧) أما إذا سلّم الإنسان نفسه للهموم أو لطلب المجد أو العظمة أو الكرامات البشرية، وسعى وراء هذه الأشياء واختلطت نفسه وامتزجت بالأفكار الأرضية، أو ارتبطت وتقيّدت بأى شىء من أمور هذا العالم، فإن مثل هذه النفس إذا اشتاقت أن تنطلق وتنجو وتهرب من ظلمة الشهوات التي قيّدتها بها قوات الشر، فإنها لا تستطيع أن تهرب، وذلك بسبب محبتها لأعمال الظلمة، ولأنها لا تبغض أعمال الشر بغضًا كاملاً .

١٣ ـ لذلك فلنعد أنفسنا للمجيء إلى الرب بكل عزم القلب وبإرادة غير منقسمة، ونصير تابعين للمسيح، لنتمّم كل ما يريده، و" لنذكر وصاياه لنعملها" (مز١٠٣:١٨).
ولنفصل أنفسنا تمامًا عن محبة العالم، ونربط نفوسنا بالرب وحده، ويكون هو وحده شاغل عقولنا ويكون هو همّنا وهو مطلبنا وحده. وإذا كان يلزمنا أن ننشغل بعض الشيء أيضا بالجسد، وبالأشغال الموضوعة علينا، ومن أجل الطاعة لله، فحتى في هذه الحالات، لا ندع عقلنا يبتعد عن محبة الرب وطلبه والشوق إليه، وهكذا إذ نسعى ونجتهد بقلب يقظ، سائرين في طريق البر بقصد مستقيم، ونحترس دائمًا لأنفسنا، فإننا ننال موعد روحه، ونخلص بالنعمة من هلاك ظلمة الشهوات التي تحارب النفس، فنصير حينئذ أهلاً للملكوت الأبدي ويوهب لنا أن نتنعم كل الأبدية مع المسيح، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين

العظة العاشرة
الشركة والاتحاد بالعريس السماوي

" مواهب النعمة الإلهية تحفظ وتزاد باتضاع القلب والاهتمام الجاد، ولكنها تضيع بالكبرياء والكسل".

المحبة الحارة للمسيح:

١ـ إن النفوس التي تحب الحق وتحب الله، وتشتهي برجاء كثير وإيمان أن تلبس المسيح كلّية، لا تحتاج كثيرًا إلى تذكرة من الآخرين، بل أنها لا تحتمل ولا إلى لحظة، أن تكون محرومة من حبها المشتعل للرب واشتياقها السمائي له بل بالحري إذ يكونون مسمرين تمامًا وكلّية في صليب المسيح، فإنهم يشعرون بإحساس النمو والتقدم الروحي نحو العريس الروحاني، وإذ يكونون مجروحين بالشوق السماوي، وجائعين إلى بر الفضائل، فإنه يكون لهم رغبة عظيمة لا تنطفئ في إشراق وإنارة الروح..

العطش والشوق المتزايد:

وحتى إذا نالوا بواسطة إيمانهم، امتياز معرفة الأسرار الإلهية وحتى إذا جُعلوا شركاء في بهجة النعمة السماوية، فإنهم مع ذلك لا يضعون ثقتهم في أنفسهم، ولا يظنون أنهم شيء، بل بقدر ما يحسبون أهلاً لنوال المواهب الروحية، بقدر ما يزدادون عطشًا للشهوة السماوية، ويزدادون في طلبها باجتهاد وسهر.
وبقدر ما يشعرون في أنفسهم بالتقدم الروحاني، فإنهم يزدادون جوعًا وعطشًا إلى شركة النعمة وازديادها.. وبقدر ما يزدادون في الغنى الروحاني، فإنهم بقدر ذلك يعتبرون أنفسهم فقراء، إذ أنهم لا يشبعون من الشوق الروحاني الحار إلى العريس السماوي، كما يقول الكتاب " الذين يأكلون يعودون إلىّ جائعين، والذين يشربونني يعطشون" (ابن سيراخ٢٤: ٢١)..

التحرّر من الشهوات وشركة الروح السرّية :

٢ـ فمثل هذه النفوس، التي تحب الرب حبًا حارًا لا ينطفئ، تكون أهلاً للحياة الأبدية، ولهذا السبب تُمنح لهم نعمة التحرر من الشهوات وينالون إشراق الروح القدس بالتمام، وحضوره الذي يفوق الوصف، والشركة السرية معه في ملء النعمة.. ولكن بعض النفوس تتراخى ولا يكون لها همّة وجراءة، فلا تطلب وهي هنا على الأرض في الجسد، أن تنال ـ بصبر وطول أناة ـ تقديس القلب، ليس جزئيًا بل تقديسًا تامًا، إذ هي لم تتوقع أبدًا أو تترجى أن يكون لها شركة كاملة في الروح المعزى بكل ثقة ويقين، وبكل إحساس واع، ولم تتوقع أبدًا أن تتحرر من شهوات

الشر بقوة الروح، أو ربما تكون، بعد أن نالت نعمة الله مرة، قد انخدعت بالخطية وأسلمت ذاتها للإهمال والتكاسل..

٣ ـ فهؤلاء إذ قد نالوا نعمة الروح، وحصلوا على بعض عزاء النعمة، في الراحة والشوق والحلاوة الروحانية، فإنهم يتكلون على هذا، ويتشامخون، ثم يصيرون مهملين، ولا يكون لهم انسحاق قلب، ولا عقل متضع، فلا هم يصلون إلى الدرجة الكاملة ـ درجة الحرية من الشهوات ـ ولا هم ينتظرون ويطلبون الامتلاء التام بالنعمة بكل اجتهاد وسهر وإيمان، بل إنهم يشعرون بالاكتفاء، ويخلّدون إلى الراحة قانعين بالعزاء القليل الذي نالوه من النعمة.. فالنمو القليل الذي حصلت عليه هذه النفوس كانت نتيجته الكبرياء بدلاً من التواضع ولذلك فأنهم على المدى الطويل يتجردون من كل نعمة أعطيت لهم، بسبب احتقارهم وإهمالهم، وبسبب خداعهم لأنفسهم بالعجرفة الباطلة.

الشركة السرية مع العريس السماوي :

٤ ـ والنفس التي تحب الله والمسيح حقيقة، حتى إذا عملت عشرة آلاف من أعمال البر، فهي تعتبر ذاتها أنها لم تعمل شيئًا، بسبب حبها المشتعل الذي لا يخمد من نحو الله.. وبالرغم من أنها تجهد الجسد بأصوام، وبأسهار إلاّ أنها في نظرتها إلى الفضائل تعتبر نفسها كأنها لم تبدأ بعد بأي عمل جدي لأجلها..
وبالرغم من مواهب الروح المتنوعة، والاستعلانات والأسرار السماوية التي ينعم بها عليها، فهي تشعر في ذاتها أنها لم تحصل على شيء بالمرة، وذلك بسبب حبها غير المحدود، والذي لا ينطفئ من نحو الرب..
إنها تشتاق طوال النهار وتجوع وتعطش بالإيمان والمحبة وبمداومة الصلاة، وهي تستمر في شوق بلا شبع لأسرار النعمة، ولتتميم كل فضيلة. وهي تكون مجروحة بحب حار مشتعل حب الروح السماوي، ويتحرك في داخل نفسها باستمرار بالنعمة إلهام وشوق حار للعريس السماوي، راغبة أن تدخل دخولا كاملا إلى الشركة السرّية الفائقة الوصف معه، بتقديس الروح.

رؤية العريس السماوي في نور الروح :
وإذ يرتفع الحجاب عن وجه النفس، فإنها تحدّق في العريس السماوي وجهًا لوجه في نور الروح الذي لا يُعبّر عنه، وتختلط به بملء الثقة، وتتشبه بموته، وترقب دائمًا بشوق عظيم أن تموت لأجل المسيح، وهي تثق بيقين شديد أنها ستنال بقوة الروح انعتاقًا كاملاً من الخطية ومن ظلمة الشهوات، حتى إذا ما اغتسلت وتطهرت بالروح، وتقدّست نفسًا وجسدًا، يسمح لها حينئذ أن تكون إناءً طاهرًا معدًا لاستقبال المسحة السماوية، وحلول المسيح الملك الحقيقي وحينئذ تؤهل للحياة الأبدية إذ تكون قد صارت منذ تلك الساعة مسكنًا طاهرًا للروح القدس.

الأتعاب والتجارب في طريق الملكوت :

٥ ـ ولكن النفس لا تصل إلى كل هذه الدرجات مرة واحدة أو بدون امتحان.. فبأتعاب كثيرة ومجاهدات، ووقت طويل واهتمام جاد، وبامتحانات وتجارب متنوعة، تنال النمو والتقدم الروحاني إلى أن تصل إلى درجة الحرية الكاملة من الأهواء والشهوات، حتى إذا احتملت كل تجربة يجرّبها بها الشرير، بصبر وشجاعة، فإنها حينئذ تتمتع بامتياز الحصول على الكرامات العظيمة، والمواهب الروحية وكنوز الغنى السماوي، وهكذا تصير وارثة للملكوت السماوي بالمسيح يسوع ربنا الذي له المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

العظة الحادية عشر
نار الروح ـ فداء المسيح للنفس

" إن قوة الروح القدس في قلب الإنسان المسيحى هي كالنار، وما هي الأشياء التي نحتاجها لكى نميّز الأفكار التي تنشأ داخل القلب. وعن الحيّة الميّتة التي رفعها موسى وثبّتها على السارى في البرية، والتي كانت رمزًا للمسيح. وتحتوى هذه العظة أيضًا على تصور لمحاورتين: واحدة بين المسيح والشيطان، والأخرى بين الخطاة والشيطان".

النار الإلهية وتجدّيد النفس :

١ ـ أن تلك النار السماوية، نار اللاهوت، التي ينالها المسيحيون في قلوبهم الآن وهم في هذا العالم الحاضر، هذه النار نفسها التي تعمل في قلوبهم من الداخل، سوف تصير ظاهرة من الخارج حينما ينحل ويتحلّل الجسد، ثم تجمع الأعضاء ثانية وتسبب (هذه النار) قيامة الأعضاء التي كانت قد انحلّت واضمحلّت.. فكما أن النار التي كانت تتقد على المذبح في أورشليم، ظلّت مدفونة في حفرة أثناء فترة السبي، وعندما حلّ السلام ورجع المسبيون إلى أورشليم، تجدّدت هذه النار نفسها واشتعلت كما كانت سابقا قبل السبي (انظر ٢مكابيين١: ١٩ـ٢٢)، هكذا الآن أيضًا فإن النار السماوية تعمل في هذا الجسد الذي ألفناه ـ هذا الجسد الذي في انحلاله (بالموت) يتحول إلى نتانة وقذارة ـ فتجدّد هذا الجسد وتقيمه بعد أن يكون قد اضمحل وفسد.. أن النار الداخلية التي تسكن الآن في القلب سوف تستعلن حينئذ من الخارج، وتتم قيامة الجسد.

٢ ـ ونار الأتون التي أوقدها نبوخذ نصر لم تكن نارًا إلهية، بل مخلوقة، ولكن الثلاثة فتية الذين بسبب برّهم طُرحوا في الأتون، هؤلاء بينما كانوا في وسط النار المنظورة، فقد كانوا حاصلين في قلوبهم على النار الإلهية السماوية عاملة في

داخل أفكارهم وفاعلة بقوتها فيهم.. وهذه النار السماوية كشفت نفسها من الخارج أيضًا.. فحجزت بينهم وبين النار المنظورة في الأتون وأوقفتها حتى لا تحرق الأبرار، ولا تؤذيهم بأي نوع من الذي..
وكذلك حينما مال عقل شعب إسرائيل وأفكارهم بعيدا عن الله الحيّ وتحولوا إلى عبادة الأوثان، فقد ألزموا هارون بأن يجمع أوانيهم وحليّهم الذهبية وقال هارون لموسى أنه لمّا طرح الحلي الذهب في النار تحولت إلى صنم كما لو أن النار قد صوّرت ما في نيتهم وكان هذا كأمر غريب.. فأنهم في نيتهم وأفكارهم تحولوا وزاغوا إلى عبادة الصنم، وبحسب رغبتهم وقصدهم شكلّت النار من حليّهم عجلاً مسبوكًا من صناعتهم وعبدوه وسجدوا له جهرًا (خر٣٢: ٢-٢٤، ٩) ..
وكما أن الثلاثة فتية كان لهم أفكار البر، فقبلوا نار الله في داخلهم وعبدوا الرب بالحق كذلك الآن فإن النفوس المؤمنة تنال النار الإلهية السماوية في إنسانها الداخلي، وهي في هذا العالم ، وتلك النار نفسها تطبع صورة سماوية في طبيعتهم البشرية.

٣- وكما أن النار صوّرت الأواني الذهبية فصارت صنما، فكذلك الرب يحقق ويتمم مقاصد النفوس المؤمنة الصالحة، ويطبع ويصوّر في النفوس منذ الآن الصورة السماوية الجديدة بحسب رغبتهم وشهوتهم، وهذه الصورة هي التي ستظهر في القيامة من الخارج، وتمجّد أجسادهم من الداخل ومن الخارج.. وكما أن الأجساد في هذا الزمان تضمحل وتموت وتتحلل، هكذا تفسد الأفكار بعمل الشيطان، وتموت عن الحياة الحقيقية وتدفن في الطين والتراب لأن نفوسهم تهلك..
وكما أن الإسرائيليين طرحوا الأواني الذهبية في النار فصارت صنمًا، كذلك الإنسان الآن قد سلّم أفكاره النقيّة الصالحة للشر، فاندفنت في وحل الخطية وصارت صنمًا..
وما الذي يفعله الإنسان حتى يكتشفها ويعرفها ويميّزها ويطرحها بعيدًا عن ناره الخاصة؟.. هنا تحتاج النفوس إلى المصباح الإلهي، وهو الروح القدس، الذي ينير ويجدد البيت المظلم.. إن النفوس تحتاج إلى شمس البرّ الساطعة، التي تضئ وتشرق على القلب وهي السلاح الذي تكسب به المعركة.

٤- وفي حالة تلك المرأة التي أضاعت الدرهم، فإنها أوقدت المصباح أولاً، وبعد ذلك كنست البيت، وهكذا إذ كنست البيت والمصباح مشتعل، فقد وجدت الدرهم المفقود، مدفونًا في التراب والوسخ..
هكذا النفس أيضًا، لا تستطيع من ذاتها أن تجد أفكارها وتميزها، وتحررها، ولكن حينما يوقد المصباح الإلهي فإنه ينير البيت المظلم، وحينئذ تنظر النفس أفكارها، وكيف كانت مدفونة في وحل ووسخ الخطية. وتشرق الشمس وترتفع فترى النفس حينئذ هلاكها وتبدأ في استرداد أفكارها التي كانت مشتتة ومختلطة بالوسخ وعدم الطهارة، لأن النفس في الحقيقة كانت قد طُمست صورتها حين خالفت الوصية.

الخليقة استعبدت مع الإنسان :

٥ ـ وإذا حدث أن ملكًا له خيرات وخدم تحت سلطانه يخدمونه، قد أخذه أعداؤه أسيرًا، فإنه حينما يُؤسر ويبعد عن مملكته، فإن خدامه وعبيده يتبعونه في أسره.. وهذا ما حدث لآدم، فإن الله خلقه نقيا لخدمته وعبادته، وكل هذه المخلوقات أعطيت له لخدمة احتياجاته، وجعله الله سيدًا وملكًا على جميع المخلوقات.. ولكن حينما جاءته الكلمة الشريرة (كلمة إبليس) وتحدث معها، قابلها أولا بالسمع الخارجي، ثم نفذت إلى داخل قلبه وملكت على كل كيانه.. وحينما أسر وأمسك هكذا، فإن الخليقة التي كانت تخدمه وتلازمه أمسكت وأسرت معه.. وعن طريق آدم ملك الموت على كل نفس، وطُمست الصورة الإنسانية الكاملة نتيجة العصيان، حتى أن جنس البشر تحولوا وصاروا يعبدون الشياطين..
ويا للأسف فإن ثمار الأرض التي خلقها الله حسنة صارت تقدم للشياطين ـ فإنهم يضعون على مذابحهم خبزًا وخمرًا وزيتًا، بل ويقدمون ذبائح الحيوانات أيضًا وليس ذلك فقط، بل صاروا يقدمون بنيهم وبناتهم ذبائح للشياطين (مز١٠٦: ٣٧).

المسيح يجدد النفس ويعيد الخلقة :

٦ـ ولذلك فقد جاء الذي خلق النفس والجسد، أى المسيح، جاء بشخصه وأبطل كل عمل الشرير، وكل أفعاله التي عملها في أفكار البشر، وجدّد وأعاد خلقة الصورة السماوية، لكى يصنع تجديدًا للنفس، لكى يعود آدم مرة أخرى ملكًا وسيدًا على الموت.. وفي ظلال الناموس سمى موسى مخلّصًا لإسرائيل لأنه أخرجهم من مصر وكذلك الآن فإن المسيح المخلّص والمحرّر الحقيقي، يدخل إلى مكامن النفس الخفية ويخرجها من ظلمة مصر، ومن النير الثقيل والعبودية القاسية المرة..
ولذلك فهو يأمرنا، أن نخرج من العالم ونصير فقراء في الأمور المادية المنظورة ولا نهتم بالاهتمامات الأرضية، بل نقف ليلاً ونهارًا على الباب وننتظر الوقت الذي يفتح فيه الرب القلوب المغلقة ويسكب علينا موهبة الروح القدس.

٧ـ ولذلك فقد أخبرنا أن نترك الذهب والفضة والأقرباء، ونبيع كل مالنا ونوزع على الفقراء وبذلك يكون لنا كنز في السماء " لأنه حيث يكون كنزك فهناك يكون قلبك أيضًا" (مت٦: ٢١) فالرب يعلم أن الشيطان يسود على الأفكار من هذه الناحية، ليهبط بها إلى الاهتمام والقلق على الأمور المادية والأرضية.. لهذا السبب فإن الله لأجل عنايته واهتمامه بنفسك، قد أخبرك أن تتخلى عن الكل حتى تستطيع أن تطلب الخيرات والكنوز السماوية، وتحفظ قلبك منقادًا ومشتاقًا لله، لأنك حتى لو ملت ورغبت أن ترجع إلى الأشياء المادية فإنك لا تجد شيئا تملكه، وبذلك فإنك تضطر، شئت أو لم تشأ، أن تلجأ بعقلك نحو السماء حيث كنزت كنزك ووضعته، لأنه حيث يكون كنزك فهناك يكون قلبك أيضًا.

الحيّة النحاسية والمسيح المصلوب :

٨ ـ لقد أمر الله موسى ـ في الشريعة ـ أن يصنع حية من نحاس ويرفعها ويثبتها على رأس سارى فكان كل من لدغته الحيات ينال الشفاء بمجرد تثبيت نظره على الحية النحاسية ولقد صنع موسى هذا بتدبير وقصد إلهي، حتى أن أولئك المعاقين بالاهتمامات الأرضية، وعبادة الأصنام، ولذات الشيطان، وكل أنواع الشر، (هذه الأشياء هي سم الحيات) ـ فإنهم بهذه الوسيلة يتطلعون إلى أعلا، إلى ما هو فوق إلى الأمور السمائية وإذ يبتعدون بنظرهم عن الأشياء السفلية فترة من الوقت فأنهم يعطون اهتمامهم لما هو أعلا وأسمى، وهكذا يتقدمون رويدًا رويدًا إلى ما هو أعلا وأكثر سموًا لكى يعرفوا ويتعلموا ذلك الذي هو الأعلا جدًا والأسمى جدًا والفائق على كل الخليقة..
وهكذا فقد أمرك بالمثل أن تصير فقيرًا، وتبيع كل شيء وتعطى للفقراء، حتى أنك فيما بعد إذا أردت أن تنزل بأفكارك إلى أسفل إلى الأرضيات، فإن الأمر يكون غير مستطاع لديك. لذلك فإنك تبتدئ تفحص قلبك وتحاور أفكارك وتقول "حيث إنه ليس لنا شيء على الأرض فلنتجه بقلوبنا نحو السماء، حيث يوجد كنزنا، وحيث يوجد شغلنا وربحنا" وهكذا يبتدئ قلبك أن يرفع نظره إلى فوق، لطلب السماويات ـ يطلب ما هو فوق ـ وإذ تفعل هكذا فإنك تنمو في الروح.

٩ـ ولكن ما المقصود بالحية الميتة؟ الحية المثبتة على رأس السارى كانت تشفي أولئك الذين لدغتهم الحيّات. فالحية النحاسية التي بلا حياة قد أبطلت فعل سم الحيات التي فيها حياة. وهذا رمز إلى جسد الرب. فالجسد الذي أخذه من العذراء مريم الدائمة البتولية، قد قدمه على الصليب، وعلقه هناك مثبتا على الخشبة، وهذا الجسد المائت على الصليب غلب وقتل الحية التي تعيش وتزحف داخل القلب. هو أعجوبة عظيمة كيف أن حية مائتة ذبحت الحي، ولكن كما أن موسى صنع أمرًا جديدًا لما عمل حية من نحاس، هكذا الرب أيضا قد صنع شيئًا جديدًا من العذراء مريم، ولبس هذا الجسد بدلاً من أن يحضر معه جسدًا من السماء فالروح السماوي دخل في الطبيعة الإنسانية وعمل فيها، وجعلها تدخل في شركة مع اللاهوت إذ لبس الجسد البشرى الذي صوره وشكله في بطن العذراء. وكما أن الرب لم يأمر بصنع حية من نحاس في العالم إلاّ في عهد موسى، هكذا أيضًا لم يظهر في العالم جسد بلا خطيه إلا جسد الرب يسوع. لأنه حينما تعدى آدم الأول الوصية، ملك الموت وتسلط على جميع أبنائه بدون استثناء ولذلك جاء الرب وغلب بجسده المصلوب الحية العائشة.

١٠ـ وهذا الأمر العجيب " هو لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١كو١:٢٣)
ولكن ماذا يقول الرسول؟.
يقول: " ولكننا نكرز بيسوع المسيح وإياه مصلوبا، وهو لليهود عثرة ولليونانيين جهالة وإما عندنا نحن المخلصين فنكرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله"

(١كو١:٢٣،٢٤)، (١كو٢:٢) لأن الحياة هي في الجسد المائت على الصليب. هنا الفداء، هنا النور.

تصور محاورة بين المسيح وسلطان الموت :

هنا يأتى الرب إلى الموت ويحاوره ويأمر سلطان الموت أن يُخرج النفوس من الجحيم والموت، ويردها إليه. وكأن الموت قد انزعج من أمر الرب، وكأنه يذهب إلى خدامه ويجمعهم معًا مع كل قواته ويأتي رئيس الشر بوثيقة الدين وكأنه يقول: "انظر فإنهم قد أطاعوا كلماتي، أنظر كيف صار بنى البشر عبيدًا لنا". ولكن الرب لكونه ديّان عادل يظهر عدله هنا أيضًا، وكأنه يقول للشيطان: "إن آدم قد أطاعك وأنت قد امتلكت قلوب كل البشر، وكل البشرية أطاعتك ولكن ما الذي يفعله جسدي هنا، إن جسدي هو بلا خطيئة وإن كان جسد آدم الأول قد صار تحت سلطانك ولك الحق أن تستعبده بسبب الخطيئة، ولكن من جهتي أنا فالجميع يشهدون أنى لم أخطئ قط، ولذلك ليس لك في شيء بالمرة، بل الكل يشهدون أنى ابن الله، وقد جاء الصوت من أعلى السماوات وشهد لي على الأرض قائلا: " هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا" (مت٣: ١٧)، (مت١٧: ٥). لقد شهد يوحنا أيضًا قائلاً: " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو١: ٢٩). ويقول الكتاب أيضًا: " الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه غش" (أش٥٣: ٩)، (١بط٢: ٢٢) وأيضًا: " رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء" (يو١٤: ٣٠). وكأن الرب يقول للشيطان وأنت نفسك شهدت لي قائلاً :" أنا أعرفك من أنت، قدوس الله" (مر١: ٢٤)، " أنك أنت ابن الله" (مر٣: ١١) وأيضًا قلت " ما لنا ولك يا يسوع الناصري، هل أتيت قبل الوقت لتهلكنا" (مت٨: ٢٩، لو٤: ٣٤). إن هناك ثلاثة شهود يشهدون لي - الأول هو الآب الذي أرسل الصوت من السماء، والثاني هم الذين شهدوا لي على الأرض والثالث هو أنت بعينك. وكأن الرب يقول للشيطان "ولذلك فأنا أفتدى الجسد الذي باعه لك آدم الأول، وأبطل صكوكك بصليبي. لقد دفعت ديون آدم حينما صُلبت ونزلت إلى الجحيم، والآن أنا آمرك أيها الجحيم والظلمة والموت أن تطلق نفوس أبناء آدم المأسورين" وهكذا فالقوات الشريرة تصاب برعب شديد وتضرب بالفزع وتعيد نفوس آدم وبنيه التي كانت محبوسة.

المسيح يدخل إلى عمق قلبك ليقيمك :

١١- ولكن حينما تسمع أن الرب خلص النفوس من الجحيم والظلمة، في ذلك الوقت ونزل إلى الجحيم وعمل عملا مجيدًا، فلا تتصور أن هذه الأمور هي بعيده جدا عن نفسك أنت خاصة.
فالإنسان عنده القابلية لدخول وقبول الشرير في حياته. والموت يمسك بنفوس أولاد آدم، فتنحبس أفكار النفس في الظلمة. وحينما تسمع عن القبور، لا تفكر فقط في القبور المنظورة ، فإن قلبك ذاته هو قبر ومدفن وحينما يختبئ رئيس الشر

وجنوده كامنين هناك (في القلب)، ويصنعون فيه طرقًا ومسالكًا، تسير فيها قوات الشيطان وتدخل إلى عقلك وأفكارك، ألا تكون أنت في هذه الحالة جحيمًا ومدفنًا وقبرًا، إنسانًا ميتًا من جهة الله؟ وهناك يصنع الشيطان فضه زائفة مرفوضة. وفي هذه النفس يزرع بذور المرارة. ويخمّرها بالخميرة العتيقة، فينبع فيها ينبوع الوحل والقذارة. ولذلك فإن الرب يأتي إلى النفوس التي تطلبه ويدخل إلى عمق جحيم القلب، وهناك يصدر أمره للموت قائلاً " أخرج النفوس المحبوسة التي تطلبني، التي تحتجزها أنت بالقوة وهكذا يكسر الرب الحجارة الثقيلة الموضوعة على النفس، ويفتح القبور ويقيم الإنسان الذي كان مائتا بالحقيقة ويطلق النفس المحبوسة من السجن المظلم.

١٢ـ ومثل إنسان مقيّد اليدين والرجلين بالسلاسل، ثم يأتيه شخص ما يفك قيوده ويجعله ينطلق حرًا، هكذا الرب يحلّ النفس المقيّدة بأغلال الموت من قيودها ويطلقها، ويطلق العقل حرًا ليحلق براحه وبدون عائق في الجو الإلهي. ولو افترضنا أن إنسانًا غرق في وسط نهر في شدة فيضانه وتغمره المياه فيصير بلا حياة وتحيط به الحيوانات المائية المخيفة. فإذا أراد إنسان آخر أن ينقذه وهو لا يعرف السباحة فهو أيضا يهلك ويغرق معه، وإنه لأمر واضح أنه يلزم وجود سبّاح ماهر، وخبير لينزل إلى عمق المياه ويغطس حتى يرفع الإنسان الغارق وينقذه من وسط الحيوانات، فالماء نفسه حينما ينزل إليه إنسان ماهر في السباحة فإنه يساعد مثل هذا الإنسان ويحمله إلى السطح. وبنفس الطريقة فإن النفس التي غطست وغرقت في هاويه الظلمة وعمق الموت، تنفصل عن الله في صحبة الحيوانات المخيفة، (هذه النفس) من الذي يستطيع أن ينزل إلى الأماكن المخيفة وإلى أعماق الجحيم والموت لينقذها إلا ذلك الخبير والصانع العظيم الذي خلق النفس والجسد. وهو بشخصه يدخل إلى الناحيتين، إلى عمق الجحيم وإلى عمق القلب حيث يكون الموت ممسكًا بالنفس وأفكارها ويخرج آدم المائت من الهاوية المظلمة. إذن فحتى الموت نفسه ـ عن طريق التمرن والخبرة ـ يصير مساعدًا للإنسان، كما يفعل الماء مع السباح.

١٣ـ وأي صعوبة على الله أن يدخل إلى الموت، أو أن يدخل إلى عمق هاوية القلب، ويدعو الإنسان المائت من هناك؟ ففي العالم الطبيعي، توجد بيوت ومساكن حيث يسكن البشر ، وتوجد أماكن تسكن فيها الوحوش والأسود والتنانين وغيرها من الوحوش السامة. فإن كانت الشمس ـ التي هي مخلوقة حينما تشرق تدخل في كل اتجاه، من النوافذ والأبواب وحتى إلى مغائر الأسود وجحور الثعابين ثم تخرج ثانية من كل هذه المواضع دون أن تصاب ـ أى الشمس ـ بأي ضرر، فكم بالحري جدًا عندما يدخل الله رب الكل إلى الأماكن المظلمة الضيقة والمساكن التي نصب فيها الموت خيمته ـ ويدخل إلى النفوس التي تعيش فيها ويوقظ الإنسان من الظلمة والموت دون أن يصاب الله بأي ضرر من الموت. والمطر أيضًا ينزل من السماء

ويسرى إلى أسافل الأرض وهناك يرطب ويجدد الجذور الجافة المائتة، وينشأ هناك زرعًا جديدًا.

النعمة تثبّت وتسند الأخ المجاهد :

١٤ـ ومن الناس من له جهاد ومعاناة وحرب مع الشيطان، ومثل هذا الإنسان يكون منسحق القلب، ويكون في حرص وبكاء ودموع.. فإن كان هذا الإنسان يصبر ويحتمل، فإن الرب يكون معه في الحرب، ويحفظه ويحميه لأنه يطلب ويسعى بغيرة واشتياق، ويقرع على الباب إلى أن يفتح له، فإن رأيت أخًا صالحًا، فإن النعمة هي التي تثبّته وتسنده، أما الإنسان الذي بلا أساس فلا تكون فيه مخافة الله هكذا. وقلبه ليس منسحقًا وهو لا يعتني ويحرس قلبه وأعضاؤه بحيث يسلك باستقامة. فنفس مثل هذا الإنسان هي بعيدة عن النعمة وهو لم يدخل بعد في الحرب والجهاد. إذن يوجد فرق بين الإنسان الذي له حرب وجهاد وبين ذلك الذي لا يعرف معنى الحرب ـ وحتى البذور حينما تلقى في الأرض تعانى من الشتاء والصقيع وبرودة الهواء. ولكن في الوقت المناسب ينبت الزرع ويحيا.

تمسّك بوعود الرب وأطلبه باستمرار :

١٥ـ ويحدث أحيانا أن الشيطان يتكلم في القلب قائلاً: أنظر كم من الشرور فعلت! " أنظر ما أكثر الحماقات التي تمتلئ بها نفسك، وأنت مثقل بخطايا كثيرة حتى أنه لا يمكنك أن تخلص". والشيطان يقول لك هذا لجذبك إلى اليأس وليجعلك تظن أن توبتك لا تُقبل فمنذ دخل الشر فينا بالمعصية، فقد صار يتحدث مع النفس كل ساعة كما يخاطب الإنسان صاحبه. وأما أنت فأجبه وقل: "إن عندي شهادات الرب المكتوبة، التي تقول " إني لا أسر بموت الخاطئ بل ان يتوب ويرجع من شره ويحيا" (حز١٣: ١١، ١٨: ٢١).
ولأجل هذا الغرض قد نزل الرب وتجسد، ليخلص الخطاة وليقيم الموتى ويحيى النفوس التي هلكت وليضئ على الذين في الظلمة. أنه في الحقيقة قد جاء، ودعانا لنكون أبناء بالتبني، دعانا إلى المدينة المقدسة التي هي في سلام دائم، دعانا إلى الحياة التي لا موت فيها، وإلى المجد الذي لا يضمحل، فلنثبت إلى النهاية في الدعوة التي دعانا إليها وبدأنا فيها. فلنظل في فقر وفي تغرّب وفي احتمال الشدائد، وفي التوسل والصلاة لله قارعين الباب بلجاجة، والرب قريب إلينا أكثر من قرب النفس من الجسد. لذلك فهو يأتي ويفتح أبواب القلب المغلقة ويسكب علينا غناه وخيراته السمائية. فهو صالح ومحب ومشفق على الإنسان، ومواعيده صادقة بلا كذب، إن كنا نستمر في طلبنا إياه إلى المنتهي.. والمجد لرأفات الآب والابن والروح القدس. آمين.

العظة الثانية عشر

حالة الإنسان قبل السقوط وبعده
مريم ومرثا والنصيب الصالح

"عن حالة آدم قبل تعدية وصية الله، وحالته بعد أن فقد صورته السماوية.. وتحتوى هذه العظة أيضا على بعض أسئلة نافعة جدًا ".

١ـ إن آدم بتعديه الوصية، حدثت له كارثة مزدوجة.. فهو فقد نقاوة طبيعته التي كان حاصلاً عليها، والتي كانت جميلة على صورة الله ومثاله، ومن الجهة الأخرى فقد أيضا تلك الصورة عينها التي كان سيرث بها كل الميراث السماوي بحسب الوعد..
فإذا افترضنا أن عملة ذهبية، عليها صورة الملك، قد ختمت بختم مزيف، فإن العملة الذهبية تُعَدّ زائفة، والصورة التي كانت عليها تصبح بلا قيمة. هكذا كانت الكارثة التي حلت بآدم.. وإذا تصورنا ضيعة كبيرة تدر خيرات كثيرة: في أحد أركانها كرم مزدهر، وفي مكان آخر منها حقول مثمرة، وفي غيره مواشى وقطعان غنم، وفي موضع آخر ذهب وفضة، هكذا كانت ضيعة آدم ـ ثمينة جدًا قبل العصيان، وأقصد بالضيعة، إناء آدم الخاص.. ولكنه حينما قبل مقاصد وأفكار الشر ورحب بها، هلك من أمام الله ..

٢ـ ولكننا مع ذلك لا نقول إن كل شيء قد ضاع وتلاشى ومات.. بل أنه مات عن الله، ولكنه ظل حيًا بالنسبة إلى طبيعته.. فها عالم البشر كله كما نراه، يسعى في الأرض، يشتغل ويعمل.. ولكن الله ينظر إلى أفكارهم وتصوراتهم فيصرف النظر عنهم وليس له شركة معهم، لأنهم لا يفكرون فيما يرضى الله، وكما أن الأتقياء إذا مروا أمام البيوت ذات السمعة القبيحة، والأماكن التي ترتكب فيها الفحشاء والفسق، فإنهم ينفرون منها ويرفضون مجرد النظر ناحيتها ـ لأن هذه الأمور هي موت في نظرهم ـ هكذا فإن الله يغض النظر عن أولئك الذين تمردوا على كلمته وعصوا وصيته فتعبر عينيه عليهم ولكنه لا يكون في شركة معهم.. ولا يستطيع الرب أن يجد راحة في داخل أفكارهم..

النعمة والمسكنة بالروح :

٣ـ سؤال: كيف يستطيع الإنسان أن يكون مسكينًا بالروح وخاصة حينما يشعر في نفسه أن حياته قد تغيرت وحصل له نمو روحي، وحصل على معرفة وفهم لم يكن يملكها قبل ذلك؟.
الجواب: قبل أن يحصل الإنسان على هذه البركات وينمو في النعمة لا يكون مسكينًا بالروح.. ولكنه يظن أنه شيء، ولكن حينما يأتي إلى الفهم الروحي وينمو ويتقدم فإن النعمة نفسها تعلمه أن يكون مسكينا بالروح، وهذا معناه أن هذا الإنسان رغم كونه بارًا ومختارًا من الله، فهو لا يحسب نفسه شيئًا، بل يحفظ نفسه في اتضاع

وإنكار لذاته، كأنه لم يعرف شيئا ولا يملك شيئا رغم أنه يعرف ويملك.. وهذا قانون طبيعي ثابت في عقل البشر.. ألا ترى كيف أن أبانا إبراهيم، المختار من الله وصف نفسه بأنه " تراب ورماد" (تك١٨: ٢٧)، وداود بعدما مسح ملكًا، وكان الله معه ماذا قال؟ لقد قال: " أما أنا كدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب" (مز٢٢: ٦)..

روح واحد وطريق واحد :

لذلك أولئك الذين يريدون أن يكونوا وارثين مع هؤلاء ومواطنين معهم في المدينة السماوية، وأن يكونوا ممجدين معهم، ينبغي أن يكون لهم تواضع العقل هذا، ولا يظنوا أنفسهم شيئا بل يحتفظوا بقلب منسحق.. ورغم أن النعمة تعمل بطريقة خاصة في كل مسيحي على حدة، وتعمل أعمالا متنوعة في الأعضاء، إلاّ أن جميع الأعضاء هم من مدينة واحدة، ولهم فكر واحد وقلب واحد، ولسان واحد، ويعرفون بعضهم بعضًا.. وكما أن الجسد له أعضاء كثيرة، ولكن نفسًا واحدة تعمل في جميع الأعضاء وتحركها، كذلك أيضًا فإن الروح الواحد يعمل أعمالاً متنوعة في جميع الأعضاء ويحركها، ولكنهم جميعًا من مدينة واحدة، وطريق واحد.. فكل الأبرار سلكوا الطريق الضيق الكرب، واضطهدوا وعذبوا وشتموا، "وطافوا في جلود غنم وجلود ماعز تائهين في مغاير وشقوق الأرض"(عب١١: ٣٨،٣٧).. والرسل أيضًا قالوا " إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونُعرى ونُلكم وليس لنا إقامة" (١كو٤:١١)، والبعض منهم قُطعت رؤوسهم وبعضهم صُلبوا وآخرون عُذبوا بطرق مختلفة.. بل أن الرب نفسه ـ رب الأنبياء والرسل ـ كيف كانت سيرته في هذا العالم.. لقد سلك وكأنه قد نسى مجده الإلهي.. وصار مثالا لنا، وألبسوه إكليل الشوك باستهزاء وعار، واحتمل البصق واللطم والصلب..

٥ ـ فإن كان الله قد سلك هكذا على الأرض فينبغي عليك أنت أن تتمثل به.. والرسل والأنبياء هكذا سلكوا أيضا، ونحن إذا أردنا أن نكون مبنيين على أساس الرب ورسله، فينبغى أن نتمثل بهم، فقد قال الرسول بالروح القدس: " تمثلوا بي، كما أنا أيضا بالمسيح" (١كو ١١: ١)..
ولكن إن كنت تحب كرامات البشر، وتود أن يسجد لك الناس وتطلب الراحة، فإنك تتحول تماما عن الطريق.. أنه يليق بك أن تُصلب مع المصلوب، وتتألم مع ذلك الذي تألم لكي تتمجد أيضا معه.. لأنه لابد للعروس أن تتألم مع العريس، وهكذا تصير شريكة ووارثة مع المسيح.. بدون الآلام وبغير الضيقة الكربة، لا يكون دخول إلى مدينة القديسين حيث الوجود في الراحة والمُلك مع المَلك ذاته إلى أبد الدهور..

الروح القدس وخلقة الإنسان :

٦ـ سؤال: لقد قلت إن آدم فقد صورته الخاصة والصورة السماوية أيضا.. فهل كان فيه الروح القدس حينئذ لأنه كان مشتركًا في الصورة السماوية؟ ..
الجواب: طالما أن كلمة الله كان معه وكانت له الوصية، فقد كان له كل شيء.. والكلمة نفسه كان ميراثا له، وكان لباسا له، وكان هو (الكلمة) مجده الذي يغطيه ويستره (إش٤: ٥).. وكان هو معلمه.. فقد ألهمه أن يعطى أسماء لكل الأشياء "تدعو هذه السماء، وهذه الشمس، وهذا القمر، وهذه الأرض، وهذا طير، وذلك وحش، وهذه شجرة" وكما كان آدم يتعلّم من الكلمة هكذا سَمّى الأشياء جميعها..

٧ـ سؤال: ولكن هل كان لآدم اختبار الروح وشركته؟.
الجواب: الكلمة نفسه بحضوره مع آدم، كان كل شيء بالنسبة له، سواء كان معرفة أو اختبارًا، أو ميراثًا أو تعليمًا وإرشادًا.. إذ ماذا يقول يوحنا عن الكلمة؟ " في البدء كان الكلمة" فأنت ترى أن الكلمة هو كل شيء وكائن قبل كل شيء.. فإن كان لآدم (قبل السقوط) مجد خارجي حاضر معه فلا نستغرب أو نعثر من ذلك عندما يقول الكتاب: أنهما كانا عريانين وهما لا يخجلان فلما تعديا الوصية انفتحت أعينهما ورأيا أنهما عريانان فخجلا واختبئا من الله (تك٢: ٢٥-٣: ١٠،٧)..

٨ـ سؤال: فهل كانا قبل السقوط لابسين مجد الله عوضًا عن ثوب؟
الجواب: كما كان الروح يجرى عمله في الأنبياء ويعلّمهم وكان في داخلهم ويظهر لهم من الخارج، هكذا أيضا كان الحال مع آدم.. فالروح، حسبما يشاء، كان يحضر معه ويعلّمه، ويشير عليه "تكلم هكذا" وهكذا كان يسير ويتكلم.. لأن الكلمة كان له كل شئ، وطالما كان ثابتًا في الوصية فقد كان صديقًا لله.. ولكن لماذا نستغرب أنه بالرغم من كل هذه الأحوال التي كان فيها آدم، فقد تعدّى الوصية؟ فإن أولئك الذين يمتلئون الآن بالروح القدس، لا تزال تأتيهم أفكار من طبيعتهم، ولهم الإرادة أن يطيعوها، فكذلك آدم رغم أنه كان حاضرًا مع الله في الفردوس فقد تعدّى الوصية بإرادته وأطاع الجانب الشرير.. ولكن بعد عصيانه لا تزال عنده معرفة..

المعرفة بعد السقوط :

٩ـ سؤال : أى نوع من المعرفة هذه؟
الجواب: حينما يحضر المجرم إلى ساحة القضاء وتبدأ المحاكمة ويسأله القاضي قائلا "حينما ارتكبت هذه الشرور ألم تكن تعلم أنك ستكون معرضًا لأن تجازى عنها ويحكم عليك بالموت؟ ".. فإنه لا يكون له وجه أن يقول لا.. فإنه كان يعرف، وحينما تبدأ العقوبة يتذكر كل شيء ويقر به جهرًا، والزاني أيضًا ألاّ يعرف أنه يفعل شرًا؟ والسارق ألاّ يعلم أن ما يفعله خطيئة؟ إذن فحتى من خارج الكتب المقدسة يعرف الناس بالضمير الطبيعي الذي فيهم أن الله موجود.. إنهم لا يستطيعون أن يقولوا في ذلك اليوم (يوم الدينونة) "نحن لم نكن نعرف أنك أنت الإله" فهو يقول لهم: " ألم تعرفوا البروق والرعود التي من السماء، وإنه يوجد

إله فوق كل الخليقة؟" وإلا فلماذا إذن تصرخ الشياطين " أنت هو ابن الله لماذا أتيت قبل الوقت لتعذبنا؟" (مت٣: ١١-٨: ٢٩) وحتى الآن فإن الشياطين يصرخون عند قبور الشهداء قائلين "أنتم تحرقوننا، أنتم تحرقوننا" فآدم وحواء قبل السقوط لم يكونا قد عرفا شجرة معرفة الخير والشر، ولكن معصية آدم جعلت له هذه المعرفة..

١٠- أن كل واحد يبدأ أن يسأل ويستقصى عن حالة آدم التي كان فيها قبل سقوطه، وماذا حدث له؟

إن آدم نفسه نال معرفة الخير والشر.. فنحن نعرف من الكتاب المقدس، إنه كان في حالة كرامة ونقاوة، ولكنه بتعدّى الوصية طُرد من الفردوس وحل عليه غضب الله.. وهكذا بدأ يتعلم ما هي الأشياء الصالحة له وما هي الأشياء الشريرة لكى يحترس منها، حتى لا يعود يخطئ أكثر ويسقط في دينونة الموت.. والآن نحن نعرف أن كل الخليقة هي تحت حكم الله.. فهو الذي خلق السماء والأرض والحيوانات والزحافات والوحوش.. ونحن نرى كل هذه المخلوقات، ولكننا لا نعرف عددها.. وأي إنسان يستطيع أن يعرف عددها؟ إن الله وحده الذي هو في كل شيء هو يعرف حتى أجنة الحيوانات التي لم تولد بعد، أفلا يعرف بالأحرى الأشياء التي تحت الأرض والتي فوق السموات؟..

عجز العقل عن إدراك أعماق الله :

١١- فلنترك إذًا هذه الأمور، ونطلب بالحري - مثل التجار- كيف نحصل على الميراث السماوي ونمتلكه، ونحصل على النصيب والميراث الذي لا يضيع أو ينزع منا، بل يدوم معنا.. فإن كنت وأنت مجرد إنسان تفتش في أفكار الله لتفحصه وتقول "لقد اكتشفت شيئا وأدركته" فبذلك تجعل عقلك البشرى فائقا على أفكار الله.. ولكنك في هذا الأمر تخطئ خطأً عظيمًا، وبقدر ما تشتهي أن تبحث وتفتش لتدخل إلى أعماق المعرفة، بقدر ذلك تخرج من العمق وتفشل في أن تفهم شيئًا..
إن هذه التساؤلات التي تتحرك في عقلك من نحو العمل، الذي يعمله الله يوما فيوما وكيف يعمله، إنما هي أمور تفوق كل تعبير وكل إدراك، وأنك لا تستطيع أن تفعل شيئا سوى أن تقبل عطاياه بقلب شاكر وبإيمان.. هل استطعت أن تعرف شيئا عن روحك منذ وقت ولادتك حتى الآن؟.. أن كان كذلك فأعلن لي الأفكار التي تنبع في داخلك من أول الصباح إلى المساء.. أخبرني بأفكارك كلها خلال ثلاثة أيام متتالية.. إنك لا تستطيع هذا.. فإن كنت لا تستطيع أن تدرك أفكار نفسك الخاصة، فكيف تستطيع أن تفحص وتدرك أفكار الله وعقله..

١٢- أتريد أن تأكل خبزًا كثيرًا بقدر ما تجد فأذهب إذن وكُل وأترك الأرض الواسعة لحال سبيلها، اذهب إلى شاطئ النهر وأشرب قدر ما تحتاج، وأمضى في طريقك، ولا تطلب أن تعرف من أين يأتي النهر أو كيف يتدفق ويفيض؟.. اِسع بكل جهدك

لتشفي قدمك أو مرض عينك، لكى تستطيع أن ترى نور الشمس ولا تفحص عن مقدار النور الذي تحتويه الشمس ولا إلى أى علو في السماء ترتفع.. واتخذ من الحيوانات ما هو نافع ومفيد لحاجتك، ولا تتجول في الجبال لتبحث عن الحمير الوحشية أو غيرها من الوحوش الساكنة هناك.. ألا ترى الطفل وهو يقترب من ثدي أمه فيرضع اللبن ويشبع ولكنه لا يفتش عن مصدر اللبن ولا من أين ينبع.. فإنه يرضع اللبن ويفرغ الثدي، وبعد مرور فترة من الوقت يمتلئ الثدي ثانية، فالطفل لا يعرف شيئا عن كيفية حدوث هذا الأمر ولا حتى الأم، مع أن اللبن يؤخذ من دمها وجميع أعضائها..

الله في كل مكان وفي داخلنا :
فإن كنت تطلب الرب في العمق فهناك تجده.. وأن طلبته في المياه فهناك تجده "صانعًا عجائب" (خر١٥:١١) وأن فتشت عنه في الجب فهناك تجده حارسًا لدانيال البار وسط الأسود، وأن فتشت عنه في النار فهناك تجده حافظًا عبيده الفتية الثلاثة.. وإن سألت عنه على الجبل فهناك تجده مع إيليا وموسى.. فهو في كل مكان تحت الأرض وفوق السموات بل وفي داخلنا أيضًا.. نعم إنه في كل مكان.. كما أن نفسك أيضًا هي قريبة منك، في داخلك وفي خارجك، لأنك إلى حيث تشاء أن تذهب إلى بلاد بعيدة فهناك يكون عقلك، سواء ناحية الغرب أو ناحية الشرق أو نحو السماء فهناك يذهب عقلك..

النصيب الذي تختاره الآن يظهر يوم الدينونة :

١٣ـ فلنسع ولنهتم فوق كل شيء أن يكون لنا سمة وختم الرب مطبوعًا على قلوبنا في الداخل، لأنه في يوم الدينونة حينما يستعلن غضب الله وتجتمع كل قبائل الأرض، أى أن كل جنس البشر يجتمعون معا، فحينئذ يدعو الراعي الصالح رعيّته الخاصة، وكل الذين لهم السمة والختم في داخلهم سيعرفون راعيهم، والراعي يعرف أولئك الذين فيهم ختمه، ويجمعهم معا من كافة الأمم.. فهؤلاء الذين هم له، أى خاصته، يسمعون صوته ويتبعونه.. أن العالم ينقسم إلى قسمين، قطيع مظلم يمضى إلى النار الأبدية، وقطيع ممتلئ نورًا ويذهب إلى الراحة السماوية.. فما نختاره ونمتلكه ويكون نصيبنا من الآن في داخل نفوسنا هو بنفسه الذي سيضيء ويظهر ويستعلن ويكسو أجسادنا بالمجد في اليوم الأخير..

١٤ـ وكما أنه في موسم شهر نيسان (أبريل أى فصل الربيع) تُخرج الجذورالمدفونة في الأرض ثمارها، وتظهر أزهارها بجمال عظيم، وتظهر الجذور الجيدة التي تحمل الثمار والزهور، كما تظهر تلك الجذور التي تخرج شوكًا، هكذا أيضا في ذلك اليوم، يظهر على جسد كل إنسان واضحا ما كان يعيش فيه ويفعله وهو في الجسد.. الأشياء الصالحة والشريرة كلاهما يظهران في ذلك اليوم.. وعلى هذا الأساس تكون الدينونة والمجازاة ..

الطعام السماوي :

يوجد طعام آخر غير هذا الطعام المنظور.. فحينما صعد موسى على الجبل صام أربعين يوما وهو لم يكن أكثر من إنسان، ولكنه نزل من الجبل ممتلئا بالله.. وها نحن نرى في أنفسنا أننا إذا لم نسند الجسد بالأطعمة فأنه يضعف خلال فترة وجيزة، ومع ذلك حينما صام موسى أربعين يوما نزل من على الجبل وهو مملوء قوة أكثر من جميع الشعب.. وذلك لأنه كان يتغذى من الله وكان جسده يقتات بطعام آخر- طعام سماوي..
إن كلمة الله صار طعامًا له ونال منه مجدًا أضاء في وجه موسى .. وهذا الذي حدث لموسى كان مثالاً ورمزًا.. فهذا المجد الإلهي يضئ الآن في داخل قلوب المسيحيين، ثم في القيامة ستتغطى أجسادهم بكساء مجد إلهي، وتقتات بطعام سماوي..

معنى تغطية الرأس في الصلاة:

١٥- سؤال: ما معنى أن المرأة لا تصلى إلا ورأسها مغطى؟
الجواب: في عصر الرسل كانت عادة النساء (عند الأمم) أن يتركن شعور رؤوسهن محلولة كبرقع أو كغطاء، ولهذا لما جاء الرب ورسله إلى الناس علموهم الوقار والتعقل بأن تغطى المرأة رأسها وقت الصلاة.. كما أن المرأة يقصد بها هنا أن تكون رمزًا للكنيسة.. فبينما كانت النساء في تلك الأيام يرخين شعورهن بدلا من البرقع فأن الكنيسة تكسو أولادها بملابس وأغطية إلهية مجيدة.. وفي العهد القديم (في كنيسة إسرائيل) كانت الجماعة واحدة وكان الروح يغطى الخيمة بمجد رغم أنهم هم أنفسهم لم يكونوا حسب الروح، أما الآن فأن كلمة "كنيسة" تستعمل عن النفس بمفردها كما تستعمل عن الجماعة، لأن النفس تجمع كل أفكارها وملكاتها وتصير كنيسة لله. فالنفس جُعلت وكُونت لتليق لعِشرة العريس السماوي وتكون لها شركة مع الإله السماوي، وهذا ينبغي أن يفهم عن النفس بمفردها كما على الكنيسة بجملتها. ولذلك يقول النبى عن أورشليم: "وجدتك مطروحة وعارية وألبستك مطرّزة" (حز١٦:٧-١٠) وهكذا يتكلم كأنه يخاطب شخصًا واحدًا..

مريم ومرثا والنصيب الصالح:

١٦ - سؤال: ما معنى قول مرثا للرب عن مريم " إني مجتهدة في خدمة كثيرة بينما هي جالسة عند قدميك" (لو١٠:٣٩، ٤٠) ؟
الجواب: إن ما كان يجب أن تجيب به مريم مرثا، سبق الرب وأجابها به وقال إنها قد تركت كل شيء وجلست عند قدمي الرب، وصرفت النهار كله في تسبيح الله، وهكذا فإن جلوسها كان بسبب المحبة. ولكن لكى تتضح كلمة الله أكثر، أنصتوا لما أقول. إن أى إنسان يحب يسوع، ويلازمه بغيرة وبحب وليس بطريقة عابرة، بل

يلتصق به ويثبت فيه بمحبة شديدة، فإن الله يسبق ويرتب لمثل هذه النفس، لتنال جزاءً لمحبتها، رغم أن الإنسان لا يكون قد عرف حينئذ ما الذي سيناله من الله، أو ما هو النصيب الذي سيهبه الله للنفس. فحينما أحبته مريم جلست عند قدميه فإن العطية التي وُهبت لها لم تكن موهبة مؤقتة، بل قد أفاض في داخلها نعمة خفية من ذات طبيعته، والكلمات التي تكلم بها، في سلام، إلى مريم كانت كلها روحًا، وقوة، ولما دخلت هذه الكلمات في قلبها، صارت نفسًا في نفسها وروحًا في روحها، وملأت القوة الإلهية قلبها، وحيثما تحل هذه القوة فهي تبقى هناك على الدوام، كميراث ونصيب لا يمكن أن يُنزع، لهذا السبب، فإن الرب الذي يعرف عطيته لها قال: " إن مريم اختارت النصيب الصالح الذي لا يُنزع منها" (لو ١٠:٤٢) ولكن بعد ذلك بفترة، فإن ما فعلته مرثا بغيرة واجتهاد في طريق الخدمة، أدخلها كذلك إلى نفس تلك النعمة. فنالت هي أيضًا تلك القوة الإلهية في نفسها.

الحق يُظهر ذاته للنفوس المؤمنة :

١٧ـ ولماذا نتعجب من أولئك الذين أتوا إلى الرب واتصلوا به شخصيًا فنالوا قوته، إذ أن الرسل حينما كانوا يبشرون بالكلمة، كان الروح القدس يحلّ على أولئك الذين يؤمنون، وكرنيليوس نال القوة من الكلمة التي سمعها، فكم بالحري جدًا حينما يتكلم الرب إلى مريم، أو إلى زكا، أو إلى المرأة الخاطئة، التي حلت شعرها ومسحت قدمى الرب، أو إلى المرأة السامرية أو اللص، أفلا تخرج القوة من الرب ويعمل الروح القدس في نفوسهم. وحتى الآن فأولئك الذين يحبون الله ويتركون كل الأشياء لأجله، ويواظبون على الصلاة، فإن الروح يعلمهم سرًا الأمور التي لم يكونوا يعرفونها. والحق نفسه يظهر لهم، بحسب اشتياقهم ورغبتهم فيه، ويعلمهم قائلاً: " أنا هو الحق " (يو ١٤:٦).

إن الرسل أنفسهم قبل الصليب، بملازمتهم للرب، رأوا آيات عظيمة ـ كيف كان البرص يتطهرون، والموتى يقومون، ولكنهم لم يكونوا يعرفون حينئذ، كيف تدخل القوة الإلهية وتخرج وتعمل عملها في القلب، وكيف يولدون ثانية بالروح، ويشتركوا مع الروح السماوي ويصيروا خليقة جديدة. ولكنهم أحبوا الرب بسبب ما لمسوه من تأثير وآيات. والرب قال لهم: " لماذا تتعجبون من الآيات، إني أعطيكم ميراثًا عظيمًا لا يملك العالم كله مثله".

١٨ ـ إن كلماته كانت تبدو غريبة بالنسبة لهم، إلى أن قام من بين الأموات وصعد بالجسد إلى أعلا السموات من أجلنا، وبعد ذلك انسكب الروح المعزى ودخل في نفوسهم، واختلط بهم، والحق نفسه يظهر ذاته في النفوس المؤمنة، والإنسان السماوي ـ أى الرب ـ يأتي ليكون مع الإنسان الذي هو أنت. ويصير في شركة معك .

فجميع الذين يعطون أنفسهم ليخدموا، وبغيرة يفعلون كل شيء باجتهاد وإيمان ومحبة لله، فإن نفس هذه الخدمة تدخلهم، بعد فترة من الوقت، إلى معرفة

الحق ذاته. لأن الرب ينكشف لنفوسهم، ويعلمهم طرق الروح القدس.. فالمجد والسجود للآب والابن والروح القدس، إلى الأبد. آمين.

العظة الثالثة عشر
أولاد الله

" الثمرة التي ينتظرها الله من المسيحيين"

ثمر العهد الجديد :

١ـ كل الأشياء المنظورة قد خلقها الله، وأعطاها للبشر لأجل فرحهم وتنعمهم، وقد أعطاهم أيضًا ناموسًا للبر. ولكن منذ أن جاء المسيح إلى العالم، فإن الله يطلب ثمرة أخرى. وبرًا آخر، ونقاوة قلب وضميرًا صالحًا، وكلمات محبة وشفقة، وأفكارًا مقدسة صالحة ، وكل تدبير سيرة القديسين. فالرب يقول " إن لم يزد بركم عن الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت٥: ٢٠) "مكتوب في الناموس، لا تزن، أما أنا فأقول لكم: لا تشتهى، ولا تغضب" فمن يريد أن يكون صديقًا لله، وأخًا وابنًا للمسيح ينبغي أن يفعل شيئًا يفوق بقية الناس، أى أن يكرس قلبه وعقله (لله)، ويرفع إليه أفكاره. وبهذه الطريقة فإن الله يعطى لقلبه ـ في الخفاء ـ حياة وعونًا، بل أن الله يستودع ذاته عينها لهذا الإنسان. فحينما يقدم الإنسان أموره الخفية لله، أى عقله وأفكاره، بحيث لا يشغل نفسه في أى اتجاه آخر، ولا يتحول بعيدًا عنه، بل يغصب نفسه لينحصر في الرب، فإن الرب حينئذ يحسبه أهلاً للأسرار السماوية بأعظم قداسة ونقاوة، ويعطيه الطعام السماوي والشراب الروحاني.

الخدم والأولاد :

٢ ـ وكما يحدث أن إنسانًا عنده خيرات عظيمة، وله أولاد كما أن عنده خدم، فهو يعطى للخدم نوعًا من الطعام يختلف عن الطعام الذي يعطيه لأولاده المولودين منه، لأن الأولاد هم ورثة أبيهم، ويأكلون معه، لأنهم يشبهون آبائهم. هكذا المسيح أيضًا، رب البيت الحقيقي، الذي خلق كل الأشياء بنفسه، فإنه ينعم على الأشرار وغير الشاكرين. وأما الأولاد، الذين ولدهم من ذاته، والذين منحهم نعمته، والذين يتصور هو فيهم، هؤلاء يزودهم ـ أفضل من الآخرين ـ بتنعم وغذاء مخصوص طعامًا وشرابًا.
وإذ يذهبون مع يسوع والدهم في كل مكان، فإنهم يعطيهم ذاته، كما يقول الرب " من يأكل جسدي ، ويشرب دمى يثبت في وأنا فيه" وأيضا "لا يرى الموت" (يو٦: ٥٦ ، ٨: ٥١) .

فأولئك الذين يمتلكون الميراث الحقيقي، قد ولدوا كبنين للآب السماوي، ويقيمون في بيت أبيهم، كما يقول الرب " العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد" (يو٨:٣٥) .

٣ ـ فإذا أردنا إذا أن نُولد من الآب السماوي، فينبغي أن نفعل شيئًا يفوق ما يفعله سائر البشر، بالاجتهاد والجد والغيرة والمحبة، والسيرة الصالحة، وأن نكون في الإيمان ومخافة الرب، كأناس يشتهون الحصول على خيرات عظيمة بهذا المقدار، وأن نرث الله نفسه. كما يقول الكتاب " الرب هو نصيب ميراثي وكأسى" (مز١٦:٥). وهكذا إذ ينظر الرب قصدنا الصالح وصبرنا وثباتنا، فإنه يسكب رحمته علينا ويطهرنا من دنس الخطية، ومن تلك النار الأبدية التي في داخلنا ويجعلنا مناسبين وملائمين للملكوت. والمجد لحنانه الرقيق، وللمسرة الصالحة التي ظهرت من الآب والابن والروح القدس. آمين.

العظة الرابعة عشر
حلول المسيح في الإنسان
أرض اللاهوت

"أولئك الذين يسلمون أفكارهم وعقلهم لله، يفعلون ذلك على رجاء أن تستنير عيون قلوبهم، وأن يعطيهم الله أسراره في أعظم قداسة ونقاوة. ويمنحهم من نعمته. ما يجب أن نفعله نحن الذين نرغب في الحصول على الخيرات السماوية. مقارنة الرسل والأنبياء بأشعة الشمس التي تدخل من النافذة. تعلّم العظة أيضًا عن ما هي "أرض الشيطان" وما هي "أرض الملائكة". وأن كلتيهما لا تُلمسان ولا تُنظران إلاّ لعيون القلب الروحانيين".

التعب والزرع على رجاء :

١ـ كل الأعمال المنظورة التي تعمل في العالم، إنما تُعمل على رجاء الاشتراك والانتفاع بنتائج هذه الأعمال، ولولا الثقة والتيقن من التمتع بثمار التعب فلا تكون هناك فائدة تكسب . فالزارع يبذر البذار على رجاء الثمار، وهذا الرجاء يسنده ويشدده في احتمال مشقات كثيرة. كما يقول الرسول " إن الحراث يحرث على رجاء" (١كو ٩:١٠) والذي يأخذ زوجة، إنما يفعل ذلك على رجاء أن يكون له ورثة، والتاجر يسلم نفسه للبحر ولخطر الموت بهدف الربح. هكذا أيضًا فيما يخص ملكوت السموات، فإن الإنسان يسلم نفسه للرب برجاء أن تستنير عيون قلبه (أف١:١٨) منصرفًا عن أمور هذه الحياة، ويحفظ نفسه حرًا، ليكون انشغاله بالصلوات والتضرعات ناظرًا إلى الرب ومنتظرًا إياه حين يأتى ويكشف نفسه له ، وأيضًا حين يطهره من الخطية الساكنة فيه .

رجاء حلول الرب بملء اختبار الروح :

٢ـ وهو مع ذلك لا يضع ثقته في أتعابه، وطريقة حياته، إلى أن يحصل على الأشياء التي يترجاها، أى إلى أن يأتي الرب ويحل فيه بملء اختبار الروح وفاعليته. وحينما يتذوق صلاح الرب ويبتهج بثمار الروح، وحينما يُرفع عنه ستار الظلمة، ويضيء عليه نور المسيح ويعمل فيه بفرح لا ينطق به، فحينئذ يشبع ويرضى تماما إذ يكون حاصلا على الرب معه في محبة عظيمة، كما يفرح التاجر ـ كما ذكرنا في المثل ـ حينما يحصل على الربح ولكن لا يزال عنده خوف من اللصوص ـ أرواح الشر ـ لئلا يتكاسل ويضيع تعبه، قبل أن يدخل ملكوت السموات في أورشليم العليا .
٣ـ لذلك فلنتوسل إلى الله أن ينزع منا الإنسان العتيق ويجرّدنا منه، ويلبسنا المسيح السماوي، هنا ومن هذه اللحظة الحاضرة، حتى إذ نكون في فرح وبهجة، وإذ نكون منقادين بروحه، فإننا سنكون في هدوء وسلام عظيم. وإن الرب الذي يريد أن يملأنا ويشبعنا بتذوق الملكوت، يقول " بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا" (يو١٥:٥).

الرسل أنوار للعالم :

وقد عرف الرب كيف ينير كثيرين بواسطة الرسل. فالرسل كانوا هم أنفسهم خلائق مثل غيرهم، ولكنهم ربّوا وغذوا العبيد رفقائهم. وبسيرتهم الصالحة وتعاليمهم أحيوا وأقاموا عقول الناس التي كانت مائتة وفاسدة. فمن الممكن أن يقوم أحد المخلوقات بتغذية وإحياء مخلوق آخر. فالسحب، والمطر والشمس، بحسب أمر الله، تُحيى بذار القمح والشعير، رغم أنها مجرد خلائق فقط، ومثل النور الذي يأتي من خلال النافذة، في حين أن الشمس ترسل أشعتها على العالم كله، هكذا كان الأنبياء هم أنوار بيتهم الخاص ـ أى على إسرائيل ـ وليس أكثر، وأما الرسل فهم شموس يسطعون بأشعتهم في كل أركان وأرجاء العالم.

" أرض الشياطين " و " أرض اللاهوت ":

٤ـ هناك "أرض" تسكنها الوحوش، وهناك "أرض" أخرى في الهواء تتحرك فيها الطيور وتعيش. فإذا أرادت الطيور أن تقف أو تسير على الأرض فإن الصيادين يصطادونها. والأسماك أيضًا لها "أرض" وهى مياه البحر. والمكان الذي يولد فيه أى كائن، سواء على الأرض أو في الهواء، ففيه يعيش، وفيه يقتات ويجد لذته وراحته. وبنفس الطريقة فهناك "أرض" وبيت للشياطين، حيث تعيش قوات الظلمة وأرواح الشر، وهناك تتحرك وتجد راحتها، كما توجد "أرض" نورانية هى أرض اللاهوت، حيث معسكرات الملائكة والأرواح المقدسة تصعد وتهبط وتجد راحتها. فتلك الأرض المظلمة لا يمكن أن تُرى بعيون هذا الجسد ولا أن تُلمس،

وكذلك الأرض النورانية أرض اللاهوت، لا تُلمس ولا تُرى بالعيون الجسدية. أما بالنسبة للروحانيين فإن "الأرض" الشيطانية، و"أرض" اللاهوت كلاهما تنكشفان لعيون قلوبهم.

٥ ـ فإن كانت أسطورة أولئك الذين من خارج، تقول: إنه توجد جبال نارية، لأن النار متقدة فيها، وإنه توجد فيها حيوانات مثل الأغنام. وأن الذين يصطادونها يصنعون لهم عجلات حديدية، ويطرحون خطاطيفهم ويلقونها في النار، لأن تلك الحيوانات تقتات على النار، والنار هى شرابها وهى لذتها وبها تنمو وتحيا. فالنار بالنسبة لها هى كل شيء. فإن أتيت بها إلى هواء آخر فإنها تموت. وحينما يتسخ صوفها فإنها لا تُغسل في الماء، بل في النار، فتُنظف وتُبيّضّ أكثر. هكذا المسيحيون عندهم النار السماوية كطعام لهم. وهى لذتهم تنعمهم. وهى تنظف قلوبهم وتغسلها وتقدسها. وهى تُنميهم. وهى هواؤهم وحياتهم. فإن خرجوا يهلكهم الروح الشرير، كما أن الحيوانات في الأسطورة ـ تموت حينما تترك النار، وكما يموت السمك حينما يخرج من الماء، وكما أن الوحوش ـ ذوات الأربع ـ تغرق إذا طُرحت في البحر، وكما أن الطيور إذا سقطت على الأرض يصطادها الصيادون، كذلك النفس التي لا تقيم في تلك "الأرض"، فإنها تختنق وتهلك، وإذا لم تكن تلك النار الإلهية هي طعامها وشرابها ولباسها، وهى تطهير لقلبها، وهى تقديس للنفس، فإن الأرواح الشريرة تأخذها وتدمرها. أما بالنسبة لنا، فلنفحص بغيرة وإخلاص، هل نحن قد تم زرعنا في تلك "الأرض" غير المنظورة وطُعمنا في الكرمة السماوية أم لا ؟. والمجد لمراحمه. آمين.

العظة الخامسة عشر
القداسة والنقاوة

"هذه العظة تعلّم بالتفصيل، كيف ينبغي على النفس أن تسعى بالقداسة والطهارة والنقاوة نحو عريسها يسوع المسيح مخلّص العالم. وتحتوى أيضا على بعض مناقشات مملوءة بفوائد عظيمة مثل: هل تقوم جميع الأعضاء في القيامة كاملة؟ وعن الشر، وعن الإرادة الحرة وعن كرامة الطبيعة البشرية "

خطبة المسيح للنفس :

١ـ إذا كان إنسان غنيًا جدًا وهو ملك عظيم، ويضع قلبه على امرأة فقيرة لا تملك شيئا سوى نفسها. ويصير محبا لها ويرغب أن يأخذها لتعيش معه عروسا له فحينئذ، إن هي أظهرت كل سخاء وخير ومحبة زوجها، مخصصةً أيضًا حبها له، فإن تلك المرأة الفقيرة المسكينة التي لم تكن تملك شيئا تصير سيدة مالكة لكل ما يخص زوجها.

ومن الناحية الأخرى، فإنها إذا تصرفت ضد ما هو واجب وضد الالتزام والمسئولية، وسلكت بما لا يليق في بيت زوجها، فإنها حينئذ تُطرد خارجًا في خزي ومهانة وعار، واضعة يديها على رأسها كما يقول العهد القديم بالرمز عن الزوجة التي لا تسلك بلياقة في الغنى العظيم الذي سقطت منه وأي مجد قد ضاع منها، وكيف تجردت من كرامتها بسبب حماقتها.

واجب النفس التي يخطبها المسيح العريس السماوي :

٢ ـ وبنفس الطريقة فإن النفس التي يخطبها المسيح العريس السماوي لنفسه لأجل شركته السرية الإلهية، والتي قد تذوقت الغنى السماوي، يجب عليها بكل اجتهاد وإخلاص، أن ترضى المسيح حبيبها وتتمم كل ما هو واجب ولائق، خدمة الروح التي أستؤمنت عليها، وأن تُرضى الله في كل شئ، ولا تحزن الروح في أى شيء وتحفظ التواضع والمحبة بحسب ما هو واجب نحوه هو الذي فيه يكمن الكمال، وتسلك حسنا في بيت الملك السماوي بكل سخاء وخير وشكر قلب لأجل النعمة التي أعطيت لها.
فمثل هذه النفس تصير سيدة ومتولّية على كل خيرات الرب وحتى جسد مجد لاهوته يصير لها. ولكن إن سقطت، وسلكت ضد الواجب في خدمتها له ولم تفعل الأشياء التي ترضيه، ولم تتبع إرادته ولا تعاونت مع نعمة الروح الحاضر معها، فإنها حينئذ تحرم من كرامتها وتصير في خزي ومهانة، وتنفي من الحياة، كأنها غير نافعة وغير مناسبة لشركة الملك السماوي. حينئذ يكون غم وبكاء ورثاء على هذه النفس من كل الأرواح القديسة غير المنظورة: فالملائكة والقوات، والرسل والأنبياء والشهداء يبكون عليها.

٣ ـ فإنه كما قال الرب " يكون فرح في السماء" (لو ١٥:٧)، كذلك يكون أسف وبكاء في السماء على نفس واحدة تسقط من الحياة الأبدية. وكما أنه حينما يموت إنسان غنى، على الأرض، فإنه يُشيَّع بالموسيقى، والألحان الحزينة والولولة (العويل) من أخوته وأقاربه وأصدقائه ومعارفه، هكذا فإن جميع القديسين ينتحبون بألحان حزينة ومراثى على تلك النفس.
وهذا هو نفس ما يقوله الكتاب المقدس في موضع آخر بلغة رمزية "ولول يا سرو لأن الأرز سقط" (زكريا ١١:٢) .
فكما أن إسرائيل، حينما كان يظن فيه أن يرضى الرب ـ مع أنه لم يرض الرب أبدا كما ينبغي ـ كان لهم عمود سحاب يظللهم، وعمود نار يضيء عليهم، وقد رأوا البحر ينقسم أمامهم، والماء الصفي يخرج من الصخرة، ولكن حينما تحوّل قلبهم وقصدهم عن الله، أهلكتهم الحيّات وسُلّموا لأيدي أعدائهم فاقتيدوا إلى أسر مؤلم وعذبوا بعبودية مرة. وهذا ما يعلنه الروح سرّيًا بحزقيال النبى أيضًا، قائلاً عن مثل هذه النفس كأنها أورشليم " وجدتك عريانة في البرية فغسلتك من ماء نجاستك، وألبستك ثوبا، ووضعت عليك أساور في يدك وطوقا في عنقك وأقراطا في أذنيك.

فخرج لك اسم بين جميع الأمم وأكلت السميذ والعسل والزيت، وبعد كل هذا نسيت خيراتي، وذهبت وراء عاشقيك وزنيت بخزي وعار" (أنظر حزقيال١٦:٧-١٧).

لنتمم خلاصنا بخوف ورعدة :

٤ ـ هكذا بالمثل فإن الروح يحذر النفس التي تعرف الله من خلال النعمة، بعد أن تتطهر من خطاياها السالفة وتتزين بزينة الروح القدس، وتصير شريكة في الطعام الإلهي السماوي، ولا تسلك كما يجب بتمييز وتحفظ، ولا تحافظ كما يجب على التوقير والحب للمسيح العريس السماوي، وهكذا تُرفض وتُطرد من الحياة التي كانت شريكة فيها قبلاً.
فإن الشيطان يمكن أن يقوم وينتهز فرصة حتى ضد أولئك الذين وصلوا إلى قامات مثل هذه، وحتى ضد أولئك الذين قد عرفوا الله في نعمة وقوة، فإن الخطية لا تزال ترفع رأسها وتسعى أن تسقطهم. لذلك ينبغي أن نجتهد، ونسهر على نفوسنا بتبصر وحكمة، وأن " نتمم خلاصنا بخوف ورعدة" كما هو مكتوب (في٢:١٢)، فمهما كنتم أنتم الذين صرتم شركاء في روح المسيح، فانظروا أن لا تسلكوا بازدراء أو عدم اهتمام في أى شئ، صغيرًا كان أم كان كبيرًا ولا تزدروا بنعمة الروح، حتى لا تُبعدوا من الحياة التي قد صرتم شركاء فيها.

٥ ـ وسأكرر هذا بمثل آخر. فإذا جاء خادم إلى قصر الملك ليستخدم الأوانى الموجودة هناك، فهو يأخذ من الخيرات الخاصة بالملك ـ فهو لم يحضر معه شيئًا ـ ويخدم الملك بأوانى الملك الخاصة. هذا الخادم يحتاج هنا إلى حكمة كثيرة وبصيرة وتمييز، حتى لا يرتكب خطأ في الخدمة، كأن يحضر إلى المائدة الملوكية نوع من الأطباق غير الذي كان يجب أن يحضره، بل ينبغي أن يرتب الأوانى على المائدة بنظام من الأول إلى الآخر بالترتيب السليم فإذا كان بسبب الجهل وعدم التمييز، لا يخدم الملك بالنظام السليم وبترتيب، فإنه يفقد مكانه ومعيشته في القصر. وبنفس الطريقة فإن النفس التي تخدم الله بالنعمة والروح يلزمها تبصر كثير ومعرفة لكى لا ترتكب خطأ في أوانى الله، أى في خدمة الروح ـ بعدم حفظ إرادتها الخاصة في توافق مع النعمة. فإنه من الممكن في مجال خدمة الروح التي تتم سرًا بواسطة الإنسان الباطن، أن تقوم النفس بخدمة الرب في أوان من عندها، أى بروحها هي، ولكن الله لا يمكن أن يُخدم بغير أوانى الله أى بغير النعمة حتى ترضيه وتعمل مشيئته في كل شئ.

الحاجة إلى الحكمة والتمييز :

٦ ـ وحينما ينال الإنسان النعمة، فإنه يكون حينئذ في حاجة شديدة إلى الفهم والحكمة والتمييز ـ وهذه العطايا هي نفسها تُعطى من الله للنفس التي تطلبها منه ـ لكى يُعبد الله عبادة مقبولة بالروح الذي ناله الإنسان، ولا تهاجمه الخطية

بغتة فيخطئ، ولا يُغوى بالجهالة والطياشة والإهمال ويسلك ضد ما تطلبه مشيئة الرب، لأن نتيجة هذه الأشياء العقاب والموت، والبكاء لمثل هذه النفس. فالرسول القديس يقول " لئلا بعد ما كرزت للآخرين أصير أنا نفسى مرفوضًا" (١كو٩:٢٧) وها أنتم تنظرون أى حذر وخوف كان عنده، مع أنه كان رسول الله، لذلك فلنتوسل إلى الله، نحن الذين حصلنا على نعمة الله، لكى نعبد عبادة الروح حسب مشيئته بأكثر مما هو معتاد، ولا يكون لنا شركة مع أفكار الاحتقار والعصيان، حتى إذا ما عشنا بطريقة مرضية للرب وعبدناه عبادة روحية حسب مشيئته فإننا إذ نحيا هكذا نرث الحياة الأبدية.

أعضاء الجسم وأعضاء النفس :

٧ ـ هناك البعض عندهم عاهات في أجسامهم، فقد يحدث أن إنسانًا تكون بعض أعضائه صحيحة، كعيناه مثلاً، أو غيرها من الأعضاء، ولكن بقية أعضائه عاجزة، هكذا أيضا في العالم الروحي فقد يكون إنسان سليمًا وصحيحًا في ثلاثة أعضاء من روحه ولكن لا يكون كاملاً. فأنتم ترون كم للروح من مراحل ودرجات، وكيف أن الخطية يتم تصفيتها والتنقية منها على مراحل متتالية وليس دفعة واحدة، وأن عناية الله كلها وتدبيره للخليقة، وإشراق الشمس، وكل ما خلقه هذه جميعها إنما هي لأجل الملكوت الذي سيرثه المختارون لأجل تكوين ملكوت السلام والوئام.

نقاوة القلب وعدم إدانة الغير :

٨ ـ لذلك يجب على المسيحيين أن يجتهدوا على الدوام، ولا يدينوا أحدا بالمرة ـ ولا يدينوا حتى الزانية في الشارع ولا الأثمة المشهورين بخطاياهم والمتمردين ـ بل وأن ينظروا إلى كل البشر ببساطة النية ونقاوة العين، حين يصير الأمر هكذا كقانون ثابت في الطبيعة أن لا يحتقر أحدًا، ولا يدين أحدًا، ولا يمقت أحدًا حتى ولا يجعل تمييزًا بين أشخاص الناس. فإن رأيت إنسانا بعين واحدة، فلا تنقسم في داخل قلبك، بل انظر إليه وراعيه كما لو كان صحيحًا تمامًا. والإنسان الأقطع (ذو يد واحدة) انظر إليه كما لو كان بيدين، والأعرج تنظر إليه كالذي يسير معتدلاً، والمشلول كالصحيح.
هذه هي نقاوة القلب، أنك حينما ترى خطاة أو مرضى، أن تشفق عليهم وترثى لحالهم، وتكون حنونًا ومحبًا من نحوهم[١] ويحدث أحيانا أن قديسي الرب يجلسون في المراصد، وينظرون ضلال العالم وخداعه. فبحسب الإنسان الباطن هم يتخاطبون مع الله، ويصلون من أجل العالم ولكن بحسب الإنسان الخارجي فإنهم يظهرون للناس كأنهم يتأملون ما يحدث في العالم.

٩ ـ إن أهل العالم هم تحت تأثير روح الشر الواحد، وهو يجعلهم يهتمون بالأمور الأرضية، أما المسيحيون فلهم هدف آخر، وفكر واهتمام آخر، فهم من عالم آخر ومدينة أخرى. إن روح الله له شركة مع نفوسهم، وهم يدوسون العدو تحت أقدامهم. فإنه مكتوب " آخر عدو يبطل هو الموت" (١كو١٥:٢٦). فالأتقياء هم سادة لكل الأشياء، أما أولئك المتراخون في الإيمان والخطاة فهم عبيد لكل الأشياء، والنار تحرقهم، والحجر والسيف يقتلانهم وأخيرًا تتسلط عليهم الشياطين.

قيامة الأجساد :

١٠ ـ سؤال: هل تقوم كل أعضاء (الجسم)، في القيامة؟
جواب: إن كل شيء سهل على الله، وهو قد وعد بالقيامة، رغم أن هذا يبدو مستحيلاً بالنسبة إلى الضعف البشرى والفكر البشرى، لأنه كما أن الله أخذ من التراب ومن الأرض وكوّن الجسد بطبيعة أخرى مختلفة وغير مشابهة بالمرة للأرض، وجعل فيه أنواع أعضاء وعناصر كثيرة، مثل الشعر، والجلد، والعظام، والأوتار، أو كما أن الإبرة إذا طرحت في النار، يتغير لونها وتصير نارًا، رغم أن طبيعة الحديد (المصنوعة منه الإبرة) لا تنتزع بل تظل قائمة، كذلك أيضا في القيامة، فإن جميع الأعضاء تقوم، وحتى شعرة واحدة لا تهلك، كما هو مكتوب (لو٢١:١٨) وكل الأعضاء تصير مثل النور، وكلها تكون مغمورة في النور والنار، وتتغير تغييرًا حقيقيًا، ولكنها لا تتحلل وتصير نارًا خالصة كما يقول البعض، فلا يتبقى من قوامها الطبيعي شيء بالمرة على حسب ذلك الرأي، لا بل إن بطرس يظل هو بطرس، وبولس يظل هو بولس، وفيلبس هو فيلبس. وكل واحد يظل في طبيعته الخاصة وشخصيته ولكنه يكون مملوءً بالروح.
وأما إن قلت إن الطبيعة تتحلل وتفنى، فعندئذ لا يكون هناك وجود لبطرس أو بولس، أو أى شخص، ولا الذين ذهبوا إلى جهنم يحسون بعذابهم، ولا الذين دخلوا إلى الملكوت يشعرون بالغبطة والسعادة.

١١ـ فإن قلنا إن هناك بستان زُرع فيه كل أنوع أشجار الفواكه، وكان فيه الكمثرى والتفاح والعنب، أشجارًا بثمارها وأوراقها، وهذا البستان تغيّر وكل الأشجار وأوراقها تحولت إلى طبيعة أخرى وصارت مثل النور، هكذا أيضًا فإن البشر يتغيرون في القيامة، وتتقدس أعضاؤهم وتصير مثل النور (نورانية).

الصبر واحتمال الاضطهاد :

١٢ـ فيجب إذن على رجال الله أن يَعدّوا أنفسهم للحرب والقتال فكما أن الشاب الشجاع يحتمل الضربات التي تأتى عليه في مباراة المصارعة ويردها ثانية، كذلك يجب على المسيحيين أن يتحملوا الشدائد التي من الخارج، والحروب التي

من الداخل، لكيما ينتصروا بواسطة الصبر رغم أنهم يُضربون، فهذا هو المسيحي. لأنه حيثما يكون الروح القدس، فهناك يتبعه الاضطهاد والحرب كظل له.
فأنت ترى الأنبياء، كيف اضطهدهم أقرباؤهم من الأول إلى الآخر، بينما كان الروح القدس يعمل فيهم. وانظر كيف أن الرب، الذي هو الطريق والحق، كان مُضطهدًا ليس من أمة أخرى، بل من خاصته. وخاصته ـ أى شعب إسرائيل ـ هم الذين اضطهدوه وصلبوه. كذلك كان الأمر مع الرسل. ومنذ أن جاء الصليب نُزع الروح المعزى من محلة إسرائيل، وانتقل إلى المسيحيين وحلّ عليهم. ولم يُضطهد اليهود بعد ذلك، وصار المسيحيون وحدهم هم الشهداء.
لهذا السبب فلا ينبغي أن يستغرب المسيحيون ذلك. فلابد للحق أن يُضطهد.

الخطية وقلب الإنسان :

١٣ ـ سؤال: يقول البعض إن الشر يدخل من الخارج وإن الإنسان يستطيع أن يمنعه من الدخول إذا أراد ويطرده عنه.
جواب: كما أن الحية تحدثت إلى حواء وبسبب إذعانها دخلت إلى داخلها، هكذا أيضًا إلى هذا اليوم فإن الخطية التي هي خارج الإنسان تدخل إلى داخله برضى وإذعان منه. فالخطية لها السلطان والحرية أن تدخل إلى القلب. لأن أفكارنا ليست خارجية بالنسبة لنا بل هي تأتى وتنبع من القلب في الداخل. فالرسول يقول: " فأريد أن يصلى الرجال في كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا مجادلات[٢] رديئة". لأن هناك " أفكار تخرج من القلب" كما يقول الإنجيل (مت١٥:١٩).
فأدخل للصلاة وافحص قلبك وعقلك، وقرر في نفسك أن ترفع صلاتك نقيّة لله، وانظر جيدا ألاّ يكون هناك شيء يعوق صلاتك، وأن تكون صلاتك طاهرة، وانظر هل عقلك منشغل تمامًا بالرب، كما ينشغل الزارع بزراعته، والعريس بعروسه، والتاجر بتجارته، أم أنك بينما تحنى ركبتيك للصلاة يقوم آخرون بتشتيت أفكارك وسحبها بعيدًا.

إمكانية الخطية بعد المعمودية :

١٤ـ ولكنك قد تقول أن الرب قد جاء ودان الخطية بالصليب (رو ٨:٣) وأن الخطية لم تعد بعد ذلك موجودة في الداخل. ولكن إذا فرضنا أن أحد الجنود وضع عربته في داخل بيت أحد الناس، أفلا يكون له الحرية أن يدخل ذلك البيت ويخرج منه كما يريد. هكذا فإن الخطية لها حرية أن تجادل في داخل القلب. إنه مكتوب أن الشيطان " دخل إلى قلب يهوذا" (يو١٣:٢٧) وأما إذا قلت أن الخطية قد أدينت بمجئ المسيح، وأن الشر ليس له الحرية ـ بعد المعمودية ـ أن ينازع في داخل القلب، أفلا تعرف أنه منذ مجيء الرب إلى هذا اليوم، وكل الذين قد اعتمدوا، تحاربهم أفكار شريرة في بعض الأوقات؟. وألم يتحول البعض منهم إلى المجد

الباطل، وإلى الزنى، أو إلى الشراهة؟. وهل كل الناس الذين هم في داخل حدود الكنيسة، لهم قلوب نقية وبلا عيب. وألا نجد أن هناك خطايا كثيرة ترتكب بعد المعمودية، وأن كثيرين يعيشون في الخطية، إذن فحتى بعد المعمودية، فإن السارق "الشيطان" له حرية أن يدخل ويفعل ما يشاء.

محبة الله من كل القلب :

١٥ـ أنه مكتوب " تحب الرب إلهك من كل قلبك" (تث١٦:٥) وأنت تقول "إنى أحب الله، وعندى الروح القدس فهل عندك تذكر مستمر للرب، ومحبة مشتعلة، وشوق حار إلى الرب؟. وهل أنت ملتصق ومرتبط بالرب بهذه الطريقة نهارًا وليلاً؟. فإن كان عندك محبة مثل هذه، فإنك تكون نقيًا، ولكن إن لم تكن لك، فحينئذ ينبغي أن تفحص باستمرار: إذا أتت في طريقك الأشغال الأرضية أو الأفكار الدنيئة الشريرة، هل يكون لديك ميل إليها، وهل تنجذب نفسك إلى المحبة والاشتياق لله باستمرار. إن أفكار العالم تُحدر العقل إلى الأمور الأرضية الفاسدة ولا تدعه يحب الله أو يتذكر الرب. وقد يحدث من الناحية الأخرى أن إنسانا أميًّا يذهب إلى الصلاة، ويحنى ركبتيه ويدخل عقله إلى الراحة وعلى قدر ما يحفر ويتعمق، فإن سور الخطية ينهدم أمامه ويدخل إلى الرؤيا والاستعلان والحكمة، حيث لا يقدر العظماء والحكماء والفصحاء أن يدخلوا إلى هناك ليفهموا ويعرفوا حالة عقله السامية، إذ أنه يكون مستغرقًا ومشغولاً بالأسرار الإلهية، والذي ليس له خبرة في تمييز القلوب لا يعرف كيف يقيّمها ويقدّرها، بسبب نقص الخبرة. والمسيحيون ينفرون من الأمجاد الأرضية ويحسبونها نفاية (في ٣:٨) بالمقارنة بعظمة وسمو تلك الأشياء، تلك العظمة التي تعمل بتأثيرها وفاعليتها فيهم.

النعمة والسقوط :

١٦ ـ سؤال: هل من الممكن أن يسقط الإنسان الذي له موهبة النعمة؟.
جواب: إن أهمل، فإنه يسقط، فالأعداء لا يتراخون أبدًا ولا يتوقفون عن الحرب، فكم بالأكثر جدًا ينبغي عليك أنت ألاّ تكف عن طلب الله. لأن الخسارة التي تحصل لك نتيجة الإهمال هي خسارة عظيمة جدًا، حتى لو ظننت في نفسك، أنك متدرب ولك خبرة في سر النعمة ذاته.

١٧ ـ سؤال : هل تبقى النعمة في الإنسان بعد سقوطه ؟ .
جواب: إن مشيئة الله هي أن يرد الإنسان ثانية إلى الحياة ويحركه ليعود إلى البكاء والتوبة. فإن كانت النعمة تظل باقية، فإنما غرضها من ذلك أن تجعلك عاملاً جادًا بعزم شديد في توبتك عن تلك الأشياء التي سبق أن أخطأت فيها.

الكاملون ومحاربات الشيطان :

١٨ـ سؤال: هل الكاملون معرّضون لأن تحل بهم صعوبات أو حروب، أم أنهم أحرار تماما من كل هم وقلق؟.
جواب: إن العدو لا يكف أبدا عن المحاربة. إن الشيطان عديم الرحمة في كراهيته للبشر، لذلك فهو لا يتوقف أبدا عن المحاربة ضد كل إنسان.. ولكن الظاهر أنه لا يهاجم الجميع بنفس الدرجة، فإن حكام الولايات والنبلاء في البلاط الملكي يدفعون الجزية للإمبراطور، والإنسان الذي في هذا المركز له ثقة في ثروته من الذهب والفضة، حتى أنه يدفع الضريبة من فائض دخله، ولا يشعر بأي خسارة. والإنسان الذي يعطى صدقة لا يشعر بأنه يخسر. وكذلك فإن الشيطان يعتبر هذا الأمر (أى عدم مهاجمته للبعض) أنه فضلّة وزيادة وأنه ليس بالأمر الخطير[٣].
ولكن قد يكون هناك إنسان فقير، معدم حتى من القوت اليومي. وهو يُضرب ويُعذب لأنه لا يستطيع أن يدفع الضريبة، وقد يصرف وقته في احتمال الجلدات والانتهاكات المتكررة ويسوقونه أمامهم بالقوة، ولكنه لا يموت، بينما هناك إنسان آخر يصدر الأمر بقطع رأسه ويهلك في لحظة واحدة ـ وهكذا الأمر بين المسيحيين فالبعض منهم يحاربون بشدة ويُضيّق عليهم بالخطية، ومع ذلك يصيرون أكثر ثباتا وحكمة وتمرنا على الحروب. ويحتقرون قوة العدو، ولا يكونون في خطر من هذه الناحية، لأنهم يكونون محفوظين من السقوط ومتيقنين من خلاصهم، لأنهم قد تمرنوا كثيرا في الحرب ضد الخطية والشر واكتسبوا خبرة عظيمة، ولأنهم حاصلون على حضور الله معهم، فإنه يقودهم ويكونون في راحة.
١٩ـ إلاّ أن البعض الآخر، الذين لم يتمرنوا بعد، فهؤلاء إن سقطوا في شدة واحدة وثارت عليهم الحرب، فإنهم يقعون في الخراب والهلاك.

انشغال القلب بالمسيح وحده :

ومثل المسافرون الذين يدخلون إلى مدينة ما، قاصدين أن يروا أحباءهم ومعارفهم، فحينما يقابلون أناسًا كثيرين في أسواق المدينة فإنهم لا يتوقفون بسببهم، وذلك لأن غايتهم هي أن يجدوا أصدقاءهم. وحينما يقرعون على باب أحبائهم من الخارج وينادون عليهم فإن أصدقاءهم الأعزاء يفتحون لهم بفرح، ولكنهم إن تلكأوا في الأسواق، وانخدعوا أو تعوّقوا بسبب أولئك الذين يقابلونهم فإن الباب يغلق ولا يفتح لهم أحد، وهكذا أولئك الذين يسعوّن إلى الأمام ليصلوا إلى ربنا المسيح المحبوب الحقيقي، فينبغي أن يغضوا النظر عن كل من هم سواه ولا ينشغلوا بهم. فإن النبلاء والحكام، الذين يدخلون القصر إلى الملك، يكونون في خوف شديد من جهة ما يجاوبون به وكيف يتكلمون لئلا بسبب خطأ في إجابتهم عن أنفسهم ينتهي الأمر بهم إلى محاكمتهم وعقابهم، وأما عامة الشعب البسطاء، الذين لم تقع عيونهم قط على أمير، فإنهم يصرفون أيامهم بلا قلق أو همّ. وهذا هو الحال مع هذا العالم الأرضي الذي تحت السماء ـ من الملك إلى أفقر الناس ـ فإذ لا يعرفون شيئا عن مجد المسيح ـ فهم يهتمون فقط بأمور هذه الحياة الأرضية ولا يوجد بينهم حتى

ولا واحد يتفكر في يوم الدينونة. أما أولئك الذين يأتون بأفكارهم أمام كرسي دينونة المسيح، حيث يكون عرشه، ويصرفون حياتهم في حضرته فإنهم يكونون في خوف ورعدة باستمرار، لكى لا يصنعوا أى خطأ من جهة وصاياه المقدسة.

تملّك النعمة على القلب :

٢٠ـ وكما أن أغنياء الأرض حينما يحضرون ثمارًا كثيرة إلى مخازنهم، فإنهم يعملون أكثر فأكثر كل يوم ليحضروا ثمارًا أكثر، ليكون عندهم وفرة عظيمة، ولا يكون عندهم تناقص.
فلو أنهم اعتمدوا على الغنى المخزون في المخازن ولم يهتموا أن يضيفوا إليه وبدأوا يستعملون ما سبق أن خزنوا، فإنهم بعد فترة يقعون في الفقر والحاجة ولذلك فإنه يلزمهم أن يسعوا وأن يعملوا ويزيدوا دخلهم كثيرًا، لكى لا يتخلفوا.
وهكذا الأمر في المسيحية، حينما نتذوق نعمة الله كما يقول " ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز٣٤:٨). فهذا التذوق هو قوة فعّالة من الروح في ملء الثقة، بحسب خدمة الروح في داخل القلب. لأن كل الذين هم أبناء النور، ومن خدمة العهد الجديد في الروح القدس فهؤلاء لا يتعلمون شيئا من الناس، بل هم يتعلمون من الله (يو٦:٤٥، ١تس٤:٩) فالنعمة نفسها تكتب على قلوبهم قوانين الروح.
لذلك فلا ينبغي أن يتكلموا فقط على الكتب المكتوبة بالحبر، فإن نعمة الله تكتب قوانين الروح وأسرار السماء على "ألواح القلب" أيضًا (٢كو٣:٣). لأن القلب يحكم ويملك على كل حركات الجسد، وحينما تملك النعمة على مراعى القلب، فإنها بذلك تملك على كل الأعضاء والأفكار لأنه هناك ـ أى في القلب ـ يوجد العقل، وكل ملكات النفس وكل آمالها، لذلك فإن النعمة تنفذ أيضا إلى كل أعضاء الجسد (عن طريق القلب).

تملّك الخطية على القلب :

٢١ ـ ومن الجهة الأخرى، فإن كل أبناء الظلمة، تملك الخطية على قلوبهم، وتنفذ إلى كل أعضائهم " لأن من القلب تخرج الأفكار الشريرة" (مت١٥:١٩)
وهكذا إذ تنتشر الأفكار الشريرة تجعل الإنسان في ظلمة. وأولئك الذين يقولون أن الشر لا يتولد في الإنسان وينمو في داخله، ربما لا يهتمون من جهة الغد، وقد لا تحاربهم شهوة، لأن الشر يكف فترة من الوقت عن إزعاجهم بتحريك نوع من الشهوة في داخلهم، حتى أن الإنسان يتجاسر على أن يقسم "إن هذه الشهوة لم تعد تهاجمني". ولكن بعد فترة وجيزة يشتعل بالشهوة، حتى أنه يوجد حانثًا في القسم الذي أقسمه. وكما أن الماء يجرى في الأنابيب، هكذا تسرى الخطية في القلب والأفكار، وكل الذين ينكرون هذا فإن الخطية نفسها تدحضهم وتهزأ بهم، حتى ولو كانت الخطية لا تفكر في الانتصار عليهم، لأن الشر يحاول أن يكون مستترًا ومتخفيا في داخل عقل الإنسان.

المحبة لله وكرامة الإنسان :

٢٢ ـ إن كان أحد يحب الله، فإن الله أيضا يخلط محبته بهذا الإنسان وإذا أؤتمن الإنسان مرة على محبة الله، فإن الله يزيد عليه من الإيمان السماوي ويصير الإنسان كائنا متكاملاً. فكل جزء من نفسك تقدمه لله، فإنه يخلط بنفسك شئ مثله من نفسه، حتى أن كل ما تفعله يُعمل بنقاوة، ويصير حبك نقيا وصلاتك نقية. عظيمة هي كرامة الإنسان، فانظر عظمة السموات والأرض، والشمس والقمر، ولكن الرب لم يسر أن يستريح في هذه المخلوقات بل في الإنسان فقط. لذلك فالإنسان له قيمة أعظم من كل المخلوقات ولعلى أتجاسر وأقول ليس فقط المخلوقات المنظورة بل وأيضا أعظم من المخلوقات غير المنظورة، وأعظم حتى من " الأرواح الخادمة" (عب ١ : ٤). فلم يقل الكتاب عن ميخائيل وجبرائيل رؤساء الملائكة " لنخلقهم على صورتنا كشبهنا" (تك١ : ٢٦) بل قال هذا على الجوهر الروحي للإنسان، وأنا أعنى نفسه غير المائتة. لأنه مكتوب "إن ملائكة الرب تعسكر حول خائفيه" (مز ٣٤ : ٦).

الاختلاف بين الإنسان والمخلوقات المادية

٢٣ ـ إن المخلوقات المادية مرتبطة بطبيعتها التي خُلقت عليها.
فالسماء خُلقت لأجل الخير وكذلك الشمس والقمر والأرض ـ ولم تكن مسرة الرب فيها، رغم أنها لا تستطيع أن تتغير عن ما خُلقت عليه، كما أنها ليست لها أى إرادة. وأما أنت أيها الإنسان، أنت مخلوق على صورة الله ومثاله، لأنه كما أن الله له السيادة في نفسه ويفعل ما يشاء ـ فإذا أراد فله السلطان أن يرسل الأبرار إلى جهنم والأشرار إلى الملكوت ولكنه لا يُسرّ بأن يفعل هذا، ولا يقبل مجرد هذا الفكر، لأن الرب عادل وبار ـ وهكذا أنت أيضا فإنك سيد نفسك، فإذا اردت أن تهلك فيمكنك أن تفعل ذلك. وإذا اخترت أن تجدف أو أن تخلط سموما لكى تقتل إنسانا ما فلن يمنعك أو يعوقك أحد. فإذا أراد الإنسان يمكنه أن يخضع لله ويسير في طريق البر ويضبط شهواته. فإن عقلنا هذا هو قوة متوازنة وقد أعطِيت له القدرة أن يُخضع حركات وشهوات الخطية المخجلة.

ينبغي محاربة الشر الساكن فينا :

٢٤ـ وكما أنه في بيت عظيم، حيث توجد أوان من الذهب والفضة وأنواع ملابس مختلفة وأموال كثيرة، فإن الشبان والشابات الذين يعملون هناك يقمعون عقولهم رغم أن طبيعتهم ـ بسبب الخطية الساكنة فيهم ـ تشتهي كل هذه الأشياء. ولكن بسبب الخوف البشرى من سادتهم فإنهم يلجمون رغباتهم، فكم بالحرى جدًا حيث يوجد خوف الله ، فينبغي على الإنسان أن يحارب ويقاوم الشر الساكن فيه.

فإن الله وضع عليك كل ما يمكن أن تفعله. أن طبيعة الحيوانات غير العاقلة هي طبيعة مقيدة. فطبيعة الحية طبيعة مرة وسامة وهكذا تكون كل الحيات. والذئب طبيعته مفترسة، وكل الذئاب لها نفس الطبيعة. ووداعة الحمل تجعل منه فريسة وكل الحملان لها نفس الطبيعة، والحمامة ليس فيها غدر وإيذاء، وهكذا طبيعة كل الحمام. وأما الإنسان فليس مثل هذا. فهناك إنسان ما مثل ذئب مفترس، وآخر مثل حمل، ولذلك يكون فريسة، وكلاهما يصدران من أصل الطبيعة البشرية.

الطبيعة الإنسانية المتغيرة :

٢٥ ـ فهناك إنسان لا يكتفي بزوجته ويسلك في الزنا بينما هناك إنسان آخر لا يحتمل حتى مجرد تحرّك الشهوة في قلبه. هناك إنسان ينهب ما لقريبه، وإنسان آخر يعطى كل ما عنده حبا لله. فها أنت ترى كم أن الطبيعة الإنسانية متغيرة. فإنك تجدها تميل إلى الشر، وتجدها تميل أيضا إلى الخير. وفي الحالتين تكون في وضع بحيث توافق وترضى بهذا العمل أو ذاك حسبما تشاء. فالطبيعة الإنسانية إذن قابلة للخير والشر، قابلة إما للنعمة الإلهية أو للقوة المعادية، ولكنها ليست تحت اضطرار أن تقبل هذه أو تلك. إن آدم نفسه لما كان في حالة النقاوة كانت له السيادة على عقله، وجابه جبالاً من المصاعب لا يمكن احتمالها، ولكن منذ أن تعدى وصية الله اختلطت أفكار الشر بعقله فصارت كأنها أفكاره، مع أنه ولا واحدة من هذه الأفكار هي أفكاره أصلاً، لأن هذه الأفكار هي تحت سيادة الشرير.

الأفكار النقيّة هي الأفكار الطبيعية :

٢٦ـ فينبغي إذن أن تطلب وتسعى للحصول على مصباح منير لكي تستطيع أن تجد الأفكار النقيّة. فتلك الأفكار هي الأفكار الطبيعية التي صنعها الله. فالناس الذين ينشأون على شاطئ البحر يتعلمون السباحة، وحينما تثور العواصف وتتلاطم الأمواج، فإنهم لا يندهشون منها، وأما أولئك الذين لم يعتادوا هذه الأشياء، فإن أتت عليهم زوبعة ولو ضئيلة فإنهم يرتعبون ويغرقون في البحر. وهكذا الأمر أيضا مع المسيحيين. فكما أن عقل الطفل في سن الثالثة لا يستطيع أن يتابع أو يفهم عقل الرجل البالغ المفكر، بسبب وجود فرق كبير في السن بينهما، هكذا المسيحيون فإنهم ينظرون إلى العالم مثل الأطفال، وعيونهم مرفوعة ومثبتة على قوة النعمة المعطاة لهم. إنهم غرباء بالنسبة لهذا العالم، ومدينتهم ومكان راحتهم ليست في هذا العالم، فالمسيحيون لهم عزاء وروح ودموع وحزن وتنهد، وحتى الدموع هي راحة وتمتع لنفوسهم. ويوجد عندهم خوف أيضا، في وسط الفرح والتهليل، ولذلك فهم مثل أناس يحملون دمهم في أيديهم، ولا يضعون ثقتهم في أنفسهم ولا يعتبرون أنفسهم أنهم شئ، بل هم محتقرون ومرذولون أكثر من كل الناس.

أي شيء لك لم تأخذه ؟

٢٧ ـ فإذا افترضنا أن ملكًا أودع كنزه عند إنسان فقير. فالإنسان الذي أخذ مسئولية حفظ الكنز لا يتمسك به كأنه ملكه بل يعترف دائما بفقره ولا يتجاسر أن يبذّر ويصرف من كنز غيره. ويضع دائما في عقله، ليس فقط أن الكنز ليس ملكه، بل أيضا "أن الذي أودع الكنز عندى هو ملك مقتدر قوى، وحينما يشاء فإنه يأخذه منى" كذلك ينبغي على أولئك الذين ينالون نعمة الله أن يعتبروا أنفسهم هكذا، وأن يكونوا ذوى عقل متضع، ويعترفوا بفقرهم. وكما أن الإنسان الفقير الذى، أودع الملك الكنز عنده، إذا اعتمد على الكنز الذي لغيره وتفاخر به كأنه كنزه وبدأ عقله يتشامخ، فإن الملك يأخذ منه الكنز، ويصير الإنسان الذي كان عنده الكنز فقيرًا كما كان سابقًا، هكذا الذين يحصلون على النعمة إذا استكبروا وانتفخوا، فإن الرب يأخذ نعمته منهم ، ويرجعون إلى ما كانوا عليه قبل نوال النعمة من الرب.

خداع الخطية وثمرة الجهاد ضدها :

٢٨ ـ وهناك كثيرون، بالرغم من أن النعمة حاضرة معهم، فإنهم ينخدعون بالخطية بدون أن يلاحظوا. فإذا افترضنا أنه كان في أحد البيوت فتاة عذراء، وكان هناك شاب أيضًا، فيحتال الشاب عليها ويتملقها حتى ترضى وتوافقه على شهواته، فتسقط وتفقد عفتها. كذلك الحيّة المرعبة، حيّة الخطية فهي تحضر دائما مع النفس، تداعبها وتغريها، فإذا وافقت النفس ورضيت، فإن النفس غير الجسدانية تدخل في ارتباط مع الشر غير الجسدانى الذي لذلك الروح (الشرير)، فالروح تدخل في ارتباط مع روح. والذي يرضى بإغواء الشرير، فإنه يزنى في قلبه، إذ يكون قد قبلَ ورضى بإيحاءات (الروح) الخبيث. فهذه هي إذن درجة جهادك، أن لا ترتكب هذه الخطية في أفكارك، بل تقاومها بعقلك، وتحارب وتجاهد في الداخل، ولا تذعن لفكر الشر، ولا تعطى مكانا في أفكارك للتلذذ بما هو خاطئ، فإذا وَجَدَ الرب فيك هذا الميل والاستعداد فهو بلا شك، يأخذك إليه في ملكوته في اليوم الأخير.

الرب يسمح بالتجارب لامتحان الإيمان :

٢٩ـ إن هناك أشياء يأمر بها الرب لكى لا يترك نفسه بلا شهادة من نعمته الإلهية ودعوته، وهناك أشياء أخرى يأذن بها الرب على سبيل السماح، لأجل امتحان الإنسان وتدريبه، لكى تظهر وتتضح حرية إرادته وتقريره وعزمه. فأولئك الذين هم في الشدائد والتجارب، إذا احتملوا وصبروا لا يسقطون من ملكوت السموات، لذلك فإن المسيحيين لا يقلقون ولا يكتئبون في ظروف الضيق. وإذا امتحنوا بالفقر أو الآلام، فلا ينبغي أن يستغربوا ذلك، بل بالحرى أن يفرحوا بالفقر ويحسبوه كالغنى، وبالصوم ويحسبوه كالوليمة، وبالهوان وعدم الشهرة ويحسبونه مجدًا. ومن الجهة الأخرى، إذا وقعوا في ظروف وأحوال مبهجة ومجيدة في هذه الحياة، قد تميل بهم إلى الراحة العالمية، أو الغنى أو المجد، أو

الترف أو التنعم، فلا ينبغي أن يفرحوا بهذه الأشياء. بل أن يتجنبوها كما يتجنبون النار.

محبة الله ـ كرامة الإنسان ـ تدبير الخلاص :

٣٠ـ وفي العالم الذي حولنا، إذا أثارت أمة صغيرة الحرب ضد الإمبراطور، فهو لا يهتم أن يدخل المعركة بنفسه، ولكنه يرسل جنودًا مع ضباطهم وهم يقومون بالقتال. ولكن إن كانت الأمة التي تثير الحرب ضده هي أمة عظيمة جدًا، وقوية لدرجة أنها تستطيع أن تخرب مملكته فإن الإمبراطور يضطر أن يخوض المعركة بنفسه ومعه رؤساء قصره وأبطال جنوده محركًا إياهم بنفسه في المعركة. فانظر إذًا مقدار كرامتك (أيها الإنسان). فإن الله بنفسه قد تحرك بصحبة قواته ـ وإنما أعنى الملائكة والأرواح المقدسة ـ وجاء من أجلك بنفسه، ليحميك وينقذك من الموت. لذلك اهتم بنفسك جيدًا، وتأمل في نفسك ما أعظم التدبير الذي صنعه الرب لأجلك، ونستعمل توضيحا من هذه الحياة في العالم إذ أننا لا نزال نحيا في وسطها، فإذا افترضنا أن هناك ملكًا عظيمًا، يبحث ويفتش ليجد إنسانا في فقر ومعاناة، وهو لا يخجل منه، بل يعالج جروحه بأدوية شافية، ويحضره إلى قصره، ويلبسه الأرجوان والتاج الملكى ويجعله شريكا في مائدته الملكية، فهكذا أيضا المسيح الملك السمائي جاء إلى الإنسان المجروح وشفاه وجعله شريكا في المائدة الملوكية، وذلك بدون أن يغتصب إرادته، بل بواسطة الحث والإقناع يجعله في مثل هذه الكرامة العظيمة.

الرب أعد لنا الملكوت ويدعونا لنرثه :

٣١ ـ إنه مكتوب في الإنجيل أن الرب أرسل عبيده، ليدعوا أولئك الذين يرغبون ويعلن لهم أن الغذاء قد أعد، ولكن الذين دعوا بدأوا يستعفون فقال أحدهم " قد اشتريت خمسة أزواج بقر" وقال آخر " إنى تزوجت بامرأة" (لو ١٤:١٦ـ٢٠). فها أنت ترى أن الداعي كان مستعدًا، ولكن المدعوين رفضوا دعوته فهم وحدهم المسئولون عن رفض الدعوة.
إن كرامة المسيحيين هي عظيمة جدا فتأمل كيف أن الرب قد أعد لهم الملكوت، ودعاهم ليدخلوا فيه، وهم لا يريدون. ومن جهة الهبة التي سيرثونها، فيمكننا أن نقول إنه لو جاهد كل واحد من الناس منذ خليقة آدم إلى نهاية العالم، لو جاهد الجميع ضد الشيطان واحتملوا الشدائد فإنهم لا يفعلون شيئا بالمقارنة بالمجد الذي سيرثه كل واحد منهم، لأنه سيملك مع المسيح إلى دهور لا نهاية لها، فالمجد لذلك الذي أحب النفس هكذا. المجد له لأنه أعطى نفسه وأعطى نعمته لها واستودعهما لهذا الشخص!.. فالمجد لعظمته!.

الاختلاف بين الإنسان الباطن والظاهر :

٣٢ ـ بحسب كل المظاهر الخارجية، فنحن الأخوة جميعا الذين نجلس هنا الآن لنا صورة واحدة ووجه واحد وهي التي لآدم. حسنا، ولكن هل لنا في الخفاء أيضًا، في الأمور الداخلية، قصد واحد بيننا جميعًا، وقلب واحد؟ هل نحن جميعا واحد، في الصلاح والتقوى؟ أم أن البعض منا لهم شركة مع المسيح وملائكته والبعض الآخر لهم شركة مع الشيطان والأرواح الشريرة؟ ومع ذلك نحن جميعا ونحن نجلس معًا ظاهرين مثل إنسان واحد، وكل واحد منا يحمل نفس وجه آدم. فها أنت ترى الفرق الكبير بين الجوهر غير المنظور، أى الإنسان الباطن وبين الإنسان الخارجي لأننا جميعا نشبه إنسانًا واحدًا، ومع ذلك فالبعض هم مع المسيح ، وملائكته والبعض مع الشيطان والأرواح النجسة. فالقلب له عمق لا قرار له. ففيه توجد غرف استقبال، وغرف للنوم، وأبواب وأروقة ومكاتب كثيرة، وممرات، وفيه يوجد معمل البر، أو معمل الشر. فيه الموت، وفيه الحياة، فيه توجد التجارة الصالحة وما هو ضدها أيضًا.

المسيح يقيم ملكوته في القلب :

٣٣ ـ فإذا افترضنا أن هناك قصر عظيم جدًا، وهذا القصر أصبح مهجورًا، وامتلأ بكل رائحة رديئة وبجثث ميتة كثيرة. هكذا فإن القلب هو قصر المسيح، وهو مملوء بكل نجاسة وبجموع كثيرة من الأرواح الشريرة، فينبغي إذن إعادة تأسيسه وإعادة بنائه، وإعادة تنظيم مخازنه وغرف النوم التي فيه، لأن الملك نفسه أى المسيح يأتي إلى هناك هو والملائكة والأرواح المقدسة. ليستريح وليسكن وليتمشى هناك ويقيم فيه ملكوته. وأنى أخبرك أن القلب هو مثل سفينة مزودة بكمية وافرة من حبال الأشرعة والبكرات، وفيها قبطان يدبر الكل، ويحدّد لكل واحد مهمته، ويصلح خطأ البعض منهم، ويبين لغيرهم ما هو الطريق، فالقلب أيضا له قبطان في العقل، وهو الضمير الذي يقوم دائما بمحاكمتنا، " والأفكار فيما بينها مشتكية أو محتجة" (رو٢:١٥) .

الضمير وملكات القلب :

٣٤ـ فأنت ترى أن الضمير لن يهمل أو يترك الأفكار التي تستجيب للخطية ، بل يحكم عليها في الحال. وهو لا يكذب، بل يشهد بما ينبغي أن يقوله أمام الله في يوم الدينونة، كأنه يقوم بمحاكمتنا بصفة مستمرة. فإذا افترضنا أن هناك مركبة ولجم، فإذا الخيل وكل جهاز العربة إنما هي تحت سيطرة سائق واحد فحينما يشاء فإنه يجعل المركبة تحمله بسرعة عظيمة، ومتى شاء فإنه يستطيع أن يوقفها. وأي طريق يريد أن يميل إليها فإن المركبة تسير معه حسب ما يوجهها فالمركبة هي تحت سلطان السائق. وبنفس الطريقة فإن القلب له ملكات طبيعية كثيرة مرتبطة

به، فالعقل والضمير هما الذان يوبخان القلب ويقودانه، ويوقظان الملكات الطبيعية التي تنبع في القلب. إن النفس لها أعضاء كثيرة، رغم أنها هي واحدة.
٣٥ـ ومن الوقت الذي فيه تعدى آدم الوصية، دخلت الحية إلى الداخل وجعلت نفسها سيدة البيت وصارت كأنها نفس ثانية إلى جانب النفس. لأن الرب يقول " من لا ينكر نفسه، ومن لا يبغض نفسه، فلا يكون لي تلميذًا" (لو١٤: ٢٦، ٩: ٢٣) وأيضا "من يحب نفسه فسيهلكها" (مت١٠: ٣٩).

النقاوة والقداسة :

فالخطية لما دخلت إلى النفس صارت مثل عضو للنفس، واتحدت بالإنسان الجسدانى، ولذلك فإن أفكارًا نجسة كثيرة تنشأ في القلب. فذلك الذي يعمل رغبات نفسه، فإنه يعمل رغبات الشر لأن الشر مختلط وممتزج بالنفس. والذي يجذب نفسه إلى الخضوع والطاعة، ويغضب مع نفسه وضد الرغبات التي تتحرك فيه، فهو مثل الذي يخضع مدينة العدو ويحكمها. وهذا الإنسان يحسب أهلا للوصول إلى درجات الروح الصالحة ويكافأ بواسطة قوة الله بأن يصير إنسانًا نقيًا، ويجعله الله أعظم من نفسه (أعظم مما كان)، لأن مثل هذا الإنسان يؤله، ويصير ابنا لله، إذ يحصل على الختم السماوي على نفسه، لأن مختارى الله يمسحون بدهن القداسة ويصيرون أناسا ذوى مراتب بل وملوكًا.

٣٦ ـ وهكذا هي طبيعة البشر. فمن عمق الخبث وعبودية الخطية قد يتحول الإنسان إلى الصلاح وقد يكون هناك إنسان مرتبط بالروح القدس وسكرانًا بالأمور السماوية ومع ذلك ففي استطاعته إذا أراد أن يتحول إلى الشر. ومثل امرأة تلبس الثياب الرثة، وتعانى الجوع وهي كلها قذرة، قد تصل بجهد كثير إلى المرتبة الملوكية، وتلبس الأرجوان والتاج، وتصير عروسا للملك. فهي تتذكر أحيانا حالتها السابقة القذرة وتخاف أن ترجع إلى حالتها القديمة، ولكنها لا تختار بإرادتها أن ترجع إلى عارها السابق، لأن ذلك يكون حماقة عظيمة، وهكذا أولئك الذين قد ذاقوا نعمة الله وصاروا شركاء الروح القدس إذا لم يحترسوا لأنفسهم (يأخذوا حذرهم) فإنهم ينطفئون ويصيرون أردأ مما كانوا عليه قبلاً حينما كانوا في العالم. وليس معنى هذا أن الله متغير أو غير قادر أن يحفظهم، أو أن الروح نفسه هو الذي "ينطفئ" (١تس٥: ١٩)، بل أن الأشخاص أنفسهم هم الذين لا يوافقون النعمة ولا يتجاوبون معها، ولهذا السبب فإنهم يخفقون ويسقطون في شرور كثيرة. لأن أولئك الذين قد ذاقوا تلك النعمة، يكون حاضرًا معهم كل من الفرح أو العزاء والخوف أو الرعدة، أى البهجة والحزن معًا. إنهم ينوحون لأجل نفوسهم ولأجل كل جنس آدم (إذ أن الجنس البشرى كله هو واحد) وأن دموع مثل هؤلاء الأشخاص هي خبزهم وبكاءهم وحزنهم هو حلاوة وإنعاش لهم.

خطورة الكبرياء الانتفاخ :

٣٧ ـ فإذا رأيت إنسانا متكبرا ومنتفخا بسبب ما ناله من نعمة فهذا الإنسان حتى لو صنع العجائب وأقام الموتى، ولكنه لم يعتبر نفسه أنه غير مستحق بل مزدرى، ويستمر مسكينًا بالروح ويبغض نفسه فإن الخطية تخدعه دون أن يدرى وحتى إن كان يصنع العجائب فلا يمكنك أن تصدقه، لأن علامة المسيحية هي هذه، أن يكون الشخص ممدوحًا من الله بينما هو يسعى باجتهاد لتجنب ملاحظة الناس له وحتى إذا كان عنده جميع كنوز الملك فإنه يخفيها، ويقول باستمرار "إن هذه الكنوز ليست ملكي بل إن شخصًا غيري قد وضعها بين يدي. وأما أنا فإنسان فقير، وحينما يشاء صاحبها فإنه يأخذها منى، فإذا قال أحد "أنا غنى وعندي الكثير وقد ربحت كثيرا ولا أحتاج إلى شيء أكثر" فهذا الإنسان ليس مسيحيًا، بل هو إناء للضلالة والشيطان. إن التمتع بالله إناء لا يشبع منه، فبقدر ما يذوق الإنسان منه ويأكل، فإنه يجوع أكثر. ومثل هؤلاء الأشخاص لهم حرارة ومحبة لله لا يمكن حصرها، وكلما سعوا للتقدم والنمو، كلما اعتبروا أنفسهم فقراء، كأولئك الذين هم في غاية الحاجة ولا يملكون شيئًا. وهذا ما يقولونه. "أنا لست أهلا لإشراق هذه الشمس على" وهذه هي علامة المسيحية ـ هذا التواضع ، وأما إن قال أحد "أنا قد شبعت وامتلأت" فهو خادع وكاذب.

التجلي وتمجيد الأجساد :

٣٨ ـ وكما أن جسد الرب كان قد تمجد حينما صعد إلى الجبل وتجلى بالمجد الإلهي وبالنور غير المحدود، فهكذا ستتمجد أجساد القديسين وتضيء مثل البرق. فالمجد الذي كان في داخل المسيح فاض على جسده وأضاء، وبنفس هذه الطريقة ما يحدث في القديسين، فإن قوة المسيح التي في داخلهم ستنسكب في ذلك اليوم على أجسادهم من الخارج. فإنهم منذ الآن يشتركون في جوهره وطبيعته في عقولهم، لأنه مكتوب " الذي يقدس والذين يتقدسون جميعهم من واحد" (عب٢:١١). وأيضا " وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يو١٧:٢٢). وكما أن مصابيحًا كثيرة توقد من نار واحدة هكذا أجساد القديسين إذ هي أعضاء المسيح فإنها بالضرورة تصير مثل المسيح نفسه وليس شيئًا آخر.

الموت والحياة وحرية الاختيار :

٣٩ ـ سؤال: ما هي أفضلية المسيحيين على آدم الأول؟ فإنه كان غير مائت وغير فاسد في الجسد وفي النفس معا، بينما المسيحيون يموتون ويأتون إلى الفساد.
جواب: الموت الحقيقي هو في الداخل، في القلب، وهو مختفي، والإنسان الباطن هو الذي يهلك، ولذلك فإذا انتقل أحد " من الموت إلى الحياة" (يو٥:٢٤) في ذلك المكان الخفي، فإنه يحيا حقيقة إلى الأبد ولا يموت أبدًا. ورغم أن أجساد مثل هؤلاء

الناس تتحلل إلى فترة من الزمن، إلا أنهم يقومون ثانيةً في مجد، لأنهم مقدسون. لهذا السبب نحن نسمى موت المسيحيين رقادًا وراحةً. فلو أن الإنسان كان غير قابل للموت، وجسده محفوظ من التحلّل، فإن العالم كله حينئذ حينما يرون هذه الحقيقة الغريبة أن أجساد المسيحيين غير قابلة للفساد، فإنهم يأتون إلى فعل الخير بنوع من الإجبار وليس بحرية الاختيار.

٤٠ـ فلكي تظهر حرية الإرادة وتظل ثابتة، تلك الحرية التي منحها الله للإنسان منذ البدء، لهذا السبب فإن العناية نظمت هذه الأمور، وجعلت تحلل الأجساد (أى الفساد) أمرًا واقعًا حتى يكون الأمر متروكًا لاختيار الإنسان وتمييزه أن يتحول إلى الخير أو إلى الشر. لأنه حتى الإنسان المتأصل في الشر والمتعمق في الخطية، والذي يجعل نفسه أداة للشيطان ليتسلط عليه تمامًا، فحتى هذا الإنسان ليس مربوطًا بأي اضطرار، بل إن له الحرية أن يصير " إناء مختار" (أع٩:١٥)، إناء للحياة. وبنفس الطريقة، فمن الناحية الأخرى أولئك الذين يتشربون باللاهوت، ولو كانوا مملوئين بالروح القدس وهم تحت سيادته، فإنهم ليسوا مُقيدين بأي اضطرار، بل لهم حرية الاختيار أن يتحولوا ويفعلوا ما يشاءون في العالم الحاضر.

النمو في النعمة بالتدريج :

٤١ـ سؤال:هل الشر يتناقص ويُستأصل بالتدريج، وهل يتقدم الإنسان في النعمة بالتدريج، أم أن الشر يُستأصل مرة واحدة حينما ينال الإنسان افتقادًا من النعمة؟.
جواب: كما أن الجنين في رحم أمه لا يتشكل إلى إنسان كامل مرة واحدة، بل تتكون فيه الصورة بالتدريج إلى أن يولد وحتى عند ولادته لا يكون رجلاً كامل النمو، بل يحتاج إلى سنوات لينمو، ويصير رجلاً، وأيضًا كما أن حبوب القمح أو الشعير لا تتأصل في الأرض بمجرد أن تلقى البذار فيها، بل تعبر عليها العواصف والرياح، وبعد ذلك تنبت السنابل في أوانها، والإنسان الذي يزرع شجرة كمثرى لا يأخذ من ثمارها في الحال، هكذا أيضا في الأمور الروحانية فإن فيها حكمة ودقة عظيمة، والإنسان ينمو رويدًا رويدًا إلى أن يصل " إلى إنسان كامل، إلى القامة التامة" (اف٤:١٣) وليس كما يقول البعض، يخلعون معطفًا ويلبسون آخر بدله.

٤٢ ـ والذي يريد أن يصير إنسانًا متعلمًا فإنه يبدأ أولاً بتعلم الحروف وحينما يتقنها فإنه يلتحق بالمدرسة الابتدائية في أول صفوفها وحينما يصل إلى آخر صف فيها، فإنه ينتقل إلى المدرسة المتقدمة كمبتدئ فيها وبعد ذلك حينما يصير "طالبًا باحثًا" فإنه يصير مبتدئًا بين المترافعين أمام القضاء وآخر واحد فيهم، وبعد ذلك حينما يرتفع إلى القمة بينهم فإنه يصير حاكمًا أو قاضيًا، وحينما يصل إلى درجة رئيس قضاة فيحق له أن يتخذ معاونا يساعده. فإذا كان في عالم الفكر توجد مثل هذه الدرجات من الارتقاء، فكم بالأولى يكون للأسرار السماوية درجاتها وارتقاءاتها،

ويزداد عدد الدرجات، ثم بعد التمرن الكثير والامتحان فإن الإنسان الذي يجوز التجارب ويحتملها يصل إلى الكمال. فالمسيحيون الذين ذاقوا النعمة حقا، وحملوا علامة الصليب في عقلهم وقلبهم. فهؤلاء ـ من الملك حتى الشحاذ ـ يعتبرون كل الأشياء التي في هذا العالم كنفاية ورائحة كريهة. وهؤلاء يستطيعون أن يعرفوا أن العالم الأرضى كله، وكنوز الملك، وكل غناه ومجده، وكل علوم الحكمة ليست إلا مظهرًا باطلاً، ليس له أساس ثابت، بل هو يعبر سريعًا، ويزدرون بسهولة بكل ما هو تحت السماء فإنهم يزدرون به بسهولة.

كرامة الإنسان العظيمة :

٤٣ـ والسبب في ذلك هو أن الأشياء التي فوق السموات هي غريبة جدًا وعجيبة ولا يوجد منها في كنوز الملوك، ولا في حكمة الكلام، ولا في المجد العالمي والكرامات والغنى ـ إنما الغنى الحقيقي يملكه هؤلاء الذين يمتلكون الرب خالق كل الأشياء في عمق إنسانهم الباطن، وهو النصيب الذي لا يضمحل أو ينزع أو يعبر، بل يثبت ويبقى إلى الأبد. إن المسيحيين يعرفون جيدا أن النفس هي أثمن من جميع الأشياء المخلوقة، فإن الإنسان وحده هو الذي صنع على صورة الله ومثاله. انظر إلى السماء، ما أوسعها وانظر إلى الأرض وما فيها من مخلوقات ثمينة وأجسادها العظيمة، إلا أن الإنسان هو أعظم قدرًا من كل هذه الأجساد فهو وحده الذي سُرّ به الرب، حتى وإن كانت حيتان البحر، والجبال، والوحوش أعظم من الإنسان في مظهرها الخارجي (إلا أن الإنسان أعظم من جميع المخلوقات) فتأمل في كرامتك وقدرك العظيم، حتى أن الله جعلك فوق الملائكة، لأنه لأجل معونتك وخلاصك جاء هو بنفسه شخصيًا إلى الأرض.

٤٤ـ إن الله وملائكته قد جاءوا[٤] لأجل خلاصك. فالملك، ابن الملك تشاور مع أبيه، ولهذا أرسل الكلمة، ولبس لباس الجسد وحجب لاهوته الخاص لكى يخلّص المثيل بالمثيل (أى يخلص الإنسان بالإنسان) وبذل حياته على الصليب. فما أعظم محبة الله للإنسان. فإن غير المائت اختار أن يصلب لأجلك فانظر إذن إلى أى درجة " أحب الله العالم"، لأنه " بذل ابنه الوحيد لأجلهم" (يو٣:١٦) " فكيف لا يهبنا معه كل شئ" (رو٨:٣٢) وفي موضع آخر يقول " الحق أقول لكم، إنه يقيمه على جميع أمواله" (مت٢٤:٤٧) وفي مكان آخر يبين بوضوح أن الملائكة هم خدام للقديسين، فحينما كان إليشع في الجبل وأتى عليه الغرباء، قال له خادمه أن كثيرين قد أتوا علينا ونحن وحدنا ـ حينئذ أجابه إليشع ألا تبصر المعسكرات وجماهير الملائكة التي تحيط بنا وتحمينا (انظر ٢مل٦:١٥ـ١٨) وهكذا فإن الرب نفسه مع جموع الملائكة يحضرون مع عبيده، فما أعظم النفس، وما أكرمها عند الله، لأن الله نفسه وملائكته يطلبونها لأجل الشركة معهم ولأجل الملكوت!. وأما الشيطان وقواته فإنهم يسعون وراءها لكى يجذبونها إلى ناحيتهم.

٤٥ـ وكما أنه في العالم الطبيعي لا يقوم بخدمة الملوك أشخاص غير مهذبين أجلاف إنما يقوم بخدمتهم أناس حسنو المنظر مهذبون، هكذا في القصر السماوي فإن الذين يخدمون الملك السماوي هم أولئك الذين بلا عيب، وبلا لوم والأنقياء القلب. وكما أنه بالقصر الأرضي يقوم بخدمة الملوك عذارى جميلات، ليس فيهن عيب بل هن أكثر النساء وسامة، هكذا أيضا في الأمور الروحانية فالنفوس التي تتزين بكل سيرة صالحة وقداسة هي التي تكون في صحبة الملك السمائي. وفي العالم المنظور حينما يذهب ملك ليقيم في مكان ما، فإذا حدث أن ذلك المكان كان فيه شيء غير نظيف، فإنه حالاً يُنظف ويُنظم بنظافة ونظام كامل وتسكب فيه الروائح العطرة الكثيرة، فكم بالأكثر جدًا يحتاج بيت النفس، الذي يستريح فيه الرب إلى تطهير وتنقية، ليستطيع الرب أن يدخل فيه ويستريح هناك فإنه هو بلا عيب ولا دنس. وفي مثل هذا القلب المُطهر يستريح الله وكل الكنيسة السماوية.

الله يعطينا أمجاده الخاصة :

٤٦ ـ وفي عالم البشر، إن كان أب له أملاك كثيرة وعنده تيجان وأحجار كريمة فإنه يخفيها في مخازن البيت محتفظًا بها لابنه الحبيب، ولهذا الابن يعطى كل كنوزه. هكذا فإن الله قد ائتمن النفس على ما عنده، وعلى كل أمجاده الخاصة الثمينة. وفي العالم، إذا ثارت حرب، وجاء الملك بجيشه للقتال ووجد أنه أضعف في العدد أو في القوة من الجانب الآخر، فإنه يرسل في الحال رسولاً ليطلب شروط الصلح (لو ١٤: ٣٢).
وأما إذا قامت أمة عظيمة جدا في الحرب مقابل أمة عظيمة معادلة لها وملك عظيم في مقابل ملك مثله ـ مثل ملك الفرس مثلاً ضد ملك الرومان ـ فحينئذ يضطر الملكان أن يتحركا بكل قواتهما في هذه الحرب . فانظر إذن عظمة كرامتك أن الله قد تحرك مع كل قواته أى الملائكة والأرواح ـ لمحاربة العدو لكى ما يخلصك من الموت. فالله إذن إنما جاء من أجلك.

ما فعله الله لأجل خلاصنا :

٤٧ـ وإذا افترضنا أن ملكًا وجد إنسانًا فقيرًا مملوءًا بالبرص في كل جسده، ولم يخجل منه بل وضع أدوية على جروحه وشفي قروحه، ثم أخذه إلى المائدة الملوكية وألبسه الأرجوان وجعله ملكًا، فهذا هو ما فعله الله مع جنس البشر. إنه غسل جروحهم وشفاهم، وأتى بهم إلى حجاله السماوية. فما أعظم كرامة المسيحيين حتى أنها لا يمكن مقارنتها بشيء آخر. ولكن إذا تكبّر المسيحي وسمح للخطية أن تسرقه فإنه يكون مثل مدينة لا سور لها فيدخل اللصوص إليها من أى ناحية يريدون، دون أن يعوقهم شئ، فيخربونها ويحرقونها. لذلك، إذا كنت تأخذ الأمور باستهانة ولا تحترس لنفسك فإن أرواح الشر تأتى عليك وتظلم عقلك وتخرّبه وتشتت أفكارك في أمور هذا العالم الحاضر.

٤٨ـ إن كثير من الناس هم مثقفون جدا من جهة الأشياء الخارجية ولهم معرفة وعلم ويعتنون بنظام معيشتهم وآداب الحياة، ويعتبرون أن ذلك هو الكمال، دون أن ينظروا نظرة عميقة في داخل قلوبهم، ودون أن يروا الشرور التي تحبس النفس . وبحسب المعنى الداخلي للشر فهو جذر مختفي في داخل القلب وفي الأعضاء. والسارق موجود في داخل البيت وأعنى به القوة المعادية وهي قوة متحدية غير منظورة، فإذا لم يضع الإنسان في نفسه أن يحارب الخطية، فإن الشر المختفي في الداخل ينتشر تدريجيًا، ويزداد ويتكاثر حتى يجعل الإنسان يرتكب الخطايا ظاهرًا وعلانية. إن عنصر الشر يفور إلى أعلى مثل عين الينبوع. فاهتم إذن أن توقف مجارى الخطية، وإلا فإنك ستسقط في آلاف من الأشياء الخاطئة وتصير مثل إنسان في حالة غيبوبة. فإذا افترضنا أن هناك أحد النبلاء يعيش في رخاء ووفرة ثم قام جنود الوالي وخدامه بالقبض عليه وحملوه إلى الحاكم قائلين "إنك متهم اتهامات خطيرة وأنك في خطر قطع رأسك. فبسبب هذه الأخبار المخيفة، يفقد توازن عقله ويصير مثل إنسان في حالة غيبوبة.

سبب الحيرة والاضطراب في حياة الناس :

٤٩ـ فافهم إذن، أن هذا هو ما تفعله أرواح الشر ضد الإنسان. إن العالم الذي تراه حولك، ابتداءً من الملك حتى الشحاذ، جميعهم في حيرة واضطراب وفتنة وليس أحد منهم يعرف السبب في ذلك، مع أن السبب هو ظهور الشر الذي دخل داخل الإنسان عن طريق معصية آدم، وأعنى به " شوكة الموت" (١كو١٥:٥٦). لأن الخطية التي زحفت إلى الداخل، إذ هي نوع من القوة غير المنظورة من الشيطان، وهي قوة حقيقية، قد زرعت في الإنسان كل أنواع الشر. وهي تعمل سرًا في الإنسان الباطن دون أن يلاحظها أحد، وتعمل في العقل، وتحارب ضد الأفكار؛ ولكن الناس لا يدركون أنهم يفعلون الشرور بتأثير قوة غريبة تعمل فيهم، وهم يظنون أن ما يفعلونه هو أشياء طبيعية، وأنهم إنما يفعلون هذه الأشياء باختيارهم. وأما أولئك الذين حصلوا على سلام المسيح في عقولهم وحصلوا على نوره في داخلهم، فإنهم يعرفون جيدا منبع كل هذه الحركات الشريرة.

٥٠ ـ إن العالم مستعبد لشهوة الخطية، وهو لا يدرى، وهناك نار نجسة تشعل القلب وتنتشر إلى كل الأعضاء، وتحث الناس على فعل الشهوات، وعلى آلاف خطايا أخرى. فأولئك الذين يدعون أنفسهم أو يسمحون لأنفسهم أن تداعبها الخطية فيبتهجون بها، إنما يرتكبون الخطية داخليًا في القلب. وهكذا يجد الشر مكانًا له فيهم، إلى أن يسقطوا في النجاسة المكشوفة ـ ولاحظ أن نفس هذا الأمر هو حقيقي. كذلك فيما يخص محبة المال، والمجد الباطل والكبرياء والحسد والغضب. وإذا دُعي إنسان إلى وليمة ووضعت أمامه أنواع أطعمة كثيرة، فإن الخطية تقترح عليه أنه ينبغي أن يأكل منها جميعًا، وهكذا فإن نفسه تسر بهذا الإيحاء وتثقل

بأثقال فوق طاقتها. فإن الشهوات هي كجبال ثقيلة لا تحتمل وتوجد في وسطها أنهار من التنانين والوحوش السامة والثعابين. وكما يبتلع الحوت إنسانًا في بطنه، هكذا تبتلع الخطية النفوس. إنها لهب نار حارقة وسهام ملتهبة من الشرير. فالرسول يقول " لكى تقدروا أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة" (أف٦:١٦) لأن الخطية وجدت لها مكانا في النفس. ووضعت أساساتها حول النفس.

حالة الحكماء بالروح :

٥١- وأما الذين صاروا حكماء بالروح، فإذا تحركت الشهوات فيهم، فإنهم لا يستسلمون لها البتة بل يغضبون على الرغبات الشريرة ويصيرون أعداء لأنفسهم ويبغضونها. لأن الشيطان يشتهي كثيرا أن يستريح في النفس ويوسع دائرته في داخلها وهو ينزعج ويتضايق حينما ترفض النفس الإذعان له. إن بعض الأشخاص هم تحت سيادة القوة الإلهية، هؤلاء الذين إذا رأوا فتى مع امرأة فربما يفكرون قليلاً، ولكن عقلهم لا يتنجس البتة، ولا يخطئون في داخل قلوبهم، ومع ذلك فليس من الممكن أن يطمئن الإنسان ويثق في جسده في هذه الحالة. ويوجد آخرون يكون أصل الشر فيهم منطفئا ويابسًا أى قد انتهي منهم، ولكن هذه هي درجات العظماء بالنعمة حقا. وكما أن الناس في مجال تجارة اللآلئ يغوصون عراة في أعماق البحر في أعماق المياه، ليجدوا هناك اللآلئ التي تصلح لزينة التيجان الملوكية والأرجوان الملوكي، هكذا أولئك الذين يعتنقون طريق الحياة التوحدية، يخرجون عراة من العالم، وينزلون إلى أعماق بحر الشر وإلى هاوية الظلمة، ومن تلك الأعماق يخرجون حجارة كريمة مناسبة لتاج المسيح وللكنيسة السماوية، وللعالم الجديد، ولمدينة النور، ولمحفل الملائكة.

٥٢- وكما أن الشبكة تجمع أنوعًا كثيرة من السمك فتطرح الأصناف الرديئة في البحر ثانية، هكذا فإن شبكة النعمة تنتشر على الكل وتطلب القبول والرضا، ولكن كثيرًا من الناس لا يوافقونها، ولذلك فإنهم يطرحون ثانية إلى هوة الظلمة العميقة. وكما أن الذهب يوجد بعد أن ينقى من وسط رمل كثير، على شكل ذرات صغيرة، هكذا فإنه من وسط كثيرين يوجد قليلون يثبتون مع التمحص. فأولئك الذين لهم عمل الملكوت هم ظاهرون وكذلك أولئك الذين يلبسون فقط كلمة الملكوت هم ظاهرون أيضًا. والمُمَلحون بالملح السماوي يصيرون ظاهرين وكذلك الذين يمتلئون من كنوز الروح. وكذلك فالأواني التي يسر الله بها هي ظاهرة أيضًا، وهو يعطيهم نعمته الخاصة، وآخرون، بالصبر الكثير ينالون قوة التقديس بأنواع مختلفة كما يشاء الرب. فذلك الذي يتكلم، إذا لم يكن منقادًا ومُرشدًا بالنور والحكمة السماوية، فإنه لا يستطيع أن يرضى ويشبع عقول الجميع، إذ أنه توجد أغراض كثيرة مختلفة، والبعض يكون في حالة حرب والبعض في راحة.

تطهير القلب والبناء الجديد :

٥٣ ـ وإذا كانت هناك مدينة خربة وأراد أحد الناس أن يعيد بناءها من جديد فإن أول شيء يفعله، هو أن يهدم تماما كل الأشياء المتهدمة الساقطة وهكذا يبدأ في الحفر ويضع الأساسات وهكذا يرتفع البناء رغم أنه لا يكون قد تم بناء بيت واحد بعد. وذلك الذي يريد أن يقيم حديقة جميلة في مكان قفر كريه الرائحة فإنه يبدأ أولا في تنظيف المكان وعمل سياج حوله وإعداد قنوات المياه، ثم بعد ذلك يغرس البستان، فتنمو الأشجار وهكذا بعد وقت طويل يأتي البستان بالثمر، وهكذا قلوب البشر منذ السقوط ،قد جفت وصارت خربة ومملوءة بالأشواك. لقد قال الله للإنسان " شوكا وحسكا تنبت لك الأرض" (تك٣:١٨).
لذلك فالأمر يحتاج تعبًا كثيرًا وجهدًا لكى يطلب الإنسان الأساسات ويضعها، إلى أن تأتى النار إلى قلوب الناس، وتبتدئ في اقتلاع الأشواك وتنقية القلوب، وهكذا يبتدئون أن يتقدسوا فيمجدون الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

---

[١] قارن بالعظة الثامنة فقرة٦ .
[٢] الكلمة المترجمة "مجادلات" في الأصل اليوناني في١تيمو٢:٨ هي نفس الكلمة المترجمة "أفكار" في إنجيل متى ١٥:١٩ .
[٣] القديس مقاريوس يقصد أن الشيطان يمكنه أن يحتمل أن يترك البعض بدون حرب، وهذه تكون بالنسبة للشيطان مثل الضريبة بالنسبة للغنى، أو الصدقة بالنسبة للمحسن فهي لا تشكل أى خسارة بالنسبة له.
[٤] المقصود بمجيء الملائكة لخلاص الإنسان هو خدمتهم للعتيدين أن يرثوا الخلاص لأنهم "أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص"(عب١:١٤) (المعرب) .

العظة السادسة عشر
أنت مدعو إلى فوق رغم التجارب

"الأشخاص الروحانيون يتعرضون لتجارب وشدائد مصدرها الخطيئة الأولى"

خُلقنا في حالة البراءة ـ الشر نتج من حرية الإرادة :

١ـ كل الجواهر الروحانية، أى الملائكة والنفوس البشرية والشياطين، كل هؤلاء قد خلقهم الخالق في حالة البراءة والبساطة التامة. أما كون البعض منهم قد تحولوا إلى الشر فهذا ناتج من حرية إرادتهم. فباختيارهم حادوا عن طريق التفكير السليم. فإذا قلنا أن الله خلقهم هكذا أشرارًا، فإننا بذلك نجعل الله قاضيا ظالما بإرسال الشيطان إلى النار. إن بعض الهراطقة قد قالوا أن المادة أزلية أى ليس لها بداية، وأن المادة هي أصل كل الأشياء. وأن هذا الأصل هو القوة، وهي قوة كافية بذاتها. وهذا الكلام نجيب عليه قائلين: "أية قوة إذن هي القوة الغالبة؟. هي بالتأكيد قوة الله، إذن فالمغلوب ليس معادلا للغالب لا في القوة ولا في الزمن". وأولئك الذين يقولون أن الشر هو جوهر حقيقي، لا يعرفون شيئًا. فبالنسبة إلى الله ليس هناك شر جوهري وذلك لأن الله حسب طبيعته الإلهية غير قابل للشهوات والأهواء ، أما نحن فإن الشر يعمل فينا بقوة كاملة ويجعل نفسه محسوسًا ويوحي بكل الشهوات

الرديئة ولكن الشر ليس مختلطًا بنا، كاختلاط الخمر بالماء كما يقول البعض، ولكنه مثل الزوان مع القمح فالقمح وحده والزوان وحده، رغم أنهما موجودان في نفس الحقل، كما أنه في بيت واحد قد يوجد اللص في جزء منه، ورب البيت في جزء آخر.

اختلاط الخطية بالنفس :

٢- إن ينبوع الماء ينبع ماءًا صافيًا رغم أنه يوجد طين أسفل الينبوع تحت الماء. فلو أن أحدًا حرك الطين، فإن الينبوع كله يتعكر. وهكذا النفس حينما تثار فإنها تتنجس وتختلط بالشر، ويصير الشيطان واحدا مع النفس، كروحين متفقين، في فعل الزنا أو في القتل. لهذا السبب " فالذي يلتصق بزانية هو جسد واحد" (١كو٦:١٦) ولكن في لحظة أخرى تكون النفس قائمة بذاتها، تائبة عما فعلته من خطية، وتبكى وتصلى وتتذكر الله، لأنه لو كانت النفس غارقة دائما في الشر فكيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ إذ أن الشيطان لا يريد أبدا أن يقبل الناس إلى التوبة. لأنه خال من كل رحمة أو شفقة.

شركة الروح القدس مع النفس :

والزوجة باتفاقها مع زوجها تصير واحدا معه ، ولكنهما في لحظة أخرى يفترقان، لأنه قد يحدث أن أحدهما يموت والآخر يعيش. وعلى مثال هذه الشركة تكون شركة الروح القدس مع النفس. فيصيران روحًا واحدًا " لأن من التصق بالرب فهو روح واحد" (١كو٦:١٧) وهذا الأمر يحدث عندما يمتلئ الإنسان بالنعمة فتحيطه من كل ناحية.

٣- ولكن يوجد البعض من الذين حصلوا على تذوق الله، ولكنهم لا يزالون خاضعين لتأثير العدو، وهم يستغربون بسبب نقص خبرتهم، أنه بعد افتقاد الله لهم بالنعمة فإنهم لا يزالون معرضين للتشكيك في أسرار الإيمان المسيحي. وأما أولئك الذين نضجوا فلا يستغربون هذا الأمر. وكما أن الفلاحين المهرة بسبب طول الخبرة، فإنهم في زمن الرخاء لا يزال عندهم حذر وحرص، وينظرون إلى أوقات القحط والغلاء، ومن الجهة الأخرى فحينما تأتى أوقات الغلاء والقحط فإنهم لا يتضجرون وييأسون لأنهم يتوقعون تغير الحال إلى الأفضل في المستقبل، وهكذا هو الحال في الأمور الروحية حينما " تقع النفس في تجارب متنوعة" (يع١:٢). فحينما تقع النفس في تجارب متنوعة، فهي لا تعتبره أمرًا غريبًا من ناحية، ومن الناحية الأخرى لا تيأس لأنها تعلم أن التجارب تأتى بسماح لأجل امتحانها وتهذيبها بالشر الذي يقابلها.
ومن الناحية الأخرى فحينما تكون في غنى كثير واطمئنان فإنها لا تتخلى عن اليقظة والحذر، بل تضع في اعتبارها احتمالات تغير الحال في المستقبل.

إن الشمس التي هي جسم مخلوق، تضئ في الأماكن ذات الرائحة الرديئة، حيث يوجد الوحل والقاذورات، دون أن تصاب الشمس بأى أذى أو نجاسة، فكم بالحرى جدا يحتفظ الروح القدس النقى بشركته مع النفس، حينما تكون تحت تأثير من الشرير، دون أن يصبه (أى الروح القدس) أى شيء من هذا الشر. "والنور يضئ في الظلمة والظلمة لا تدركه" (يو ١:٥).

الرجاء الثابت وعدم اليأس :

٤ـ لذلك فحينما يكون الإنسان في عمق (الروح)، وهو غنى بالنعمة، لا يزال فيه بقية من الشر موجودة معه. ولكن يوجد له معين قريب منه ليسعفه ويعينه. لذلك فحينما يكون الإنسان في الشدائد وتثور عليه موجات عظيمة من الأهواء فلا ينبغي أن ييأس، لأن اليأس يجعل الخطية تزدهر وتجد فرصة أكثر للتملك على الإنسان. ولكن حينما يكون للإنسان رجاء مستمر ثابت في الله، فإن الخطية تتناقص وتذوى وتجف.
إن الشلل والتشوهات، والحمى أو الأمراض، هذه كلها ناتجة عن الخطية. لأن الخطية هي أصل كل الشرور، وكل الشهوات الناتجة عن أهواء النفس أو من أفكار الشر، إنما ترجع كلها إلى الخطية. فإن كان هناك نبع ماء جارى ـ وتحيط به مستنقعات وأراض رطبة موحلة، ومع ذلك فحينما يأتي عليه الحر، فإن النبع وما يحيط به من أراض ـ يجف تمامًا، هكذا الحال مع عبيد الله الذين تفيض فيهم النعمة وتزداد، فإن هذه النعمة تجفف الشهوة سواء كانت من العدو الشرير، أو من الطبيعة (طبيعتهم البشرية)، فإن رجال الله الآن، أعظم من آدم الأول.

الله في كل مكان :

٥ ـ إن الله غير محدود وغير مدرك وهو يُظهر نفسه في كل مكان، في الجبال، وفي البحر، وفي الأعماق، ولكن بدون أن ينتقل من مكان إلى آخر مثل الملائكة الذين ينزلون من السماء إلى الأرض. فهو في السماء، وهو هنا على الأرض. ولكنك ستقول لي "كيف يمكن أن يكون الله في الجحيم ؟ أو كيف يمكن أن يكون في الظلمة، أو في الشيطان، أو في الأماكن الفاسدة؟ "فأجيبك أن الله غير قابل للتأثر بالشر ويحوى كل الأشياء، لأنه غير محدود، وأما الشيطان الذي هو خليقة الله، فهو مقيد. أما طبيعة الصلاح (الله) فلا تؤثر فيها النجاسة أو تلوثها كما أن الظلمة لا تستطيع أن تجعله مظلما. فإذا قلت إنه لا يحوى كل الأشياء بما فيها الجحيم والشيطان، فإنك بذلك تجعله محدودًا من جهة المكان الذي يوجد فيه العدو الشرير، وعلى هذا الأساس يقتضى البحث عن إله آخر أعلى منه. فالله إذن يلزم أن يكون في كل مكان. ولكن اللاهوت له طبيعة سامية ونقية جدًا حتى أن الظلمة، لا تستطيع أن تدركه أو تفهمه، ولا يستطيع الشرير أن يشترك في نقاوته رغم أنه موجود فيه. وبالنسبة لله لا يوجد شر جوهري حيث إن الشر لا يستطيع أن يصيبه بأي أذى.

لنحول أفكارنا إلى المسيح :

٦ـ أما بالنسبة لنا، فالشر حقيقي، لأنه يسكن في القلب ويعمل فيه إذ أنه يوحى بالأفكار الشريرة والمنجسة، ولا يدعنا نصلى نقاوة، بل يجذب عقولنا إلى العبودية لهذا العالم، وقد جعل النفوس ملبسًا له وتغلغل حتى إلى عظامنا ولمسها مع أعضائنا.
فكما أن الشيطان موجود في الهواء، وكما أن الله موجود هناك، فإن الله لا يصاب بأي أذى نتيجة وجوده مع الشيطان في الهواء. وهكذا فإن الخطية موجودة في النفس ونعمة الله موجودة فيها كذلك دون أن تصاب نعمة الله بأى أذى وكما أن الخادم الذي يكون بجوار سيده هو في خوف مستمر بسبب قربه من سيده، وهو لا يفعل شيئا بدون سيده. هكذا يجب علينا أن نحول أفكارنا إلى سيدنا المسيح ونكشفها له، وهو الذي يعرف القلب، وليكن في داخلنا رجاء وثقة أنه هو "مجدي، وهو أبى، وهو غناي".
ينبغى أن يكون لك في قلبك حرص ومخافة. فحتى إذا لم يكن الإنسان حاصلاً على نعمة الله مغروسة وثابتة فيه بشدة حتى أنها تقوده وتوقظه وتحثه على الأشياء الصالحة ليلاً ونهارًا وبلا انقطاع وتكون مرتبطة بنفسه كما برابطة طبيعية، فعلى الأقل، ينبغى أن يكون له الحرص، والخوف والاجتهاد، وانسحاق القلب، ثابتة فيه باستمرار كأنها حقيقة طبيعية غير متغيرة.

النعمة تنشئ المحبة الإلهية وتغير القلوب :

٧ـ ومثل نحلة تصنع قرصًا من العسل داخل الخلية، هكذا النعمة تنشئ المحبة الإلهية سرًا في القلوب وتغيرها من المرارة إلى الحلاوة ومن الخشونة إلى الرقة واللطف، وكما أن الصائغ والنقاش حينما يحفرون أو ينقشون لوحة، فإنه يغطى أجزاء من الصور التي ينقشها على اللوحة، ولكنه حينما ينهي عمله، فإنه يظهرها لامعة بالنور، هكذا الرب الصائغ والفنان الحقيقي يحفر على قلوبنا وينقشها، ويجددها في صمت وسكون إلى أن يأتي يوم خروجها من الجسد، وحينئذ يظهر جمال النفس بوضوح.
وأولئك الذين يريدون أن يصنعوا أواني، ويصوروا فيها صور حيوانات فإنهم يصنعون تصميمهم أولا على الشمع (قالب)، ثم يصبون المعدن على القالب، وهكذا يكتمل العمل على حسب التصميم الموضوع أصلاً. هكذا الخطية، رغم أنها ليس لها جسد ، ولكن لها صورة وهي تتخذ أشكالا كثيرة، وبنفس الطريقة فإن الإنسان الباطن هو مثل واحد من هذه الحيوانات (التي ترسم) فإن له صورة وله شكل لأن الإنسان الباطن هو على مثال الإنسان الخارجي. وما أعظم هذا الإناء وما أثمنه إذ أنه هو الإناء الوحيد الذي سر الرب به من بين جميع المخلوقات. وأفكار النفس

الصالحة هي كحجارة ثمينة ودرر، وأما الأفكار النجسة فهي مملوءة "عظام أموات وكل نجاسة " ورائحة رديئة (مت٢٣:٢٧).

من هم المسيحيون بالحق ؟ :

٨ـ فالمسيحيون إذن هم من عالم آخر وهم أولاد آدم السماوي، جنس جديد، أولاد الروح القدس وأخوة المسيح المضيئين، مثل أبيهم آدم السماوي المضيء. وهم من تلك المدينة، ومن ذلك النسب، ومن تلك القوة (السماوية)، إنهم ليسوا من هذا العالم ، بل من عالم آخر، والرب نفسه يقول " أنتم لستم من هذا العالم كما أنى أنا لست من هذا العالم" (يو١٧:١٦).
ولكن كما أن التاجر الذي كان في رحلة طويلة لأجل تنمية تجارته ويكون قد سبق قبل عودته وأرسل لأصدقائه ليهيئوا له منازل وحدائق وملابس بحسب ما يلزمه وحينما يعود إلى بلدته فإنه يحضر معه أموالاً كثيرة ويلاقيه أصحابه وأقرباؤه بفرح عظيم، كذلك في الأمور الروحانية فالذين يجعلون الغنى السماوي هو موضوع عملهم وانشغالهم فإن أصدقاءهم وأهل بلدتهم، أى أرواح الصديقين القديسين والملائكة يعرفون عملهم واهتمامهم، ويقولون بفرح وإعجاب: "إن اخوتنا الذين على الأرض قد أتوا بغنى عظيم". فهؤلاء عند رحيلهم من العالم يكون الرب معهم ويسببون فرحا عظيما لأولئك الذين هم خاصة الرب في السماء، يستقبلونهم مجهزين لهم بيوتا وبساتين وملابس كلها لامعة وثمينة جدًا.

الحاجة للاعتدال والإفراز :

٩ـ إننا نحتاج إلى الاعتدال والتبصر في كل الأمور، حتى لا تتحول الأشياء الصالحة التي تبدو أننا قد امتلكناها، إلى ضرر لنا. فإن الذين هم رحومين بطبيعتهم، إذا لم يحفظوا أنفسهم فقد ينزلقون تدريجيًا إلى الضلال عن طريق نفس شفقتهم ورحمتهم، وأولئك الذين عندهم حكمة يمكن أن تخدعهم حكمتهم. فيجب على الإنسان أن يكون معتدلاً ومتزنًا معًا في جميع الاتجاهات: بأن يجمع الشفقة مع الشدة، والحكمة مع حرية التصرف، والقول مع العمل، وفي كل شيء يضع ثقته في الرب لا في نفسه.
لأن الفضيلة تُتَبل بتوابل متنوعة كثيرة، كما أن طعامنا الضروري يُتَبل بأنواع من البهارات ـ ليس بالعسل فقط، بل بالفلفل أحيانًا ـ وهكذا يصير صالحًا ومناسبًا للأكل .

١٠ـ وأولئك الذين يقولون أن الخطية غير موجودة في الإنسان هم مثل أناس مغمورين تحت مياه كثيرة فائضة، ومع ذلك لا يقرون بأن المياه تغمرهم، بل يقولون، "إننا سمعنا صوت المياه سماعًا" ورغم أنهم يكونون مغمورين في عمق أمواج الشر، فمع ذلك يقولون أن الخطية غير موجودة في عقلهم أو أفكارهم.

الفرق بين الفكر النظري وبين الدخول للكنوز السماوية :

يوجد فرق عظيم بين أولئك الذين لهم فكر نظري وقدره على الكلام، ولكنهم غير مُملّحين بالملح السمائي ـ الذين يتحدثون عن المائدة الملكية دون أن يكونوا قد ذاقوا منها شيئا أو تمتعوا بها وبين إنسان يرى الملك نفسه، وقد كشفت له الكنوز السماوية وقد دخل إليها، وصار وارثًا لها، وهو يأكل ويشرب من المأكولات السماوية الثمينة.

الحرص وانسحاق القلب وعناية النعمة :

١١ ـ وإن كان لأم ابن وحيد، وسيم جدًا، وعاقل وحكيم، ومزّين بكل الصفات الصالحة، وقد وضعت كل آمالها فيه فإذا مات هذا الابن ودفنته فإنها تصاب بأحزان لا نهاية لها وبكاء ونحيب حتى أنها لا تستطيع أن تتعزى. هكذا أيضا ينبغي على العقل أن يحزن ويبكى حينما تموت النفس عن الله ويكون له كآبة كثيرة وقلب منسحق، ويكون في خوف وحرص، وفي نفس الوقت يكون له جوع وعطش باستمرار إلى كل ما هو صالح، فمثل هذا الإنسان تأخذه يدى نعمة الله والرجاء الإلهي لتعتني به النعمة فلا يعود يحزن أيضًا، بل يبتهج ويفرح كمن وجد كنزًا عظيمًا، ولكنه يرتعد خوفًا أيضًا لئلا يفقد الكنز. لأن اللصوص يحضرون كثيرًا للهجوم عليه. ومثل إنسان تعرض لخسائر كثيرة من اللصوص واستطاع أن ينجو منهم بصعوبة شديدة وبعد هذا حصل على غنى وفير وخيرات كثيرة، فإنه لا يعود يخشى تأثير الخسارة عليه بسبب ثرائه الوفير، هكذا الرجال الروحانيون فإنهم يتعرضون أولا لتجارب وضيقات مخيفة، ولكنهم حين يمتلئون بالنعمة ويفيضون بالصالحات ، فإنهم لا يعودون يخافون من أولئك الذين يريدون أن يسرقوهم ، بسبب أن غناهم صار عظيمًا، ولكنهم يخافون ـ ليس خوف المبتدئ من أرواح الشر، بل لهم خوف وحرص كيف يستثمرون المواهب الروحية التي ائتمنوا عليها.

النعمة تغرس التواضع في النفس :

١٢ـ والواحد من هؤلاء الروحانيين، يعتبر نفسه أحقر من جميع الخطاة، ويتأصل فيه هذا الفكر حتى يصير كجزء من طبيعته وكلما تقدم في معرفة الله، بقدر ذلك يحسب نفسه جاهلاً تمامًا، وكلما تعلم فإنه يحسب نفسه أنه يعرف أقل. إن النعمة هي التي تقوم بهذا التأثير في النفس وتجعله كجزء من الطبيعة في النفس. ومثل الطفل الذي يحمله شاب قوى، والذي يحمله يأخذه إلى حيث يشاء، هكذا النعمة التي تعمل في أعماق النفس فإنها تحملها وترفعها إلى السموات، إلى العالم الكامل، والراحة الأبدية.

الراحة وعدم الراحة :

ولكن النعمة فيها درجات ورتب. إذ أن رئيس العسكر الذي يحق له الدخول إلى الملك يختلف عن الضباط. وكما أن البيت الذي يمتلئ بالدخان يفرغ الدخان أيضا إلى الفضاء الخارجي هكذا الخطية المخزونة في النفس تخرج إلى الخارج وتنتج ثمارها. وكما أن أولئك الذين كلفوا بحكم إحدى الولايات أو كلفوا بإدارة الخزانة الملكية هم دائمًا في قلق وحذر لئلا يسيئوا إلى الملك، هكذا أولئك الذين استؤمنوا على العمل الروحاني هم دائمًا في حذر وحرص رغم أنهم يكونون في راحة إلا أنهم لفترة من الوقت يكونون كأنهم لم يحصلوا على الراحة بعد. لأن مملكة الظلمة التي دخلت إلى مدينة النفس والقوات الغريبة التي سيطرت على مراعيها هي في طريقها أن تطرد خارج النفس.

١٣ـ والمسيح الملك يرسل لينتقم للمدينة ويقيد الظالمين بالسلاسل، وتعسكر الجنود السماوية وجيش الأرواح المقدسة هناك كأنهم في السموات، وحينئذ فإن الشمس تضئ في القلب وتخترق أشعتها وتدخل إلى كل الأعضاء، وهكذا يملك سلام عميق ويصير هو القوة المسيطرة هناك.

استمرار الصراخ إلى الله :

ولكن عزيمة الإنسان في الحرب والجهاد وقيمته الحقيقية وإرادته الصالحة من نحو الله، كل هذه تظهر حينما تتأخر النعمة ولكنه يظل شجاعا ويستمر يصرخ إلى الله. إنك حينما تسمع أن هناك أنهار بها تنانين، وأفواه أسود وقوات مظلمة تحت السماء ونار تحرق الأعضاء فإنك لا تفكر فيها، غير عالم أنك إن لم تنل عربون " الروح القدس" (٢كو١:٢٢)، فإن هذه كلها تمسك بنفسك عند خروجها من الجسد ولا تدعوك تصعد إلى السماء.

أتى هو بشخصه ليدعوك إلى فوق :

وبنفس الطريقة، حينما تسمع عن كرامة النفس وكيف أن جوهرها العاقل ثمين جدًا، فإنك لا تفهم أن الله لم يقل عن الملائكة، بل عن الطبيعة البشرية " لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك١:٢٦). وأن السماء والأرض تزولان ولكنك أنت قد دعيت إلى الخلود، والتبني، والأخوة للملك، ولتكون عروسًا له. في هذا العالم الذي حولنا كل ما هو للعريس يصير للعروس، وهكذا كل ما هو للرب، مهما كان فإنه يودعه إياك. لقد أتى هو بشخصه إلى معونتك، ليدعوك إلى فوق، وأنت لا تقدر ولا تفهم مقدار كرامتك. لذلك فالمرنم الملهم يبكي على سقطتك قائلا: " إنسان في كرامة ولا يفهم، فهو مثل البهائم بلا عقل، وهو يُشبّه بها" (مز٤٩:٢٠). فليكن المجد للآب وللابن، وللروح القدس. إلى الأبد آمين

العظة السابعة عشر

مسحة الروح القدس

"مسحة المسيحيين الروحانية ومجدهم، وأنه بدون المسيح يستحيل الخلاص وتستحيل الشركة في الحياة الأبدية"

مسحة الروح :

١ـ المسيحيون الكاملون الذين حسبوا أهلا للوصول إلي مقاييس الكمال والالتصاق جدا بالملك (المسيح)، هؤلاء يكرسون أنفسهم دائما لصليب المسيح. وكما كانت المسحة في أيام الأنبياء هي أثمن من جميع الأشياء ـ إذ أن المسحة جعلتهم ملوكا وأنبياء، هكذا الأشخاص الروحيون الآن، الذين يمسحهم بالمسحة السماوية فإنهم يصيرون مسحاء بحسب النعمة، فيكونون هم أيضًا ملوكًا وأنبياء للأسرار السماوية.
هؤلاء هم أبناء وأرباب وآلهة، مأسورون ومستعبدون لنعمة الله، ومستغرقون في العمق، مصلوبون ومكرسون. فإن كانت مسحة الزيت، التي استخرجت من نبات مادي ـ من شجرة منظورة لها كل هذه القوة، حتى أن أولئك الذين مسحوا بها، نالوا كرامة فوق كل اعتبار ـ فإنه هكذا كانت القاعدة الثابتة التي بها يعينون ملكًا، فداود مثلا بعد أن مُسح، وقع في الحال في اضطهاد وآلام، ثم بعد سبع سنوات صار ملكًا ـ فكم بالحري جدًا كل الذين يُمسحون في العقل والإنسان الباطن بدهن البهجة (عب١:٩) الذي يقدس ويبهج، الدهن السماوي الروحاني ، ينالون علامة ذلك الملكوت الذي لا يفني، والقوة الأبدية، عربون الروح (٢كو٥:٥)، ي الروح القدس المعزي. وهو يسمي المعزي لأنه يعزي أولئك الذين في الشدائد.

الدخول منذ الآن ومعاينة النور :

٢ ـ فهؤلاء إذ قد مُسحوا من شجرة الحياة ـ ي يسوع المسيح الغرس السماوي، فإنهم ينالون امتياز المجيء إلي درجات الكمال، درجات الملكوت والتبني، ويكونون مشاركين حقيقيين في أسرار الملك السماوي وخفاياه، إذ يدخلون بحرية إلي القدير، يدخلون في قصره حيث يكون الملائكة وأرواح القديسين، وهم يدخلون منذ الآن بينما هم لا يزالون في هذا العالم. ورغم أنهم لم ينالوا الميراث الكامل المُعَد لهم في ذلك الدهر، فإنهم متيقنون ـ عن طريق العربون الذي قد نالوه الآن ـ كأنهم قد كُلَّلوُا ومَلَكُوا، وإذ هم عتيدون أن يملكوا مع المسيح، فإنهم لا يستغربون وفرة وحرية فيض الروح. لماذا؟. لأنهم حصلوا ـ وهم لا يزالون في الجسد ـ علي لذة حلاوته وعلي عمل قوته الفعالة.

٣ ـ فحينما يكون إنسان ما صديقا للإمبراطور، ويعمل في قصره ويتعرّف علي أسراره وخفاياه، وينظر أرجوانه، فإذا صار ذلك الإنسان هو نفسه إمبراطورًا فيما

بعد ، وتوج فإنه لا يندهش أو يُصدم (بما في القصر) حيث أنه سبق أن تَدّرب طويلاً في أسرار القصر وخفاياه. فلا يستطيع شخص ساذج أو جاهل أو غريب عن خفايا القصر أن يدخل القصر ويملك، بل يستطيع ذلك فقط أولئك الذين لهم خبرة وتدرب، وكذلك المسيحيون الذين سيملكون في الدهر الآتي، فإنهم لا يستغربون، إذ أنهم سبق أن تعرّفوا علي أسرار النعمة وخفاياها. فحينما تعدي الإنسان الوصية ألقي الشيطان علي النفس حجابًا مظلمًا. ثم تأتي النعمة فتزيل الحجاب تمامًا، حتي أن النفس إذ تصير نقية، وتستعيد طبيعتها الأصلية، وتصير صافية بلا عيب، فإنها تنظر دائما بصفاء- بعينها النقية - مجد النور الحقيقي، وشمس البر الحقيقية ساطعة بأشعتها داخل القلب نفسه.

٤- وكما أنه في نهاية العالم تزول السماء (الجلد) ويعيش الأبرار حينئذ في الملكوت والنور والمجد ولا يعاينونشيئا آخر سوي المسيح وهو جالس في المجد دائمًا عن يمين الآب، هؤلاء الناس يختطفون منذ الآن إلي ذلك الدهر الآتي ويؤسرون، وهناك يعاينون كل أنواع الجمال والبهاء والعجائب.
فنحن رغم أننا علي الأرض فإن " مدينتنا هي في السموات" (في ٣: ٢٠) إذ فيما يخص العقل والإنسان الباطن، نصرف وقتنا ونقوم بأنشطتنا في ذلك العالم. وكماأن العين الظاهرة - عندما تكون صافية - تري الشمس دائما بوضوح، هكذا العقل المُطهر تمامًا فإنه دائمًا ينظر مجد نور المسيح ويكون مع الرب ليلاً ونهارًا، كما أن جسد الرب المتحد باللاهوت هو دائمًا مع الروح القدس.

قوة عمل النعمة وتأثير الخطية:

ولكن الناس لا يصلون إلي هذه المقاييس في لحظة، بل بالتعب والآلام والجهاد الكثير. لأن البعض منهم تعمل النعمة معهم وتسكن فيهم، ومع ذلك فالشر أيضا يعمل فيهم في الداخل فكل من النور والظلمة له عمل وتأثير علي القلب الواحد بعينه.

٥ - ولكنك ستسألني قائلاً: " ي شركة للنور مع الظلمة" (٢كو ٦: ١٤) وكيف يتأثر النور الإلهي أو يَظلَمْ ؟ وكيف يمكن أن يتلوث ما هو طاهر ونقي؟ كما هو مكتوب " النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه" (يو ١: ٥) ولكننا لا يجب أن نفكر في هذه الأمور من وجه واحد وبدون تدقيق. فالبعض من الناس يستقرون في نعمة الله ويعتمدون عليها لدرجة عظيمة، حتى أنهم يصيرون أقوي من الخطية التي فيهم وينعمون بنعمة الصلاة وراحة كثيرة في الله، ولكنهم في لحظة أخري يكونون تحت تأثير الأفكار الشريرة وينخدعون بالخطية بالرغم من كونهم لا يزالون في نعمة الله.
ولكن الناس ذوي العقول الخفيفة - الذين لم يدركوا حقيقة الأمر - حينما تعمل فيهم النعمة، إلي حد ما، فإنهم يتخيلون أنه لم يبقَ هناك شيء اسمه الخطية. أما الذين

لهم تمييز وفطنة فلا يجرؤون أن ينكروا أننا حتى مع حصولنا علي نعمة الله فإننا معرضون لتأثير الأفكار الشريرة والمنجسة.

٦ـ لقد وجدنا أمثلة كثيرة بين الأخوة الذين حصلوا علي فرح عظيم ونعمة هذا مقدارها حتى أنهم لمدة خمس أو ست سنوات متتابعة جفت فيهم الشهوة ولكنهم بعد ذلك حينما ظنوا أنهم صاروا أحرارًا تمامًا منها، فإن الشر الذي كان مختفيا تحرك عليهم ثانية واشتعلت فيهم الشهوة، حتى أنهم تعجبوا وقالوا " من أين جاء علينا وقام ضدنا هذا الشر بعد كل هذا الوقت الطويل؟".
فلا يجرؤ إنسان ذو عقل سليم أن يقول "حيث أن النعمة حاضرة في فأنا حر من الخطية علي الإطلاق" والحقيقة إن كلاً من النعمة والخطية يكون لها ـ في ذلك الوقت ـ عمل وتأثير علي القلب.
والذين ليس لهم خبرة في هذه الأمور، حينما تعمل فيهم النعمة بعض العمل، يتصورون أنهم قد وصلوا إلي الظفر الكامل وصاروا مسيحيين كاملين.
ولكن من جهتي أنا أقول أن حقيقة الأمر هي هكذا: حينما تكون الشمس في السماء مشرقة في جو صاف ثم تأتي السحب وتحيط بها وتغطيها، وتجعل الجو معتما، فإن الشمس مع ذلك تكون بعيدة جدا ولا يضيع شيء من نورها ولا من جوهر طبيعتها، هكذا هو الأمر مع أولئك الذين لم يتطهروا ويتنقوا تنقية كاملة. أنهم يكونون في نعمة الله، ولكنهم ممسكين تحت السطح بالخطية ولذلك فإن حركاتهم الطبيعية، وأفكارهم الحقيقة، متجهة بقوة إلي الله وبالرغم من ذلك فإنها ليست مرتبطة ارتباطًا كليًا بالصلاح.

٧ـ ومن الجهة الأخرى فهناك البعض الآخر هم مُمْسكين في العمق بقوة الخير والصلاح ـ قوة النعمة ومع ذلك لا يزالون في عبودية وخضوع للأفكار الشريرة وجانب الشر. لذلك فالأمر يحتاج إلي إفراز كثير لكي يعرف الإنسان بالاختبار أن حقيقة الأمر هي هكذا. وأني أذكر لكم أنه حتي الرسل رغم نوالهم المعزي في داخلهم لم يكونوا خالين تماما من الخوف فإلي جانب امتلائهم من الفرح والبهجة كان فيهم أيضا خوف ورعدة ناشئة من النعمة نفسها وليست ناشئة من جانب الشر، وكانت النعمة نفسها تحفظهم. وتحرسهم لكي لا ينحرفوا ي انحراف.
فإذا رمي إنسان حجرا صغيرا علي حائط فإنه لا يضر الحائط ولا يحركه من مكانه وإذا أطلق سهم علي رجل يلبس درعا فإنه لا يضر درع الحديد ولا جسم لابس الدرع لأنه ينعكس ويرتد إلي خلف. هكذا حتي إذا اقترب من الرسل جزء صغير من الشر، فإنه لم يكن ليجرحهم أو يضرهم لأنهم كانوا بقوة المسيح الكاملة وإذ كانوا كاملين ، كانت لهم الحرية الكاملة لعمل البر بكل أنواعه.

٨ ـ إن البعض يقولون أن النفس بعد نوالها النعمة تصير بلاخوف ولكن الله يطلب إرادة النفس ـ حتي في الكاملين ـ لتصير في خدمة الروح، لكي يعملا كلاهما في توافق واتفاق.

فالرسول يقول " لا تطفئوا الروح" (١تس٥:١٩) فالبعض منهم كانوا غير راغبين أن يثقلوا علي غيرهم، والبعض كانوا يسيرون علي حِدَتهم، والبعض الآخر كانوا يأخذون من العائشين في العالم ويوزعون علي الفقراء. وهذا كان أفضل. لأن البعض تكون فيهم النعمة فيهتمون بنفوسهم فقط، بينما يسعي آخرون لمنفعة نفوس اخوتهم أيضًا وهؤلاء أفضل من الآخرين. والبعض من الذين لهم النعمة يسلمون أجسادهم للتعييرات والآلام من أجل اسم الله وهؤلاء أيضًا أفضل من أولئك. والبعض في سعيهم إلي الفضيلة يميلون إلي التشامخ وإلي نوال الكرامة والمديح من الناس، ويقولون إنهم مسيحيون وشركاء للروح القدس. وآخرون يجتهدون في إخفاء أنفسهم حتي من مقابلة الناس وهؤلاء أفضل من أولئك الآخرين. وهكذا ترون أنه حتي في الكمال تكون الإرادة الصالحة نحو الله المتوافقة بتكامل مع الإرادة الطبيعية هي التي تعلو وتتفاضل كثيرًا جدًا.

الحديث الروحي بدون تذوق واختيار :

٩ ـ فإذا كان إنسان فقير، يري نفسه غنيًا في حلم الليل، وحينما يستيقظ من النوم يجد نفسه فقيرًا عريانًا مرة أخري. كذلك الذين يتحدثون الحديث الروحاني ويظهرون كأنهم يتحدثون بكفاءة تامة، ولكنهم إن لم يكونوا حاصلين علي الشيء الذي يتحدثون عنه، متحققا في قلوبهم بالتذوق والقوة والاختبار الشخصي فإنه لا يكون لهم سوي مظهر باطل وخيال وهمي.
أو مثل امرأة مزينة بالحرير ومتحلية بالجواهر وتعرض نفسها في مكان الفساد والعار، هكذا يكون قلب هؤلاء الناس مأوي للأرواح النجسة فإنهم يسرعون إلي التكلم والحديث عن البر بينما هم لم يتمتعوا حتي بنظرة لهذه الحقائق.

١٠ ـ السمكة لا تستطيع أن تعيش خارج الماء، ولا يستطيع أحد أن يمشي بدون قدمين، أو يري النور بدون عينين أو يتكلم بدون لسان أو يسمع بدون أذنين. هكذا بدون الرب يسوع وعمل قوته الإلهية، لا يستطيع أحد أن يعرف أسرار الله وحكمته، أو أن يحصل علي الغني الحقيقي ويصير مسيحيًا. فإن الحكماء، المحاربين، الشجعان، وفلاسفة الله هم أولئك الذين ينقادون ويتغذون وينضبطون في الإنسان الباطن بالقوة الإلهية. إن فلاسفة اليونانيين يتعلمون صناعة الكلام بينما الآخرون هم "عاميون في الكلام" (٢كو١١:٦)، ويبتهجون ويفرحون متهللين بنعمة الله لأنهم رجال تقوي فلنحكم أيهما أفضل. فالرسول يقول " ملكوت الله ليس بكلام بل بالفعل والقوة" (١كو٤:٢٠).

١١ـ فإنه من السهل جدًا علي ي إنسان أن يقول: "هذا الخبز مصنوع من القمح". ولكن كان ينبغي أن يخبرنا عن كيفية إعداده وعجنه بالتفصيل. هكذا فإن التحدث عن التحرر من الأهواء وعن الكمال هو أمر سهل ولكن خبرة الوصول إلي الكمال ليست أمرًا هينا.

فالإنجيل مثلا يقول في اختصار " لا تغضب ، لا تشتهي" وأيضًا "من لطمك علي خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضًا" (مت٥: ٣٩، ٤٠).
ولكن الرسول إذ يتتبع كيفية تتميم عمل التطهير فإنه بصبر ومثابرة قليلاً قليلاً يعلمنا بالتفصيل مغذيًا إيانا باللبن كالأطفال ثم يأتي بنا إلي النمو وإلي النضج الكامل. فالإنجيل قال: إن الثوب مصنوع من صوف الحملان (مت٧: ١٥)، ولكن الرسول أعلن بالتفصيل كيفية صنعه.

١٢ـ هكذا أولئك الذين يتحدثون بالأحاديث الروحية، بدون أن يتذوقوا ما يتحدثون عنه فإنهم يشبهون إنسانًا مسافرًا في صحراء مقفرة تحت أشعة الشمس المحرقة، وبسبب عطشه فإنه يتخيل صورة ينبوع ماء جار ويري نفسه وهو يشرب منه، بينما تكون شفتاه ولسانه كلها جافة مشتعلة من شدة العطش الذي يتملكه، أو كمثل إنسان يتحدث عن العسل ويقول أنه حلو، مع أنه لم يذقه قط، ولذلك فإنه لا يعرف قوة حلاوته. هكذا هي حالة أولئك الذين يتحدثون عن الكمال والفرح، والتحرر من الأهواء دون أن يكون فيهم العمل الفعّال أو المعرفة الشخصية لهذه الأمور، وليست الأشياء كلها كما يصفونها هم. وإذا حسب إنسان من هذا النوع، أهلا لأن يكتشف الحقيقة، فإنه يقول في نفسه إني لم أجد الحقيقة كما كنت أظن، فإني كنت أتحدث في اتجاه، والروح يعمل في اتجاه آخر.

١٣ ـ لأن المسيحية هي في الحقيقة طعام وشراب، فكلما أكل الإنسان منها ازداد قلبه ولعا بحلاوتها، ولا يتوقف أو يكتفي بل يطلب المزيد، ويستمر يأكل بلا شبع أو امتلاء. فإذا أعطي شراب حلو لإنسان عطشان، فإنه بعد أن يتذوقه، يزداد ظمئًا إليه، ويشتاق إليه بحرارة أكثر من الأول. والحقيقة أن مذاقة الروح تشبه ذلك، ولكن بغير حدود، حتي أنه لا يوجد شيء يمكن أن يمثل به، وهذه ليست مجرد كلمات. فهذا هو فعل الروح القدس وعمله الذي يعمله في الخفاء في القلب.

القداسة هي نقاوة القلب :

إن البعض يتصورون أنهم صاروا قديسين بسبب امتناعهم عن الزواج وعن بعض أمور أخري منظورة، ولكن الأمر ليس كذلك. فإن الخطية لا تزال تعيش وترفع رأسها في العقل وفي القلب. فإن القديس هو ذلك الذي يتنقي ويتقدس في الإنسان الباطن. وحيثما يرفع الحق رأسه، فهناك يبدأ الشر هجومه محاولا أن يخفي الحق ويحجبه.

١٤ ـ وحينما كان اليهود يمتلكون الكهنوت، فإن بعضًا من تلك الأمة كانوا يُضطهدون ويتألمون بسبب ثباتهم في الحق، مثل أليعازر والمكابيين. والآن بعد

الصليب وانشقاق الحجاب، فارق الروح اليهود، وأما الآن فإن الحق كُشف هنا وهو يعمل هنا (في المؤمنين بالمسيح)، وهكذا فإن البعض من هذه الأمة (المسحيين) يُضطهدون بدورهم. إن الاضطهاد والشدائد تقع علي المؤمنين، لكي يستطيع محبي الحق أن يشهدوا له لأنه كيف يظهر الحق إن لم يكن له أعداء، الذين هم الكذبة والمقاومون للحق...؟
وحتي بين الأخوة، يوجد البعض ممن يحتملون آلام وشدائد كثيرة، ومع ذلك يحتاجون إلي احتراس كثير لكي لا يسقطوا.
كان أحد الأخوة مرة في صلاة مع آخر، وأسرَ من القوة الإلهية واختطف وري أورشليم العليا ومناظرها المضيئة، والنور اللانهائي، وسمع صوتًا يقول هذا هو مكان راحة الأبرار، وبعد وقت قصير، انتفخ في نفسه وظن أن الرؤيا التي رآها هي مختصة به وتنسب إليه، وبعد ذلك سقط إلي أعماق الخطية، وآلاف أمور شريرة.

١٥ـ فإن كان الذي دخل إلي الداخل والمتقدم كثيرًا سقط هكذا، فكيف يستطيع الشخص العادي أن يقول " أني بصومي وتغربي، وتوزيع كل أموالي قد صرت قديسًا؟" .
إن مجرد الامتناع عن الشرور ليس هو الكمال، بل إن دخلت إلي قلبك الخرب وذبحت الحية القتّالة التي تكمن تحت العقل، تحت سطح الأفكار، وتختبئ داخل ما نسميه مخادع النفس ومخازنها الخفية. إن القلب هوة عميقة، فقط إن كنت تقتل هذه الحية وتخرج خارجا كل ما كان فيك من النجاسة فحينئذ تتحول إلي النقاوة.
فإن كل الفلاسفة والناموس والأنبياء بل مجيء المخلّص، كل ذلك كان من أجل الطهارة. فكل الناس يهودًا كانوا أم أممًا يحبون الطهارة، رغم أنهم لا يستطيعون أن يكونوا أطهارًا. فينبغي أن نستمر في البحث عن الكيفية والوسائل التي نحصل بها علي نقاوة القلب.

طريق النقاوة :

وبالتأكيد لا يوجد طريق آخر سوي بواسطة ذلك الذي صلب لأجلنا. فهو الطريق والحياة والحق، والباب والجوهرة، والخبز الحي السماوي. وبدون هذا الحق تستحيل معرفة الحق، ي يستحيل الخلاص.
فكما أنه من جهة الأمور المنظورة، قد تخليت عن كل شيء ووزعت أموالك، هكذا أيضا من جهة الحكمة العالمية، فإن كان لك علم وفصاحة كلام، فإنك ينبغي أن ترذلها وتعتبرها كلا شئ، حتى تستطيع أن تتهذب وتبني " بجهالة الكرازة" (١كو١:٢١)، هذه الكرازة التي هي الحكمة الحقيقية التي لا تعتمد علي عظمة وغرور الكلام، بل لها قوة تعمل بفاعلية بواسطة الصليب المقدس. فالمجد للثالوث الواحد في الجوهر إلي الأبد. آمين

غنى وكنز الروح القدس

"عن كنز المسيحيين، الذي هو المسيح والروح القدس الذي يدربهم بطرق متنوعة ، ليأتي بهم إلى الكمال"

كنز الروح :

١ـ إذا كان إنسان غنى في هذا العالم وعنده كنز مخفي فإنه من ذلك الكنز والغنى الذي له يمكنه أن يشترى أى شيء يشتهيه. وكل الأشياء النادرة التي يشتهيها ـ في هذا العالم، فإنه بسهولة يجمعها ويكدسها، معتمدا على كنزه لأنه بواسطة هذا الكنز، يسهل عليه اقتناء كل الممتلكات التي يشتهى امتلاكها. وبنفس الطريقة فإن أولئك الذين يطلبون ويسعون إلى الله، وقد وجدوا الكنز السماوي أى حصلوا على كنز الروح، الذي هو الرب نفسه، مضيئا في قلوبهم، فإنهم يتمّمون كل بر الفضائل وكل غنى الصلاح الذي أوصى به الرب، وذلك من كنز المسيح الذي فيهم، وبواسطة ذلك الكنز يتممون كل فضائل البر معتمدين على مجموع الغنى الروحي الكثير المتجمع في داخلهم، ويعملون بسهولة كل وصايا الرب بواسطة غنى النعمة غير المنظور الذي فيهم. يقول الرسول " لنا هذا الكنز في أوان خزفية" (٢كو٤:٧). أى الكنز الذي أعطى لهم في هذه الحياة ليمتلكوه في داخل نفوسهم، " الذي صار لنا حكمة من الله وبرًا وقداسة وفداءً" (١كو١:٣٠).

٢ ـ فالذي وجد وامتلك في داخله كنز الروح السماوي هذا فإنه يتمم به كل بر الوصية ويكمل جميع الفضائل بنقاوة وبلا لوم، بل بسهولة وبدون تغصب. لذلك فلنتضرع إلى الله، ونسأله ونطلب منه بشعور الاحتياج، أن ينعم علينا بكنز روحه، لكيما نستطيع أن نسلك في وصاياه كلها بطهارة وبلا لوم، ونتمم كل بر الروح بنقاوة وكمال بواسطة الكنز السماوي، الذي هو المسيح. فالذي يكون فقيرًا وعريانًا ومحتاجًا ومعدمًا في هذا العالم، لا يستطيع أن يقتنى شيئا، لأن فقره يمنعه من ذلك، ولكن الذي يملك الكنز ـ كما سبق أن قلت ـ فإنه بسهولة يقتنى كل ما تصبو نفسه إليه، بدون جهد أو ألم. هكذا النفس العريانة والمقفرة من شركة الروح، الواقعة تحت فقر الخطية المرعب لا تستطيع ـ حتى إذا رغبت ـ أن تثمر أى ثمر من ثمار روح البر بالحق، قبل أن تدخل في شركة الروح.

٣ـ فليغصب كل واحد منا نفسه ليطلب من الرب أن يحسب أهلاً أن ينال وأن يجد كنز الروح السماوي. لكيما يستطيع بتهيؤ وبدون صعوبة، أن يعمل كل وصايا الرب بنقاوة وبلا لوم تلك الوصايا التي لم ينجح قبل ذلك في أن يعملها مهما غصب نفسه. لأنه إذ يكون فقيرًا وعريانًا من شركة الروح، فكيف يمكنه أن يقتنى الكنوز السماوية بدون أن يحصل على كنز وغنى الروح؟. أما النفس التي وجدت الرب الذي هو الكنز الحقيقي فإنها بواسطة طلب الروح، وبالإيمان والثقة، وبصبر كثير،

تثمر ثمار الروح بسهولة وراحة، كما قلت سابقًا، وتعمل كل وصايا الرب، التي أوصى بها الروح، هذه كلها تعملها في داخلها، وبنفسها، بنقاوة وكمال وبلا لوم.

غنى الروح ومنفعة الآخرين :

٤ـ ولنستخدم توضيحًا آخر: إنسان غنى يريد أن يصنع وليمة فاخرة فإنه يصرف من ثروته والكنز الذي يملكه، ولأنه غنى جدا فإنه لا يخاف من عدم كفاية أمواله لتجهيز كل لوازم الوليمة. وهكذا فإنه يكرم الضيوف الذي دعاهم. ببذخ وأبهة، واضعًا أمامهم أصنافًا كثيرة من المأكولات معدّة بأحدث طرق التجهيز. وأما الفقير الذي ليس عنده مثل هذا الغنى فإنه إذا رغب في عمل وليمة لأصدقاء قليلين فإنه يضطر أن يستعير كل شيء، من الأوانى والأطباق والمفارش وكل شيء آخر، وبعد ذلك حينما تنتهى الوليمة ويخرج المدعوون فإنه يعيد كل الأشياء التي استعارها إلى أصحابها سواء أطباق فضة أو مفارش أو أى أشياء أخرى، وهكذا حينما يُرجع كل شئ يظل هو نفسه فقيرًا وعريانًا إذ ليس له غنى خاص يعزى به نفسه.

٥ـ وبنفس الطريقة فإن أولئك الذين يكونون أغنياء بالروح القدس الذين عندهم الغنى السماوي حقا وشركة الروح في داخل نفوسهم، فإنهم حينما يكلمون أحدا بكلمة الحق أو حينما يتحدثون بالأحاديث الروحية ويريدون أن يعزوا النفوس فإنهم يتكلمون ويخرجون من غناهم ومن كنزهم الخاص الذي يمتلكونه في داخل نفوسهم، ومن هذا الكنز يعزّون ويفرّحون نفوس الذين يسمعون أحاديثهم، ولا يخافون أن ينضب معينهم، لأنهم يملكون في داخلهم كنز الصلاح السماوي الذي يأخذون منه ليعزوا ويفرحوا ضيوفهم الروحيين.
أما الفقير الذي لا يملك غنى المسيح وليس عنده الغنى الروحى في داخل نفسه الذي هو ينبوع كل صلاح سواء في الأقوال أو الأعمال أو الأفكار الإلهية والأسرار التي لا ينطق بها. فحتى إذا أراد هذا الفقير أن يتكلم بكلمة الحق ويعزى بعض سامعيه بدون أن ينال في نفسه كلمة الله بالقوة والحق، فإنه يكرّر من الذاكرة ويقتبس فقط كلمات من أجزاء مختلفة من الكتاب المقدس أو مما سمعه من الرجال الروحيين فيخبر ويعلم بها الآخرين ـ وهكذا يظهر كأنه يعزى ويفرح الآخرين، والآخرون يبتهجون بما يخبرهم ولكن بعد أن ينتهى من الكلام تعود كل كلمة إلى مصدرها الأصلى الذي أخذت منه ويبقى هذا الإنسان ويعود كما كان عريانًا وفقيرًا لأنه ليس له كنز الروح خاصًا به ليأخذ منه ويعزى ويفرح الآخرين إذ أنه هو نفسه لم يتعز أولاً ولا ابتهج بالروح.

٦ـ لهذا السبب ينبغى لنا أولا أن نطلب من الله باجتهاد قلب وبإيمان، حتى يهبنا أن نجد في قلوبنا هذا الغنى، أى كنز المسيح الحقيقي بقوة الروح القدس وفاعليته. ولهذا فعندما نجد الرب أولا في نفوسنا لمنفعتنا أى للخلاص والحياة الأبدية، فحينئذ يمكننا أن ننفع الآخرين أيضا إذ يصير هذا ممكنًا، لأننا نأخذ من المسيح الذي هو

الكنز الموجود في داخلنا ونخرج منه كل الصلاح الذي للكلمات الروحية ونكشف أمامهم أسرار السماء. لأن هذه هي مسرة صلاح الآب أن يسكن في كل من يؤمن به ويحبه " من يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى" ويقول أيضا " إليه نأتى، أنا والآب، ونصنع عنده منزلاً" (يو ١٤: ٢١، ٢٣).
هذا ما شاءه إحسان الآب غير المتناهى، وهذا ما سرّت به محبة المسيح الفائقة المعرفة، وهذا ما وعد به صلاح الروح الذي لا ينطق به. فالمجد للحنان غير المنطوق به الذي للثالوث الأقدس

أنواع فاعلية النعمة في القلب:

٧ـ لأن أولئك الذين أعطى لهم أن يصيروا أبناء الله، وأن يولدوا من فوق من الروح، والذين لهم المسيح منيرًا في داخلهم، ومنعشًا لهم، هؤلاء يقودهم الروح بطرق متنوعة كثيرة. وتعمل النعمة سرًا في قلوبهم وتعطيهم راحة روحية .
فلنستعمل صور التنعمات والمسرات الملموسة التي في هذا العالم لنوضح بها ـ إلى حد ما ـ أعمال النعمة في القلب. ففي بعض الأوقات تعزيهم النعمة وتفرحهم كما في وليمة ملوكية فيفرحون بفرح وسرور لا ينطق به وفي وقت آخر يكونون مثل عروس تتنعم بالشركة مع عريسها في راحة إلهية. وفي وقت آخر يصيرون كملائكة بدون أجساد، لكثرة سموهم وخفتهم وعدم تثقلهم حتى بالجسد. وفي وقت آخر يكونون كأنهم سكارى إذ يكونون منتعشين وثملين بالروح وبالأسرار الإلهية الروحانية.

٨ـ وفي وقت آخر يكونون كأنهم في بكاء ونحيب لأجل جنس البشر وإذ يتوسلون لأجل ذرية آدم كلها فإنهم يولولون ويبكون، إذ تشتعل فيهم محبة الروح نحو جنس البشر. وفي وقت آخر يشعلهم الروح بفرح ومحبة كثيرة حتى أنه لو أمكنهم لأدخلوا كل إنسان إلى أحشائهم، بدون تفريق بين الردىء والجيد.
وأحيانا يصيرون تحت كل الناس في تواضع الروح حتى أنهم يحسبون أنفسهم آخر الكل وأقل الكل.
وأحيانًا يجعلهم الروح في فرح لا يُنطق به. لدرجة أنهم يُجهدون من الفرح. وفي وقت آخر يكونون مثل إنسان جبار قد لبس الدرع الملكى الكامل ونزل إلى المعركة ضد أعدائه، فيحاربهم بقوة ويهزمهم، فإنه مثل هذا الجبار كذلك يأخذ الإنسان الروحانى أسلحة الروح السماوية وينزل لمقاتلة الأعداء فيحاربهم، ويدوسهم تحت قدميه.

٩ـ وفي وقت آخر تستريح النفس في هدوء عظيم وسكون وسلام، دون أن تشعر بأى شئ آخر سوى اللذة الروحانية والراحة والسعادة التي لا توصف.
وفي وقت آخر، تعلمها النعمة بنوع لا ينطق به من الفهم والحكمة، ومعرفة الروح الذي يفوق الفحص وتعلمها أشياء لا يمكن النطق بها باللسان والكلام، هكذا فإن

معاملات النعمة متنوعة جدًا في النفوس، وهى تقود النفس التي تنعشها وتحييها، بطرق كثيرة بحسب إرادة الله وتدربها بطرائق مختلفة لكى تعيدها إلى الآب السماوي كاملة ونقية وبلا عيب.

١٠ـ ولكن أفعال الروح هذه التي تحدثت عنها تختص بالدرجات العظيمة القريبة من الكمال، لأن تنعمات النعمة المختلفة هذه، رغم أنه يُعبّر عنها بطرق مختلفة ولكنها تفعل بلا انقطاع في أولئك الأشخاص، فاعلية تليها فاعلية أخرى. لأنه حينما تصل النفس إلى كمال الروح ، وتتطهر بالتمام من الشهوة، وتتحد مع الروح المعزى وتختلط به بشركة لا توصف، فإنها تحسب أهلا أن تصير هي نفسها روحًا، في اختلاطها مع الروح، حينئذ تصير كلها نورًا، وكلها عينًا، وكلها روحًا، وكلها فرحًا، وكلها راحة، وكلها بهجة، وكلها محبة، وكلها حنان، وكلها صلاح، وكلها رأفات محبة.
وكما أن الحجر الذي في قاع البحر تحيط به المياه من كل ناحية، كذلك كل هؤلاء أيضًا إذ يكونون مغمورين بالروح من كل ناحية فإنهم يصيرون مشابهين للمسيح، حاصلين في أنفسهم على فضائل قوة الروح بلا تغيير لكونهم بلا عيب وأنقياء وبلا لوم من الداخل والخارج.

١١ـ وإذ قد ردهم الروح وأعادهم إلى الله هكذا فكيف يمكنهم أن يخرجوا ثمر الخطية؟ بل في كل الأوقات وفي كل الظروف تشع منهم ثمار الروح ظاهرة فيهم.

لنطلب نعمة الروح بالإيمان والمحبة والرجاء :

فلنتوسل إذًا إلى الله بإيمان وبالمحبة والرجاء الكثير، لكى يمنحنا النعمة السماوية، نعمة الروح، لكى ما يحكمنا ويضبطنا ذلك الروح نفسه أيضًا، ويقودنا إلى كل إرادة الله وينعشنا ويحيينا بكل أنواع إنعاشه وإحيائه لكى بواسطة عمل الروح هذا وفاعلية النعمة، والنمو الروحاني نتقدم، لنحسب أهلا لإدراك كمال ملء المسيح كما يقول الرسول " لتمتلئوا بكل ملء المسيح" (أف٣:١٩) وأيضا يقول " إلى أن ننتهي جميعنا إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف٤:١٣).
ولقد وعد الرب كل الذين يؤمنون به ويسألونه بالحق أن يعطيهم أسرار شركة الروح الذي لا يُنطق به.
لذلك فلنكرس نفوسنا بكليتها للرب ونسرع للحصول على الخيرات التي تكلمنا عنها. وإذ نكرس نفوسنا وأجسادنا ونتسمر على صليب المسيح فلنكن لائقين ومستعدين للملكوت السماوي، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين

العظة التاسعة عشر
وصايا المسيح والامتلاء من الروح القدس

" المسيحيون الذين يريدون التقدم والنمو ، ينبغي أن يغصبوا أنفسهم إلى كل ما هو صالح ليتحرروا من الخطية الساكنة فيهم وليمتلئوا من الروح القدس"

الإيمان بثبات والمواظبة على الصلاة :

١ـ إن أراد أحد أن يأتي إلى الرب، وأن يوجد أهلا للحياة الأبدية، وأن يصير مسكنا للمسيح وأن يمتلئ بالروح القدس لكيما يستطيع أن يثمر ثمار الروح، ويتمم وصايا المسيح بنقاوة وبلا عيب، يجب عليه أن يبتدئ أولا بالإيمان بالرب بثبات، وأن يسلّم نفسه كلية إلى كلمات وصاياه، ويتخلى عن العالم تخليًا تامًا، لكي لا ينشغل عقله بالمرة بشيء عالمي.
ويجب عليه أيضا أن يواظب دائما على الصلاة، وينتظر دائمًا بإيمان وتوقع افتقاد الرب وعونه، جاعلاً نظر عقله مثبت دائما نحوه. ثم ينبغي أن يغصب نفسه إلى كل عمل صالح وإلى وصايا الرب كلها، وذلك بسبب الخطية الساكنة فيه. فمثلاً، ليغصب نفسه إلى تواضع القلب مع جميع الناس، ويحسب نفسه أقل منهم وأردأ منهم، فلا يطلب كرامة أو مدحًا أو مجدًا من أى واحد من الناس، كما هو مكتوب في الإنجيل (يو١٢:٤٤)، بل يضع الرب، ووصاياه، أمام عينه كل حين، راغبًا في أن يرضى الرب وحده بوداعة القلب، كما يقول الرب " تعلموا منى لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت١١:٢٩).

وصايا المسيح والصلاة بإيمان وثقة :

٢ـ وبنفس الطريقة فليعود نفسه على أن يكون رحيمًا، شفوقًا رقيق القلب، صالحًا، بأقصى طاقة عنده. كما يقول الرب " فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا رحيم" (لو٦:٣٦)، ويقول أيضا " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياى" (يو١٤:١٥) وأيضا " ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه" (مت١١:١٢). وأيضا يقول " اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق" (لو١٣:٢٤).
وفوق كل شيء فليحفظ في ذاكرته ـ بدون نسيان مطلقا ـ تواضع الرب يسوع وسلوكه، ووداعته وسيرته، كمثاله الدائم أمام عينيه. وليواظب على الصلاة بمثابرة متوسلاً إلى الرب بإيمان وثقة لكي يأتى ويسكن فيه ويصير كاملا، ويقويه في حفظ جميع وصاياه، وليصير الرب ذاته هو موضع سكنى نفسه وهكذا فإن الأشياء التي يفعلها الآن بالتغصب وبقلب معارض، يأتى يوم حين يفعلها برضى وإرادة منه، معودًا نفسه دائمًا على ما هو صالح، ومتفكرا دائما في الرب، وينتظر الرب بمحبة كثيرة في الروح القدس .

ملء الروح وعمل الوصايا بدون صعوبة :

وحينما يرى الرب تشوّقه، واجتهاده الصالح، وكيف أنه يغصب نفسه لتذكر الرب وكيف يلزم قلبه بما هو صالح حتى لو كان بخلاف رغبته، ويلزمه بالتواضع والوداعة والمحبة بأقصى طاقة عنده، فإن الرب يتحنن عليه وينقذه من أعدائه، ومن الخطية الساكنة فيه، ويملأه بالروح القدس.
وهكذا فبعد ذلك يفعل كل وصايا الرب بالحق بدون تغصب أو صعوبة أو تعب، أو بالحري فإن الرب نفسه هو الذي يفعل وصاياه فيه، وحينئذ يخرج ثمار الروح بنقاوة.

يغصب نفسه إلى ما هو صالح (وصايا المسيح) :

٣ـ فالذي يأتي إلى الرب يلزمه أولاً أن يغصب نفسه إلى ما هو صالح حتى لو كان ضد ميل قلبه، منتظرًا دائمًا رحمة الرب بإيمان لا يتزعزع.
ويغصب نفسه إلى المحبة حينما تنقصه المحبة، ويغصب نفسه إلى الوداعة حينما لا تكون عنده وداعة، ويغصب نفسه إلى الشفقة إلى أن يكون له قلب حنون ـ وأن يغصب نفسه على تحمل الازدراء وأن يحتمله بصبر، وحينما يُحتقر أو يُعير، فلا يغضب، كما هو مكتوب " ولا تنتقموا لأنفسكم ايها الأحباء" (رو١٢:١٩) ـ وليغصب نفسه إلى الصلاة حينما لا تكون له الصلاة الروحانية، وهكذا إذ يراه الله مجاهدًا وغاصبًا بالرغم من معارضة قلبه، فإنه يهب له صلاة الروح الحقيقية وينعم عليه بالمحبة الحقيقية، والوداعة وأحشاء الرأفات والشفقة الحقيقية، وباختصار فإنه يملأه بثمار الروح.

٤ـ ولكن إن كان إنسان يغصب نفسه إلى الصلاة فقط لكي ما يحصل على نعمة الصلاة، ولكنه لا يغصب نفسه إلى الوداعة والتواضع والمحبة وبقية وصايا الرب ولا يهتم أو يتعب ويجتهد لكي يتمم هذه الوصايا ـ بقدر ما هو مستطاع لحرية الإرادة وعزم القلب ـ فقد تعطى له أحيانا نعمة الصلاة جزئيًا، مع تعزية وفرح من الروح بحسب ما سأل وطلب ولكنه يظل كما هو في صفاته وسلوكه. فيكون بلا وداعة، لأنه لم يطلبها باهتمام، ولم يعد نفسه ليقبلها فيصير وديعًا ويكون بلا تواضع لأنه لم يطلب التواضع، ولم يغصب نفسه إليه. ويكون بلا محبة من نحو الناس لأنه لم يهتم ويجتهد لكي يحصل عليها بالتوسل والصلاة وليس له إيمان وثقة في الله في تكميل ما عليه من الأعمال، لأنه لم يعرف نفسه، ولم يكتشف أن هذا هو ما يعوزه، ولم يبذل أى اهتمام أو جهد ليحصل على احتياجه، طالبًا من الرب أن يحصل على إيمان ثابت وثقة حقيقية فيه.

٥ ـ فإنه كما أن كل واحد يلزم ويغصب نفسه إلى الصلاة بالرغم من نفور القلب، هكذا ينبغي لمن يغصب نفسه أيضًا إلى الثقة بالله، وإلى التواضع، وإلى المحبة، وإلى الوداعة، وإلى الإخلاص والبساطة، وإلى "كل صبر وطول أناة بفرح" (كو١:١١)، وأن يعتبر نفسه كلا شيء ويحسب نفسه أقل وآخر الكل، وهكذا يتجنب

الدخول في المحادثات التي لا تنفع، بل يتأمل دائما في أمور الله ويتكلم بها، بفمه وقلبه، وأيضا لا يكون غضوبا أو ذا صخب وصراخ كما هو مكتوب " ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث" (أف٤: ٣١)، ويسير في طرق الرب كلها، في عمل الفضيلة وفي حياة صالحة نبيلة، في كل سيرة الصلاح وكل تواضع الوداعة، فلا يتشامخ ولا يتكبر ولا يتكلم في حق أى إنسان.

٦ـ فينبغي أن يغصب الإنسان نفسه إلى كل الأشياء إن كان يريد أن يرضى المسيح ويسر قلبه، حتى أن الرب عندما يرى غيرته وعزم قلبه في غصب نفسه هكذا إلى كل الصلاح والبساطة والرحمة والتواضع والمحبة والصلاة وكيف أنه يسوق نفسه إليها جميعا بالقوة، فإن الرب يعطيه ذاته ـ أى أن الرب نفسه بالحق يعمل فيه كل هذه الأشياء بنقاوة وبدون تعب أو تغصب، هذه الأشياء التي لم يكن يستطيع قبلا أن يعملها حتى بالتغصب وذلك بسبب الخطية التي كانت ساكنة فيه، وتصير كل أعمال الفضيلة هذه طبيعة فيه. لأن الرب حينما يأتي ويسكن فيه وهو يسكن في الرب. فإن الرب نفسه يتمم فيه وصاياه بدون تعب مالئًا إياه بثمار الروح.
وأما أن غصب إنسان نفسه إلى الصلاة فقط لكي ينال موهبتها من الله ولكنه لا يغصب نفسه بنفس الطريقة ويلزم ويعود نفسه على كل هذه الأمور الأخرى، فإنه لا يستطيع أن يتمم هذه الأشياء بالحق، وبنقاوة وبلا عيب. فينبغي أن يعد نفسه بهذه الطريقة إلى ما هو صالح بأقصى طاقته، فإن النعمة الإلهية تأتيه أحيانا وقت السؤال والصلاة والتضرعات. لأن الله صالح ورحيم والذين يسألون يعطيهم ما يسألون، وأما من كان خاليا من الأشياء التي قد تكلمنا عنها ولم يعود أو يكيف نفسه عليها مقدمًا، فإنه حتى إذا نال النعمة، فسيفقدها ويسقط بكبرياء أو على الأقل فهو لا يتقدم وينمو ويزداد في النعمة التي وهبت له، لأنه لم يسلم نفسه إلى وصايا الرب بإرادته. لأن مكان سكنى الروح القدس وراحته هو التواضع والمحبة والوداعة وكل وصايا الرب الأخرى.

طاعة الوصية والمداومة على الصلاة :

٧ ـ لذلك فكل من يريد أن يرضى الله بالحق وأن ينال منه نعمة الروح القدس السماوية، وأن ينمو ويكمل في الروح القدس ينبغي له أن يغصب نفسه إلى كل وصايا الله ويخضع لها قلبه مهما كان رافضًا، كما هو مكتوب " لأجل هذا بازاء كل وصاياك تقومت وكل طريق شر أبغضت" (مز١١٩: ١٢٨)، فكما يغصب الإنسان نفسه ويلزمها بالمثابرة في الصلاة إلى أن ينجح في ذلك هكذا بنفس الطريقة، إن أراد فقط، فإنه يستطيع أن يغصب ويلزم نفسه بكل ممارسات الفضيلة ويعود نفسه عادة حسنة، وهكذا إذ يداوم على الصلاة والسؤال من الرب وبحصوله على ما يطلب ونواله مذاقة الله وإذ يصير شريكا في الروح القدس فإنه يجعل الموهبة التي منحت له تنمو وتزدهر، إذ يستريح مستقرًا في تواضعه، وفي المحبة والوداعة.

٨ ـ والروح نفسه يمنحه هذه الأشياء، ويعلّمه الصلاة الحقيقية، والمحبة الحقيقية، والوداعة الحقيقية، التي كان قبلاً يغصب نفسه إليها، وكان يطلبها ويهتم بها ويتأمل فيها، والآن أعطيت له، ولأنه نما هكذا وتكمل في الله، فإنه يحسب أهلاً أن يصير وارثًا للملكوت. فالمتواضع لا يسقط أبدًا. وإلى أين يسقط إذا كان هو تحت الكل؟ أما القلب المتشامخ فهو انحطاط عظيم، والقلب المتواضع هو ارتفاع عظيم وكرامة ومجد.

طلب الروح والصلاة بالروح وثمار الروح :

لذلك فلنغصب نفوسنا ونلزمها بالتواضع حتى ولو كان قلبنا غير راغب في ذلك، ونغصبها إلى الوداعة، وإلى المحبة، مصلين ومتوسلين إلى الله بالإيمان، والرجاء، والمحبة، وبلا انقطاع، وبانتظار وثبات، أن يرسل روحه إلى قلوبنا، حتى نصلى " ونسجد لله بالروح والحق" (يو٤:٢٤).

٩ـ ولكيما يصلى الروح نفسه فينا، لكيما يعلمنا الروح بنفسه تلك الصلاة الحقيقية ـ التي لم نحصل عليها حتى الآن رغم أننا نغصب أنفسنا إليها، ويعلمنا التواضع الحقيقي الذي لا نستطيع الآن أن نصل إليه، حتى بالتغصب، ولكي يعلمنا أن نثمر بالحق أحشاء رأفات (كو٣:١٢)، وشفقة، وكل وصايا الرب بدون تعب أو تغصب، كما يعرف الروح نفسه كيفية ذلك حين يملأنا بثماره.
وهكذا إذ نتمّم وصايا الرب بواسطة روحه، الذي هو وحده يعرف مشيئة الرب، وإذ يكمّلنا الروح في ذاته وهو نفسه يكمل فينا حينما نتطهر من كل دنس ولطخة الخطية، فإنه يحضر نفوسنا طاهرة وبلا عيب، كعرائس جميلات إلى المسيح، ونستريح في الله في ملكوته، ويستريح الله فينا إلى دهر الدهور.
فالمجد لتعطفاته، ورحمته ومحبته لأنه أعطى لجنس البشر مثل هذه الكرامة والمجد، وأنعم عليهم أن يصيروا أبناء للآب السماوي ودعاهم أخوة له خاصة. له المجد إلى الأبد آمين.

العظة العشرون
لباس الروح

"المسيح، الطبيب الحقيقي للإنسان الداخلي، وهو يستطيع وحده أن يخلّص النفس، ويزيّنها بثوب النعمة "

١ ـ إن كان أحد عريانًا لقلة الملابس الإلهية السماوية التي هي قوة الروح القدس كقول الرسول " إن كان أحد ليس له روح المسيح فهو ليس من خاصته" (رو٨:٩). فليبك ويتوسل إلى الرب حتى ينال الثوب الروحاني الذي من السماء

ويأخذ غطاءً لنفسه العارية من القوة الإلهية لأن الإنسان غير المكسو بكساء الروح هو مكسو بالعيب العظيم: عيب الأهواء الدنيئة.
لأنه كما في الأشياء المنظورة إن كان أحد عريانا يحل به خزي وفضيحة عظيمة بل إن الأصدقاء ينصرفون عن أصدقائهم العرايا والأقارب عن أهاليهم. بل أن من البنين من رأوا أباهم عريانًا وصرفوا عنه وجوههم لكيلا يعاينوا جسد أبيهم العريان، وإنما رجعوا على أعقابهم وستروه. ولذلك ارتفعت عنه عيونهم. كذلك ينصرف الله عن النفوس غير المكسوة بلباس الروح في ملء ثقة الإيمان لكونها لم تلبس الرب يسوع (رو١٣: ١٤). بالقوة والحق.

خطورة العرى الروحي :

٢ـ ثم أن الإنسان الأول لما رأى نفسه عريانًا خجل. فما أعظم فضيحة العرى. فإذا كان من جهة الجسد يعتبر العرى فضيحة كبرى، فكم بالحري النفس العارية من القوة الإلهية التي لا تكتسي ولا تلبس اللباس الأبدي الروحاني غير الموصوف وهو الرب يسوع نفسه بالحق ـ وهي مغطاة بالخجل والأهواء الرديئة، وكذلك كل من كان غير مكتسى بذلك المجد الإلهي يجب عليه أن يستحى ويقر بفضيحته كما استحى آدم من عرى جسده. ومع أنه ستر نفسه بورق التين فلم يزل خجله مصاحبًا له لعلمه بفقره وعريه جدًا. فعلى هذه النفس أن تطلب من المسيح الذي يعطى المجد لكى يكسوها بالمجد في النور الذي لا يوصف، بدون أن تعمل لنفسها غطاء من الأفكار الباطلة أو تنخدع بزعمها أنها بارة من نفسها وأنها تملك لباس الخلاص.

المسيح هو بر الله لنا :

٣ ـ فإنه أن استند أحد على بره ولم يتطلع إلى بر الله، هذا البر الذي هو الرب يسوع " الذي صار لنا برًا وفداءً" (اكو١: ٣٠). كما يقول الرسول، فإن تعبه يصبح باطلا لا ثمرة له، لأن كل زعمه ببره يظهر في اليوم الأخير كلا شيء بل يكون مثل خرقة نجسة كما قال أشعياء النبى " كخرقة الحائض كل برنا" (انظر إش٦٤: ٦).
فلنطلب إذن من الله ونتوسل إليه أن يلبسنا لباس الخلاص وهو الرب يسوع المسيح، النور الفائق الوصف الذي إذا لبسته النفوس لا تخلعه قط، بل تتمجد أجسادهم أيضا في القيامة بمجد ذلك النور الذي تلبسه النفوس الأمينة الفاضلة منذ الآن حسب قول الرسول " إن ذلك الذي أقام المسيح من بين الأموات سيحيى أجسادهم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم" (رو٨: ١١). فالمجد لمراحمه المتعطفة ولرأفته التي تفوق كل وصف وكل تعبير.

٤ـ وأيضا كما أن المرأة التي كانت معتلّة بنزف الدم لما صارت مؤمنة بالحق، ولمست طرف ثوب ربنا شفيت حالاً وانقطع نزيف دمها النجس، كذلك كل نفس فيها جرح الخطية الذي لا شفاء له، وينبوع الأفكار الخبيثة النجسة، إن هي أتت فقط إلى المسيح وصلت إليه بإيمان صحيح فإنها تعود إلى الصحة وتخلص من ينبوع الأهواء الفاسدة الذي لم يكن له علاج. وذلك الينبوع الذي يخرج أفكارًا نجسة لا ينقطع ويجف إلا بقوة المسيح فقط، وليس لأحد غيره قدره على شفاء هذا الجرح. لأن العدو كان محتالا للغاية في معصية آدم حتى أنه جرح الإنسان الباطن وأظلمه أى العقل المرشد الذي ينظر الله. فمالت عيناه بعد ذلك إلى الخطية والأهواء وكانت مغلقة عن رؤية خيرات السماء.

المسيح وحده هو الذي يخلص ويشفي النفس مجانًا:

٥ ـ فهذه كانت شدة جرح آدم حتى أنه لم يستطع أن يشفه منه غير الرب وحده. فهذا مستطاع عنده وحده. ولهذا فقد جاء " ورفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩)، أى جفف الينبوع النجس. ينبوع أفكار النفس. لأنه كما أن تلك المرأة التي كانت مريضة بنزف الدم كانت قد صرفت كل ما كان لديها على الذين وعدوها بالشفاء ولم يشفها أحد، إلى أن أتت إلى الرب بإيمان صادق ولمست طرف ثوبه فشعرت حينئذ بالشفاء في الحال، ووقف نزف الدم. كذلك هو حال النفس التي جرحت منذ البدء بجرح أهواء الخطية الذي لا شفاء له، فلم يقدر أن يعالجه أحد من الأبرار. كلا ولا الآباء ولا البطاركة.

٦ـ ولقد أتى موسى ولكنه لم يقدر أن يعطى شفاءً كاملاً. والكهنة والعطايا والعشور والسبوت والأهلة والغسلات والذبائح والمحرقات وسائر تفرعات البر كانت تحفظ جميعها بالدقة تحت الناموس. ومع ذلك لم يمكن بها شفاء النفس وتطهيرها من الينبوع النجس أى ينبوع أفكار الخطية. وكل بر النفس لم ينفع لشفاء الإنسان إلى أن أتى المخلص نفسه الطبيب الحقيقي الذي يشفي مجانا فبذل نفسه فداء لجنس البشر. فهو وحده صنع فداء النفس العظيم وخلاصها وشفاءها، وهو ذاته الذي حرّرها من العبودية وأخرجها من الظلمة ممجدًا إياها بنوره الخاص. فهو حقا جفف ينبوع الأفكار النجسة الذي كان فيها لأن الكتاب المقدس يقول " هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١: ٢٩).

الدواء الوحيد :

٧ ـ لأن أدوية النفس التي كانت من الأرض، يعنى أفعالها البارة لم تقدر أن تعالجها وتشفيها من هذه الضربة العظيمة غير المنظورة بل يتم الشفاء بالطبيعة السماوية الإلهية التي لموهبة الروح القدس. فإنه بواسطة هذا الدواء فقط يمكن للإنسان أن يجد الشفاء ويحصل على الحياة إذ يتطهر في قلبه بالروح القدس.

ولكن كما أن تلك المرأة، بالرغم من أنها لم تكن قد شُفيت بعد وكان مرضها فيها، إلاّ أنها جاءت بقدميها إلى الرب، وعند مجيئها نالت الشفاء. وكما أن الأعمى أيضًا الذي لم يقدر أن يمشى ليأتي إلى الرب، بسبب عماه، صرخ إليه صرخة شديدة وصل بها إلى الرب لأنه قال " ارحمني يا ابن داود" (مز ١٠:٤٧) وبإيمانه نال الشفاء إذ أن الرب أتاه بنفسه وجعله يبصر بوضوح. كذلك النفس ولو أنها جرحت بجروح الأهواء الفاسدة وعميت بظلمة الخطية فمع ذلك لا تزال فيها الإرادة أن تصرخ إلى يسوع وتناديه ليأتي ويصنع لها فداءً أبديًا .

ضرورة المجيء إلى المسيح بثقة الإيمان :

٨ـ لأنه كما أن الأعمى لو لم يصرخ إلى الرب، والمرأة التي كان بها النزف الدموي لو لم تأتِ إليه لما وجدا الشفاء، كذلك الآن إن لم يأت الإنسان إلى الرب بإرادته وبكل نية قلبه ويطلب منه بثقة الإيمان التامة فلا يشفي أبدًا. فلماذا شفي هذان الاثنان للوقت بإيمانهما، ونحن لم يعد إلينا بصرنا بالحقيقة ولم نشف من أمراضنا الخفيّة؟. إن الرب يهتم ويعتني بالنفس غير المائتة أكثر من الجسد، لأنها إن انفتحت عينيها، كما يقول " افتح عيني" (مز ١١٩:١٨) فلا تعمى أبدًا فيما بعد. وإن شفيت فلا تعود تنجرح أبدًا. فإنه إن كان الرب عند مجيئه على الأرض اعتنى بالأجساد الفاسدة، فكم بالحري يعتني بالنفس غير المائتة المصنوعة على شبهه؟ ولكن بسبب قلة إيماننا وانقسام قلوبنا وعدم محبتنا له من كل القلب، وعدم إيماننا به حقيقة ، لذلك لم نجد بعد الشفاء الروحي والخلاص.
فلنؤمن به إذن ولنأت إليه بالحقيقة لكى يتم فينا حالاً عمل الشفاء الحقيقي لأنه وعد بأنه يعطى للذين يسألونه روحه القدوس ويفتح للذين يقرعون وبأن الذين يطلبونه يجدونه. فالذي وعد لا يمكن أن يكذب له المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

العظة الحادية والعشرين
الحرب الروحية

"الإنسان المسيحي يخوض معركتين، معركة داخلية وأخرى خارجية. المعركة الخارجية هي في ابتعاده عن الارتباكات العالمية وأما المعركة الداخلية فتحدث في القلب ضد إيحاءات أرواح الشر".

الحرب الخارجية والحرب الداخلية :

١ـ الإنسان الذي يريد حقيقة أن يرضى الله ويكون معاديًا حقًا للعدو الشرير، ينبغي أن يقاتل في معركتين. معركة منهما تكون في الأمور المنظورة لهذه الحياة، وذلك بأن يتحول تماما ويبتعد من الارتباكات الأرضية ومحبة الارتباطات العالمية ومن الشهوات الخاطئة.

والمعركة الأخرى تحدث في الداخل ـ في الخفاء ضد أرواح الشر نفسها، كما يقول الرسول " فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف٦: ١٢).

نوعان من القيود :

٢ ـ فالإنسان حينما تعدى الوصية وطرد من الفردوس، صار مقيدًا من ناحيتين، وبقيدين مختلفين. أحد هذين القيدين كان عن طريق هذه الحياة، أى في اهتمامات المعيشة ومحبة العالم، أعنى محبة اللذّات الجسدية والشهوات، ومحبة الغنى والعظمة والمقتنيات والزوجة والأولاد، والأقرباء والأهل والبلد، والأماكن الخاصة، والملابس وكل الأشياء الأخرى المتصلة بالحواس، والتي تحثه كلمة الله على أن ينفك منها باختياره، (حيث إن ما يربط أى إنسان بكل أمور الحواس إنما يكون باختياره ورضاه)، حتى إذا تحرر من كل هذه الاهتمامات يستطيع أن يحفظ الوصية حفظًا كاملاً.
وإلى جانب هذا الرباط ـ ففي كيان الإنسان الداخلي، تكون النفس محاصرة بسياج ومربوطة بقيود الظلمة من أرواح الشر، فيكون الإنسان غير قادر أن يحب الرب كما يريد، أو أن يؤمن كما ينبغي، أو أن يصلى كما يرغب. فمن كل ناحية توجد مقاومة سواء في الأمور المنظورة والظاهرة أو في الأمور الخفيّة غير المنظورة، وهذه المقاومة قد نتجت وصارت فينا من سقوط الإنسان الأول.

قبول الكلمة واكتشاف الحرب الداخلية :

٣ ـ لذلك فحينما ينصت أى إنسان لكلمة الله ويقبلها، ويدخل في المعركة ويلقى عنه اهتمامات هذه الحياة ورباطات العالم وينكر كل اللذات الجسدية ويتحرر منها، فبعد ذلك إذ يلازم الرب وينتظره في الصلاة وبمداومة، فإنه يصير في وضع يمكنه من أن يكتشف وجود حرب أخرى في داخل قلبه، إنه يكتشف مقاومة خفية وحرب أخرى مع إيحاءات أرواح الشر وتنفتح أمامه معركة أخرى.
وهكذا بوقوفه ثابتًا صارخًا إلى الرب بإيمان لا يتزعزع وصبر كثير، منتظرًا الحماية والمعونة التي تأتى منه، فإنه يستطيع أن يحصل من الرب على حرية داخلية من القيود والسياجات والهجمات وظلام أرواح الشر التي تعمل في مجال الشهوات والأهواء الخفية.

نعمة الله تبطل الحرب تمامًا :

٤ ـ ولكن هذه الحرب تبطل وتنتهي تمامًا بنعمة الله وقوته. فلا يستطيع إنسان بذاته، أن ينقذ نفسه بقوته الخاصة من مقاومة وغوايات الأفكار والشهوات الداخلية وحيل الشر.

أما إذا كان الإنسان مربوطا بالأمور المادية الحسية التي لهذا العالم، وواقعا في شرك الرباطات الأرضية المتنوعة ومنساقا بشهوات الشر، فإنه لا يستطيع حتى أن يكتشف وجود معركة أخرى، وأن هناك حرب تدور في داخل نفسه.
فالإنسان حينما يدخل المعركة ويتحرر من الرباطات العالمية الخارجية ويحل نفسه من الأمور المادية ولذات الجسد ويبتدئ أن يتعلّق بالرب ويلتصق به مفرغا نفسه من هذا العالم، فإنه حينئذ يستطيع أن يرى ويكتشف حرب الشهوات والأهواء الداخلية التي تحدث في باطنه. ويصير واعيًا وعارفًا بهذه الحرب الداخلية، حرب الإيحاءات الشريرة.
وكما قلت سابقًا، فإنه إذا لم يناضل وينكر العالم ويتحرّر من الشهوات الأرضية بكل قلبه ويشتهى ويصمم بكل نفسه أن يصير ملتصقا كلية بالرب، فإنه لا يكتشف ولا يعرف خداع أرواح الشر الخفي وشهوات الشر الخفيّة. ويظلّ غريبًا عن نفسه ولا يعرف أنه مجروح من الداخل وأن فيه شهوات خفية وهو لا يدرى بها. لأنه لا يزال مربوطًا بالأشياء الخارجية ومتعلقًا بأمور هذا العالم وارتباكاته برضاه وموافقته.

نوال السلاح السماوي والانتصار :

٥ ـ ولكن الإنسان الذي رفض العالم حقا وطرح عنه ثقل هذه الأرض وألقى عنه الشهوات الباطلة الجسدية، وشهوات المجد والسلطان والكرامات البشرية وابتعد عنها جميعا بكل قلبه ـ (حيث إن الرب يعطيه النعمة والمعونة سرًا في هذا الصراع المستمر، حتى أنه يتنكر للعالم تمامًا) ـ ووضع في قلبه بثبات أن يخدم الرب ويعبده ويلتصق به بكل كيانه، جسدًا ونفسًا ، مثل هذا الإنسان، أقول، إنه يكتشف وجود المقاومة، أى الأهواء الخفية والقيود غير المنظورة والحرب الخفية ـ أى المعركة والصراع الداخلى، وهكذا إذ هو يتوسل إلى الرب، فإنه ينال السلاح السماوي: سلاح الروح القدس، الذي وصفه الرسول المبارك بقوله " درع البر، وخوذة الخلاص، وترس الإيمان، وسيف الروح" (أف٦: ١٤). وإذ يتسلح بهذه الأسلحة فإنه يستطيع أن يقف ضد خداعات إبليس، حتى رغم كونه محاطًا بالشرور.
وإذ قد سلّح نفسه بهذا السلاح بكل صلاة ومواظبة وطلبة وصوم مع إيمان، فإنه يصير قادرا أن يحارب ضد الرئاسات والسلاطين وولاة ظلمة هذا العالم، وهكذا بانتصاره على القوات المعادية بمساعدة الروح القدس مع سعيه وغيرته في كل فضيلة فإنه يكون معدا للحياة الأبدية ، ممجدًا للآب والابن والروح القدس الذي له المجد والقدرة إلى الأبد آمين

العظة الثانية والعشرون
حالة النفس بعد الموت

"الحالتان اللتان تكون عليهما النفوس التي تنتقل من هذه الحياة "

١ ـ حينما تخرج نفس الإنسان من الجسد فإن هناك سر عظيم يتحقق. فإن كان الشخص المنتقل تحت ذنب الخطية فإن جماعات من الشياطين والملائكة الساقطين وقوات الظلمة يأتون ويأسرونه ويأخذون تلك النفس إلى مكانهم. ولا ينبغي أن يتعجب أحد من هذه الحقيقة. لأنه إذا كان هذا الإنسان أثناء حياته في هذا العالم خاضعًا لهم وعبدًا مطيعًا لهم، فكم بالحري عندما يترك هذا العالم، فإنه يصير أسيرًا لهم في مملكتهم.

٢ ـ ويمكنك أن تفهم هذا الأمر، مما يحدث لأولئك الذين في الجانب الآخر ـ جانب الصلاح والغبطة.
فإن عبيد الله القديسين تحرسهم الملائكة باستمرار وتحيط بهم الأرواح المقدسة وتحميهم، وحينما يخرجون من الجسد، فإن جماعات الملائكة تستلم نفوسهم وتحملها معهم إلى مساكنهم في عالم الأبدية النقي، وهكذا يحضرونهم إلى الرب، الذي يليق به المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

العظة الثالثة والعشرون
العائلة السماوية وسلاح الروح

" كما أن الجوهرة الملوكية الثمينة لا يستطيع أحد أن يلبسها إلا المولودين من نسل الملوك ، هكذا فإن أولاد الله فقط هم الذين يسمح لهم أن يلبسوا الجوهرة السماوية " .

المولودون من الروح :

١ ـ إن الجوهرة العظيمة الثمينة الملوكية، والتي تختص بالتاج الملوكي، إنما تليق بالملك وحده. والملك فقط هو الذي يستطيع أن يلبس هذه الجوهرة ولا يسمح الإنسان آخر أن يلبس مثل هذه الجوهرة. هكذا أيضا، إذا لم يولد لإنسان من روح الله الملوكي، ويصير من أعضاء العائلة السماوية الملوكية وابنا لله بحسب المكتوب: " وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله" (يو١:١٢)، فلا يستطيع أن يلبس الجوهرة السماوية الثمينة جدًا، أى صورة النور الذي لا يعبر عنه ـ الذي هو الرب نفسه، وذلك لأنه ليس ابنًا للملك. لأن أولئك الذين يمتلكون الجوهرة ويلبسونها، إنما يحيون مع المسيح ويملكون معه إلى الأبد. لهذا يقول الرسول " كما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضًا صورة السماوي" (١كو١٥:٤١).

٢ ـ وكما أن الجواد طالما هو يرعى مع الحيوانات الوحشية في البرية، فإنه لا ينقاد للناس ولا يطيعهم. ولكن بعد أن يمسك لكى يروض، فإنهم يضعون عليه لجاما ثقيلا إلى أن يتعلم أن يسير بنظام وانضباط. بعد ذلك يمكن أن يركبه راكب ماهر ليدربه لكى يصير نافعًا في الحروب . وبعد ذلك يضعون عليه السلاح : الدرع الزرد[١] وبعد أن يرفعوا عنه اللجام ويهزونه أمام عينيه لكى يتعود عليه ولا يخاف منه. وهكذا يعلّمه الفارس، حتى يستطيع أن يشترك في الحرب. لأنه بدون درع ولجام فإن الحصان لا يكون ذو نفع في الحرب. ولكن بعد أن يتدرب ويعتاد الحرب، فإنه بمجرد أن يشم رائحة المعركة ويسمع صوت الحرب فإنه في الحال يهجم على العدو من نفسه حتى أن الصوت الذي يصنعه الجواد يكون كافيًا لإلقاء الرعب في قلب العدو.

روح المسيح يغير الإنسان :

وبنفس الطريقة فإن الإنسان منذ السقوط صار متوحشا وغير مطيع وهو يتجول في برية العالم مع الوحوش، التي هي أرواح الشر. وهو تحت الخطية ويرفض أن يخدم ويطيع. ولكن حينما يسمع كلمة الله، ويؤمن فإن الروح يلجمه ويجعله يخلع عنه عاداته الوحشية وأفكاره الجسدية إذ يصير الآن تحت قيادة المسيح الذي يسوقه ويقوده.
وبعد ذلك يتعرّض الإنسان لشدائد ويختبر ضيقات في ترويضه للخضوع لنير المسيح. وهذا يكون كامتحان للنفس حتى تصبح بالتدريج مطيعة رقيقة سهلة الانقياد بواسطة الروح. والخطية التي فيها تتناقص بالتدريج إلى أن تتلاشى كلية. وهكذا إذ يلبس الإنسان " درع البر " و " خوذة الخلاص " و " ترس الإيمان " و " سيف الروح" (أف٦:١٤)، فإنه يتعلّم أن يحارب ضد أعدائه.
وهكذا إذ يتسلّح بروح الرب فإنه يقاتل أرواح الشر، ويطفئ سهام الشرير الملتهبة. ولكن بدون سلاح الروح لا يتقدم إلى خط القتال، ولكن، حينما يحصل على سلاح الرب فإنه بمجرد أن يسمع ويحس بوجود الحروب فإنه يتقدم، " بصياح وهتاف" كما يقول في أيوب (أى٣٩:٢٥)، لأن مجرد صوت صلاته يوقع الأعداء ساقطين على الأرض. وهكذا إذ يقاتل وينتصر في الحرب بقوة الروح، فإنه ينال أكاليل الغلبة بثقة عظيمة وهكذا يجد راحة ويستريح مع الملك السماوي، الذي يليق به المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

[١] الزرد هى قطعة من السلاح مصنوعة من حلقات حديدية على شكل ضفيرة تغطى الصدر تماما

"حالة المسيحيين تشبه التجارة وتشبه الخميرة. وكما أن التجار يجمعون الأرباح الأرضية، هكذا فإن المسيحيين يجمعون أفكارهم المشتتة في العالم. وكما أن الخميرة تخمر العجين كله، هكذا فإن خمير الخطية يتغلغل في كل نسل آدم، ولكن المسيح يسكب في النفوس المؤمنة خميرة الصلاح السماوية."

التجارة العظيمة :

١ـ إن المسيحيين يشبهون التجار الذين يتاجرون للمكاسب العظيمة وكما أن التجار يجمعون مكاسب أرضية من الأرض، هكذا المسيحيون أيضا يجمعون أيضًا أفكار قلوبهم من الأرض كلها، التي تكون قد تشتّت في هذا العالم الحاضر. وهم يفعلون هذا بواسطة كل الفضائل وبمعونة قوة الروح القدس. وهذه هي التجارة العظمى والحقيقية.
لأن هذا العالم يتعارض مع العالم السماوي، وهذا الدهر هو مخالف للدهر الأبدي لذلك فينبغي على المسيحي، حسب تعليم الكتاب المقدس، أن يجحد العالم وينتقل ويرتفع بفكره عن هذا العالم الحاضر، (الذي يوجد فيه العقل الآن وهو يتعرض للإغراءات وذلك منذ سقوط آدم) إلى عالم آخر، العالم السماوي. وينبغي أن يحيا بفكره في العالم الإلهي في الأعالي كما هو مكتوب " أن سيرتنا هي في السموات" (في٣: ٢٠).

٢ـ ولكن هذا لا يمكن أن يتحقق إذا لم يجحد المسيحي هذا العالم ويؤمن بالرب من كل قلبه. وفي هذه الحالة فإن قوة الروح الإلهي تستطيع أن تجمع القلب المشتت في الأرض كلها وتأتى به إلى محبة الرب وتنقل الذهن إلى العالم الأبدي.

خميرة الشر:

لأنه منذ سقوط آدم، قد تشتت أفكار النفس بعيدا عن محبة الله متجهة إلى هذا العالم، واختلطت بالأفكار المادية الأرضية. وكما أن آدم حينما تعدى قبل في ذاته خميرة الأهواء الشريرة وهكذا اشترك في هذه الخميرة كل الذين ولدوا منه أى كل جنس البشر ـ وقد نمت وتكاثرت خميرة الشر في الناس حتى وصلوا إلى الفسق والنجاسة والدعارة وعبادة الأصنام والقتل وغيرها من الأعمال الشنيعة حتى تشبع الجنس البشرى بخميرة الخطية. وتزايد الشر بين الناس للدرجة التي ظنوا فيها أنه لا يوجد إله وصاروا يعبدون الأحجار العديمة الحس ولم يستطيعوا حتى أن يتصوروا بفكرهم وجود الله. إلى هذه الدرجة قد تخمّر نسل آدم القديم كله بخميرة الأهواء الشريرة.

المسيح الفادي والخميرة السماوية:

٣ ـ وبنفس الطريقة فإن الرب ، حينما أتى على الأرض، سُرّ أن يتألم عن الجميع لكى يشتريهم ويستردهم بدمه، ولكى يضع خميرة الصلاح السماوية في النفوس المؤمنة، التي كانت مسحوقة ومذلولة تحت الخطية ـ ثم سر أيضا أن يحقق ويكمل فيهم كل بر أوصاهم به وكل فضيلة وذلك بواسطة عملية النمو والتقدم إلى أن يتخمروا إلى واحد في الصلاح، ويصيروا مع الرب "روحًا واحدًا". كما يقول القديس بولس (١كو٦:١٧)، وحتى أن الخطية والشر لا تستطيع حتى بالفكر أن تأتى إلى النفس التي تتخمر هكذا تماما وكلية بالروح الإلهي كما هو مكتوب " المحبة لا تفكر بالشر" (١كو١٣:٥).
ولكن بدون الخميرة السماوية التي هي قوة الروح الإلهي، لا يمكن للشخص أن يتخمر بصلاح الرب ويصل إلى الحياة. كما أن أبناء آدم لم يكونوا ليخدعوا بالشر والخطية ويتحولوا إليها لو لم تكن خميرة الشر، التي هي الخطية، قد دخلت إلى آدم نفسه، تلك الخميرة الشريرة هي قوة من الشيطان ذات طبيعة روحية عقلية.

٤ـ وكما يحدث في حالة الإنسان الذي يعجن دقيقا بدون أن يضع فيه خميرة، فمهما كان الجهد الذي يبذله في تقليبه وعجنه، فإن العجينة تظل غير مخمرة وغير مناسبة للأكل، ولكن إذا وُضِعت الخميرة في العجين فإنها تجتذب كل كتلة العجين وتخمّرها كلها وتجعلها خميرا كما قال الرب في مثله عن الملكوت، " يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاث أكيال دقيق حتى اختمر الجميع" (مت١٣:٣٣).

مزج خميرة الروح:

إذا كان إنسان عنده لحوم ويلزم أن يحفظها ولكنه لم يملّحها بالملح الذي يقتل الدود ويمنع الرائحة الكريهة، فإن اللحوم تنتن وتتعفن وتصبح غير صالحة لاستعمال الناس. وبنفس الطريقة انظر إلى كل جنس البشر وتصوّرهم كلحم أو كعجين غير مختمر وتيقن أن الملح والخميرة إنما ينتميان إلى عالم آخر، أى طبيعة الروح القدس الإلهية. والآن إذا لم تمتزج خميرة الروح السماوية ـ ذلك الملح الصالح المقدس، ملح اللاهوت، الذي من فوق ـ إذا لم يمتزج ويدخل في طبيعة البشر الضعيفة فإن الإنسان لا يستطيع أن يتخلّص من رائحة الخطية الكريهة. مثل ذلك الإنسان لا يتخمّر لكى يخلع عنه ثقل الخطية ويتحرر وينفك من حالة عدم التخمر (بالروح) الناتجة من الشر.

٥ ـ فكل ما يظن الشخص أنه يفعله بذاته، ويبذل جهدا واهتماما وتعبا كثيرا في تتميمه معتمدًا على قواه الخاصة وحدها ويظن أنه يستطيع أن يحقق نجاحا كاملا بذاته، بدون معونة الروح القدس، فإنه يضل ضلالا عظيمًا، فمثل هذا الموقف لا يناسب من يسعى إلى السماويات ـ إلى الملكوت. إذ أن مثل هذا الشخص يعتقد أنه يستطيع من ذاته وبذاته وحدها بدون الروح، أن يصل إلى النقاوة الكاملة.

فإذا لم يأت الإنسان ـ المعذب بالأهواء إلى الله منكرًا العالم، ويؤمن ويثق برجاء وصبر أنه سينال شيئا صالحا مختلفًا تمامًا عن طبيعته الخاصة، وأعنى به قوة الروح القدس، وإن لم يسكب عليه الرب من فوق حياة اللاهوت، فإن هذا الإنسان لن يختبر الحياة الحقيقية أبدًا (الحياة الإلهية)، ولن يفيق من سكر الأمور المادية. ولن تضيء إنارة الروح ـ ساطعة بلمعان وبهاء ـ في تلك النفس المظلمة، ولن تنيره بنور "يوم مقدس" ولن يستيقظ من سبات الجهل العميق، ليمكنه إذا استيقظ أن يعرف الله حقيقة عن طريق قوة الله وفاعلية نعمته.

٦ ـ لأنه إذا لم يُحسب الإنسان أهلاً بالإيمان، أن ينال النعمة فلا نفع فيه ولا يكون لائقًا للملكوت. ولكن من الجهة الأخرى فإنه إذا نال نعمة الروح ولم يتغير ذهنه أو إذا لم يقاوم النعمة بالإهمال أو ردئ الأعمال، وهكذا يجاهد زمنا لكى لا يحزن الروح، فإنه يحسب أهلا للشركة في الحياة الأبدية، فإنه كما أن الإنسان يدرك تأثيرات الشر عن طريق معرفته بالأهواء ذاتها، أعنى عن طريق الغضب والشهوة والحسد والهم الرديء، والأفكار الشريرة وغير ذلك من الأشياء الخاطئة، هكذا أيضا يجب على الإنسان أن يدرك فعل النعمة وقوة الله عن طريق الفضائل، أعنى عن طريق المحبة والشفقة والصلاح والفرح، والبساطة والبهجة الإلهية لكي يصير مشابهًا للطبيعة الصالحة الإلهية ومشتركًا معها بفاعلية النعمة اللطيفة المقدِّسة وحينما تمتحن إرادة الإنسان مع الزمن والنمو وبحسب الفرصة (المتاحة له)، لكى يظهر ما إذا كان الإنسان متفقًا مع النعمة باستمرار ومرضيًا لها، فإنه بالتدريج يتحول ليصير متفقًا تمامًا مع الروح، وهكذا يصير مقدسا ونقيا بواسطة فعل الروح ويصير لائقًا للملكوت. والمجد والعبادة والسجود للآب الكلى الطهارة، وللابن وللروح القدس إلى الأبد. آمين.

العظة الخامسة والعشرون
قوة سرّ الصليب والنار الإلهية

" هذه العظة تعلّم بأنه لا يستطيع إنسان، بدون أن يتأيد بالمسيح، أن يغلب عثرات الشرير، وما ينبغي أن يفعله أولئك الذين يطلبون المجد الإلهي باشتياق، وتعلم أيضًا أنه بواسطة عصيان آدم قد نزلنا جميعًا إلى عبودية الشهوات اللحمية، والتي أنقذنا منها بالسرّ المختفي في الصليب، وتعلّم العظة أيضًا أن قوة الدموع والنار الإلهية هي قوة عظيمة " .

السرّ الذي في الصليب :

١ ـ أولئك الذين كُتب في داخلهم الناموس الإلهي، ليس بحبر وحروف بل هو مطبوع في قلوب لحمية، فهؤلاء إذ قد استنارت عيون أذهانهم ويتطلعون إلى

الرجاء الذي لا يُلمس ولا يُرى بل هو غير منظور وغير مادي فهؤلاء يملكون القوة أن يغلبوا عثرات الشرير وذلك بقوة لا يمكن أن تُقهر.

أما أولئك الذين لم يُكرَّموا ويتشرفوا بكلمة الله ولم يتهذبوا بالشريعة الإلهية فإنهم " ينتفخون باطلاً" (كو٢:٨). وهم يظنون أنهم بإرادتهم الحرة يستطيعون أن يقطعوا أسباب الخطية التي يُحكم عليها فقط بواسطة السر الذي في الصليب أن إرادة الإنسان الحرة لها سلطان أن تقاوم الشيطان، ولكنها لا تمتد إلى السيادة المُطلقة على الشهوات. " فإن لم يبن الرب البيت ـ كما يقول الكتاب ـ وإن لم يحفظ المدينة فباطلاً يسهر الحارس، وباطلاً يتعب البانى" (مز١٢٧:١).

٢ ـ لأنه لا يستطيع احد أن يطأ على " الأفعى والحيّة ويدوس الأسد والتنين" (مز٩١:١٣) إن لم يطهّر نفسه أولاً ـ بأقصى ما في طاقة الإنسان ـ وأن يتأيد بقوة ذلك الذي قال لرسله: " ها أنا أعطيكم السلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو١٠:١٩).

حاجتنا للروح القدس للغلبة وللتبنى :

فلو كانت طبيعة الإنسان لها القدرة بدون سلاح الروح القدس الكامل أن " تقف ضد مكايد إبليس" (أف٦:١١)، لما كان الرسول قد قال بتأكيد: " إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا" (رو١٦:٢٠). وأيضًا " الذي سيبيده الرب بنفخة فمه" (٢تس٢:٨). لهذا السبب أيضًا قد أوصانا الرب أن نصلى ونطلب قائلين " ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير" (مت٦:١٣). فإن لم تخلّصنا معونة القوة العليا من سهام الشرير الملتهبة، وإن لم نُحسب أهلاً لأن نكون أبناء بالتبني، فإن حياتنا على هذه الأرض تكون حينئذٍ باطلة وبلا هدف، إذ نوجد بعيدين عن قوة الله.

٣ ـ لذلك فمن يريد ويشتهي أن يصير شريكًا في المجد الإلهي، وأن يرى كما في مرآة صورة المسيح في داخل عقله، فينبغي أن يطلب معونة الله التي تتدفق منه بقوة ـ يطلبها بحب مشتعل لا ينطفئ وبرغبة حارة من كل قلبه وكل قدرته، ليلاً ونهارًا، هذه المعونة الإلهية التي لا يمكن نوالها، كما قلت سابقًا إن لم يتخل الإنسان عن لذة العالم وعن شهوات ورغبات القوة المعادية، والتي هي أجنبية عن النور ومخالفة له وهي من نشاط وعمل الشرير، وليس لها أى قرابة أو مشابهة لعمل الصلاح بل هي غريبة تمامًا عنه.

حالة الإنسان العتيق :

لذلك، فإذا أردنا أن نعرف لماذا نحن الذين قد خُلقنا في كرامة ووُضعنا لنحيا في الفردوس، صرنا بعد ذلك " مثل البهائم التي لا تفهم وشُبهنا بها" (مز٤٩:١٢،٢٠)، إذ قد سقطنا من المجد الأصلي، فاعرف أننا بواسطة التعدي،

صرنا عبيدًا للأهواء الجسدية. لقد أخرجنا أنفسنا من " أرض الأحياء المغبوطة" (مز١١٦:٩) وسرنا إلى الأسر حيث لا نزال " جالسين على أنهار بابل" (مز١٣٧:١).

ولأننا لا نزال محبوسين في " مصر" ، لذلك فإننا لم نرث بعد أرض الموعد، " التي تفيض لبنًا وعسلاً" (خر٣:٨). إننا لم نتخمّر بعد " بخميرة الإخلاص" (١كو٥:٨)، ولكننا لا نزال في "خميرة الشر". إن قلبنا لم يُرش بعد بدم الله، لأن " فخ جهنم" (أم٩:١٨ السبعينية)، وصنارة الخطية لا تزال منصوبة فيه.

٤ ـ إننا إلى الآن لم نقبل بهجة خلاص المسيح، لأن " شوكة الموت" (١كو١٥:٥٥) لا تزال جذورها فينا. إننا لم نلبس بعد " الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله في القداسة" (أف٥:٢٤). لأننا لم نخلع بعد " الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الخطية" (أف ٤:٢٢). إننا لم نحمل بعد "صورة السماوي" (١كو١٥:٤٩). ولم نصر " مشابهين لصورة مجده" (في٣:٢١). إننا لم نعبد الله " بالروح والحق" (يو٤:٢٤) لأن " الخطية تملك في جسدنا المائت" (رو٦:١٢).

إننا لم نرَ بعد " مجد الله الذي لا يفنى" (رو١:٢٣) لأننا لا نزال تحت سطوة " الليل المظلم" (مز٢:١١). وإلى الآن لم " نلبس أسلحة النور" (رو١٣:١٢) لأننا لم نلق عنا سلاح الظلمة وسهامها وأعمالها. نحن " لم نتغيّر بعد عن شكلنا بتجديد أذهاننا"، لأننا لا نزال " مشاكلين ومطابقين لهذا العالم" (رو١٢:٢)، " في الذهن الباطل" (أف٤:١٧). إننا لم " نتمجد بعد مع المسيح، لأننا لم نتألم بعد معه" (رو٨:١٧). إننا لا " نحمل سماته بعد في جسدنا" (غل٦:١٧) لأننا لا نحيا في سر صليب المسيح، لأننا لا نزال في " أهواء وشهوات الجسد" (غل ٥:٢٤). إننا لم نصر بعد " ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو٨:٧)، لأن " روح العبودية" لا يزال فينا وليس " روح التبني" (رو٨:١٥)، وحتى الآن لم " نصر هيكلاً ومسكنًا للروح القدس" (١كو٣:١٦)، لأننا لا نزال هيكلاً للأصنام ومستودعًا لأرواح الشر بسبب تعلقنا بالشهوات.

٥ ـ وفي الحقيقة أننا إلى الآن لم نحصل على بساطة السيرة واستنارة العقل. وإلى الآن لم نُحسب أهلاً لنوال " اللبن العقلى العديم الغش" (١بط٢:٢)، والنمو الروحى غير المنظور. وإلى الآن لم ينفجر النهار ولم يطلع كوكب الصبح في قلوبنا (٢بط١:١٩). " إننا لم نمتزج بشمس البر" (ملا٤:٢). ولا ابتدأنا أن نضئ بأشعته. إننا لم نقبل بعد " شبه الرب" (تك١:٢٦)، ولا صرنا " مشاركين للطبيعة الإلهية" (٢بط١:٤). وإلى الآن لم نتحوّل إلى ذلك الأرجوان الملوكى الحقيقى، ولا صرنا صورة الله الحقيقية. إننا لم نسبى بعد بالحب الإلهي ولا انجرحنا بمحبة العريس الروحانية. إننا لم نعرف بعد تلك الشركة السرّية التي تفوق الوصف ولم نعرف القوة والسلام الموجودان في القداسة. وبكلمة واحدة فإننا لسنا

بعد " جنسًا مختارًا، كهنوتًا ملوكيًا، أمة مقدسة، شعب اقتناء" (١بط٢: ٩) لأننا لا نزال إلى الآن " حيات وأولاد أفاعى" (مت٢٣: ٣٣).

أنوح وأبكى أمام الله على شقاوتنا :

٦ ـ وكيف لا نكون سوى حيات، ونحن لا نطيع الله بل نعيش في العصيان الذي دخل إلينا بواسطة الحية. وأنا لا أستطيع أن أعرف كيف أبكى وأنوح على شقاوتنا هذه كما تستحق ولا أعرف كيف أصرخ بصوت عال باكيًا أمام الله الذي يستطيع وحده أن ينزع منى الخطأ المزروع في. " كيف أرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة" (مز ١٣٧: ٤)، كيف أنوح على أورشليم؟ وكيف أهرب من عبودية فرعون القاسية؟ وكيف أهجر مكان الإقامة الدنس؟ وكيف أستطيع أن أنكر أو أجمد الطغيان المُر؟ وكيف أستطيع أن أخرج من أرض مصر؟ وكيف أستطيع أن أعبر البحر الأحمر؟ وأسير في وسط البرية الكبرى؟ وكيف أنجو من الهلاك بلدغات الحيات؟ وكيف أهزم الغرباء؟ وكيف أحكم الأمم الذين في داخلي تمامًا[١]، وكيف أتقبل أقوال الشريعة الإلهية على ألواح قلبي؟ وكيف أرى عمود النور الحقيقي والسحاب الناشئ من الروح القدس؟ وكيف أتنعم بمَنّ البهجة الأبدية؟ وكيف أشرب الماء من الصخرة المعطية الحياة؟ كيف أعبر الأردن وأدخل إلى أرض الموعد الجيدة؟ وكيف أعاين رئيس جند الرب الذي حينما رآه يشوع بن نون، خر في الحال ساجدًا؟.

ضرورة العبور والدخول إلى الراحة :

٧ـ لأنني إن لم أعبر بكل هذه وأحطم الأمم الذين يعيشون في داخلي فإنني لن أستطيع أن أدخل إلى "أقداس الله" وأستريح (مز ٧٣: ١٧). "ولا أصير شريكًا في مجد الملك".

لذلك أسع بكل اجتهاد لتكون ابنًا لله بلا لوم، وأن " تدخل في تلك الراحة" (عب٤: ١١)، حيث دخل المسيح كسابق لأجلنا (عب٦: ٢٠).

اجتهد أن يكون أسمك مكتوبًا في " الكنيسة التي في السماء مع الأبكار" (عب١٢: ٢٣)، لكى توجد عن " يمين العظمة في الأعالى" (عب ١: ٣). أسع أن تدخل إلى المدينة المقدسة، أورشليم مدينة السلام، التي هي فوق، فوق الكل، حيث يوجد الفردوس. فلا يوجد أمامك طريق آخر للدخول إلى هذه الأمجاد العجيبة السعيدة سوى أن تسكب الدموع نهارًا وليلاً مثل ذلك الذي قال " كل ليلة أعوم سريري وبدموعي أبل فراشي" (مز٦: ٦). وأنت تعرف جيدًا أن " الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج" (مز١٢٦: ٦). لهذا السبب فإن النبى يقول بكل صراحة " لا تسكت عن دموعي" (مز٣٩: ١٢). وأيضًا " أجعل دموعي أمام عينك كما وعدت"(مز٥٦: ٨). وأيضًا " دموعي صارت لي خبزًا نهارًا وليلاً" (مز٤٢: ٣). وفي مزمور آخر " مزجت شرابي بدموعي" (مز١٠٢: ٩).

قوة الدموع:

٨ ـ لأن الدموع التي تُسكب حقًا من حزن كثير وكآبة قلب وبمعرفة للحق واحتراق في الداخل، إنما هي طعام للنفس يأتيها من الخبز السماوي الذي سبقت مريم وأخذت منه حينما جلست عند قدمي الرب وبكت بحسب ما شهد لها المخلص نفسه. فإنه قال: " لقد اختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها" (لو١٠:٤٢).

فما أثمن تلك الدرر، التي تتساقط مع انسكاب وفيض الدموع المغبوطة! ويا لتلك الاستجابة الفورية والإنصات المستمر! وأي عقل قوى حكيم! ويا لشدة روح الرب، التي تتحرك بقوة نحو عريس بلا عيب! وأي رغبة شديدة وشوق في النفس إلى الله الكلمة! وأي شركة حميمة للعروس مع العريس السماوي!.

النار الإلهية :

٩ ـ فتمثل بها إذن يا ابني ، اقتد بتلك التي ثبتت عينيها عليه وحده، ذلك الذي قال " جئت لألقى نارًا على الأرض فماذا أريد لو اضطرامت" (لو١٢:٤٩).

فهناك اشتعال للروح، هو الذي يُشعل القلوب نارًا. فإن النار الإلهية غير المادية لها فاعلية لإنارة النفوس وتمحيصها كما يُمتحن الذهب النقي بنار البوتقة. ولكنها (النار الإلهية) تحرق كل شر مثل الأشواك والقيود " لأن إلهنا نارًا آكلة" (عب١٢:٢٩) " معطيًا نقمة للذين لا يعرفون الله، في نار لهيب، وللذين لا يطيعون إنجيله" (٢تس ١:٨).

وهذه النار هي التي عملت في الرسل حينما تكلموا بألسنة نارية (أع٢:٢٥). هذه النار هي التي أحاطت ببولس، بالصوت الذي أنار عقله ولكنها أعمت بصره (أع٩:٣). فلم تكن رؤيته لقوة ذلك النور بدون الجسد. هذه النار ظهرت لموسى في العليقة، وهذه النار، في شكل مركبة هي التي اختطفت إيليا من الأرض (٢مل٤:١١). وداود المبارك كان يطلب فاعلية هذه النار حينما قال "امتحنى يارب، جربنى محص كليتى وقلبى" (مز٢٦:٢).

١٠ ـ هذه النار هي التي ألهبت قلب كليوباس ورفيقه حينما تكلم المخلص معهما بعد القيامة. والملائكة والأرواح الخادمة تأخذ من لمعان هذه النار كما هو مكتوب " الصانع ملائكته أرواحًا وخدامه نارًا ملتهبة" (عب١:٧). وهذه النار هي التي تحرق الخشبة التي في العين الداخلية، لتجعل العقل نقيًا، حتى إذا استرد قوة رؤيته الطبيعية ، يمكنه أن يتفرس بلا انقطاع في عجائب الله كما هو مكتوب " افتح عيني، لكى أبصر عجائب من شريعتك" (مز١١٩:١٨).

هذه النار أيضًا تطرد الشياطين، وتنزع الخطايا، ولها قوة القيامة، وفاعلية قوة الخلود، وهي نور النفوس المقدسة، وسند القوات العاقلة.

فلنصلِ ولنتوسل أن تأتى إلينا أيضًا هذه النار، حتى بسيرنا دائمًا في النور، فإننا " لا تعثر بحجر أقدامنا" (مز ٩١: ١٢) ولا إلى لحظة واحدة، بل " نضئ كأنوار في العالم" " ممسكين بكلمة الحياة الأبدية" (في٢: ١٥)، حتى إذا تنعمنا بخيرات الله بين قديسيه، فإننا نجد راحة مع الرب في الحياة، ممجدين الآب والابن والروح القدس الذي له المجد إلى الأبد. أمين.

---

[١] يقصد الشعوب الوثنية وعبادة الأصنام الأهواء الشرير

العظة السادسة والعشرون
كرامة النفس ـ تجارب الشر والانتصار

كرامة وقيمة وقوة وفاعلية النفس الخالدة، وكيف تُجرب بواسطة الشيطان، وكيف تحصل على الحرية من التجارب. وتحتوى العظة أيضًا على بعض أسئلة مملوءة بتعاليم هامة.

كرامة النفس البشرية :

١ـ أيها الحبيب، لا تستخف بالطبيعة العقلية للنفس البشرية. فالنفس الخالدة هي مثل إناء غالى الثمن، فانظر مقدار عظمة السموات والأرض، ومع ذلك فإن الله لم يُسرّ بها بل وجد مسرّته فيك أنت فاعتبر كرامتك وسموك، حيث إن الرب قد أتى لأجل حمايتك وخلاصك بنفسه وليس بواسطة ملائكة وذلك لكى يناديك ويدركك أنت، أنت الذي قد ضعت وضللت، أنت الذي جُرحت، وذلك لكى يعيدك إلى حالة وشكل آدم النقي الذي خُلق عليه أولاً. لأن الإنسان كان سيدًا على السموات والأرض، وقادرًا أن يميّز الأهواء، وكان غريبًا تمامًا عن الشياطين، وجُرح ومات. وأظلم الشيطان عقله. فهو هكذا من ناحية معينة، ومن ناحية أخرى هو لا يزال يحيا ويميز ويملك الإرادة.

استئصال الخطية :

٢ـ سؤال: أليس صحيحًا أن الشهوة الطبيعية تُستأصل مع الخطية بحلول الروح القدس؟

الجواب: فقد سبق أن قلت إن الخطية تُستأصل والإنسان يسترجع ثانية شكل آدم الأصلي في طهارته. وفي الحقيقة، فإن الإنسان بقوة الروح والتجديد الروحاني لا يصل فقط إلى قياس آدم الأول، بل يصير في حالة أعظم منه لأنه يصير شريكًا للطبيعة الإلهية.

حدود حرب الشيطان:

٣ـ سؤال: هل الشيطان يحارب ضدنا كما يشاء أم أن له حرية محدودة في محاربتنا ؟

الجواب: إن الشيطان يهاجم ليس المسيحيين فقط بل وعابدي الأصنام والعالم كله، فلو كان مسموحًا له أن يحارب كما يشاء لكان أهلك جميع البشر وحطّم كل شيء. ولماذا هكذا؟ لأن هذه هي غايته وشهوته. وكما أن الخزّاف يضع أوعيته في النار ويحمّى الفرن تدريجيًا وليس بما يفوق الحد اللازم لئلا تنشق الأواني، وأيضا ليس بأقل من الحد اللازم لئلا تصير الأوانى نيئة وغير نافعة للاستعمال، وكما أن الصائغ أو الجواهرجي يسلّط النار بقدر محسوب، لأنه إذا زادت النار عن اللازم يسيل الذهب والفضة ويصيران كالماء ويتلفان، وإذا كان عقل الإنسان يعرف كيف يقيس الأحمال المناسبة لدابته سواء كان جملاً أو غيره من الحيوانات بحسب قدرة كل حيوان على الحمل، فكم بالحري جدًا يفعل الله الذي يعرف قدر احتمال الناس لا يسمح للقوة المعادية أن تحارب كل إنسان إلاّ بقدر احتماله وسعته.

٤ ـ كما أن الأرض رغم أنها واحدة، ومع ذلك فهناك أجزاء فيها صخرية وأجزاء أخرى سهلة وخصبة، وأجزاء مناسبة لزراعة الكروم وغيرها لزراعة القمح والشعير، هكذا أيضًا حقول القلوب البشرية والمشيئات تختلف من واحد إلى آخر. وهكذا أيضًا مواهب النعمة التي من فوق تُوزع بتنوع واختلاف. فلواحد تُعطى موهبة الكرازة بالكلمة، ولآخر موهبة التمييز ولثالث مواهب الشفاء (١كو ١٢: ٩). فإن الله يعرف طاقة كل إنسان في تحقيق وكالته، وهكذا أيضًا على حسب ذلك يوزع مواهبه المتنوعة. وبطريقة مشابهة أيضًا فيما يخص الحرب الداخلية يسمح لقوة العدو بمحاربة كل واحد على قدر طاقته في تقبل ومواجهة حرب الشرير.

النعمة والطبيعة الشخصية :

٥ ـ سؤال: حينما ينال إنسان القوة الإلهية ويتغير بها نوعًا ما، هل يظل في الطبيعة التي كانت له قبلاً؟

الجواب: لكى ما تُمتحن الإرادة، بعد نوال النعمة لكى يظهر ميلها وموافقتها، فإن الطبيعة تظل كما كانت قبلاً: فالذي كان شديدًا يبقى على شدته، والرقيق على رقته. ولكن يحدث أحيانًا أن إنسانًا غير متعلّم يُولد ثانيةً روحيًا ويتحول إلى إنسان حكيم وتُعلن له الأسرار الخفية، ومع ذلك يظل على طبيعته كإنسان غير متعلم. وآخر قد يكون شديدًا بطبيعته ولكنه يُسلّم نفسه وإرادته لخدمة الله فيقبله الله رغم أن طبيعته تبقى على شدتها، ومع ذلك يُسرّ الله به. وإنسان آخر يكون رقيقًا في عاداته ولطيفًا وصالحًا، ويعطى نفسه لله ويقبله الله ولكن إن لم

يثبت في الصلاح فإن الله لا يُسرّ به لأن طبيعة البشر كلها قابلة للتغير إلى الخير أو إلى الشر، وهي قادرة على فعل الشر إذا أرادت ، ولكن إذا أرادت أيضًا فلها القوة ألاّ تتمّم الشر فعلاً.

٦ ـ ومثل الكتابة على الورق، فإنك تكتب شيئًا ربما لم تقصده ولذلك تمحوه ثانية. فالورق يتقبل أى نوع من الكتابة، هكذا الإنسان القاسي أو الشديد الذي يعطى ذاته لله فيقبله، فإنه يتحوّل إلى ما هو صالح. لأن الله يقبل الناس من كل الأنواع ومن كل الاتجاهات، لكى يُظهر رحمته. والرسل حينما كانوا يأتون إلى مدينة ويمكثون فيها بعض الوقت فإنهم كانوا يشفون بعضًا من المرضى والبعض الأخر لا يشفون. والرسل من ناحيتهم يرغبون أن يعطوا الحياة لكل الموتى، والشفاء لكل المرضى. لكن لم يكن لهم ما أرادوا: فلم يكن مسموحًا لهم أن يفعلوا ما يشاءون. وبنفس الطريقة حينما أمسك والى الحارث، بولس الرسول فإن النعمة التي كانت مع الرسول كان يمكن لو أرادت أن تجعل الوالي وسور المدينة كلاهما يسقطان، حيث إن بولس كان إنسانًا مؤيدًا بالروح القدس، ولكن الرسول تدّلى في زنبيل (٢كو١١:٣٢). فأين كانت إذن القوة الإلهية المصاحبة له؟.. إن هذه الأشياء حدثت بتدبير العناية، وفي بعض الأمور كان الرسل يصنعون الآيات والعجائب، وفي حالات أخرى كانوا بلا قوة لكي يظهر الفرق بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون، ولكي تُمتحن وتظهر حرية الإرادة، وهل سيعثر البعض عندما يرون أنهم (أى الرسل) ضعفاء. فلو كان الرسل قد فعلوا كل ما شاءوا في كل شيء لكانوا قد أتوا بالناس إلى خدمة الله بالقوة الجبرية، ولا يكون الأمر حينئذ مسألة إيمان أو عدم إيمان. المسيحية هي " حجر صدمة وصخرة عثرة" (رو٩:٣٣).

٧ ـ وأيضًا ما كُتب عن أيوب ليس بدون معنى، إذ يتضح من الكتاب أن الشيطان طلبه وسعى إليه. فإن الشيطان لا يستطيع أن يعمل شيئًا من ذاته بدون إذن من الله. وماذا يقول الشيطان للرب، "سلمه ليدي فإنه في وجهك سيجدف عليك" (أيوب١:١٢ سبعينية). ولا يزال أيوب كما هو، وهكذا الله أيضًا وكذلك الشيطان. فبقدر ذلك يطلبه الشيطان ويقول للرب "إنما هو يخدمك لأنك تساعده وتحميه وتعينه، ولكن أبسط يدك الآن وسلمه لي فإنه في وجهك يجدف عليك". وباختصار، بسبب أن الشخص يكون حاصلاً على العزاء بالنعمة، فإن النعمة تنسحب قليلاً حتى يمكن أن يُسلم للتجارب، ويأتي الشيطان ويحضر معه ألاف من الشرور كتجارب للإنسان مثل: اليأس والارتداد والأفكار الرديئة ليعذب بها النفس لكى يضعفها ويفصلها عن الرجاء في الرب.

٨ ـ ولكن الشخص الحكيم لا ييأس أبدًا في وسط التجارب والشرور، بل يتعلق بمن هو مُمسك به، ومهما أثار الشيطان ضده من حروب فإنه يصبر في وسط التجارب التي لا تُحصى قائلاً " إني ولو مت فلا أطلق الرب وأتركه". وحينئذ فإذا صَبرَ الإنسان إلى النهاية فإن الرب يحاور الشيطان قائلاً: " انظر كم من

الشرور والمصائب جلبت عليه ومع ذلك فلم يُنصت إليك بل هو يخدمني ويتقيني". فحينئذٍ ينغلب الشيطان من الخزي ولا يكون له شيء أكثر ليقوله. وفي حالة أيوب، لو كان الشيطان قد علّم أن أيوب سيظل ثابتًا في وسط التجارب ولن ينهزم لما كان قد طلبه، وذلك ليتحاشى الخزي الذي أصابه. وهكذا الآن أيضًا في حالة أولئك الذين يحتملون الشدائد والتجارب، فإن الشيطان يخزى ويندم لرجوعه خائبًا. والرب يقول له "انظر ها أنا قد أعطيتك الإذن وسمحت لك أن تجربه، فهل استطعت أن تفعل به شيئًا؟ وهل سمع لك في أى شيء؟".

الشيطان معرفته محدودة بأفكار الإنسان :

٩ـ سؤال: هل يعرف الشيطان كل أفكار الإنسان ومقاصده ؟

جواب: إذا كان إنسان يرافق إنسانًا آخر، فإنه يعرف عنه كل ما يختص به. وإن كنت أنت الذي لك من العمر عشرون سنة، تعرف الأمور الخاصة بجارك، أفلا يستطيع الشيطان الذي يحتك بك منذ ولادتك أن يعرف أفكارك؟ فإن عمر الشيطان الآن ستة آلاف سنة. ومع ذلك فنحن لا نقول إنه يعرف ما ينوى أن يفعله الإنسان قبل أن يجربه؟ فالمجرب يبدأ بالتجربة ولكنه لا يعرف إن كان الإنسان سيطيعه أم لا إلى أن يأتي الوقت الذي فيه يُسلّم الإنسان إرادته للشيطان ليستعبده. كما أنني لا أقول إن الشيطان يعرف كل أفكار واختراعات قلب الإنسان. فكما أن الشجرة لها فروع وأغصان كثيرة، هكذا النفس أيضًا لها فروع كثيرة من الأفكار، والشيطان يعرف بعض هذه الفروع، ولكن هناك أفكار ومقاصد أخرى لا يدركها الشيطان ولا يمسكها.

الالتجاء إلى الله بالإيمان والمحبة يهزم الشيطان :

١٠ـ فقد يحدث في أمر معيّن أن جانب الشر يكون أقوى في الأفكار التي داخلنا ولكن في أمر آخر ينتصر فكر الإنسان ويكون أقوى من الشر إذ ينال عونًا وفداءً من الله فيقاوم الشر ويمقته. إذن فإنه ينغلب في أمر وفي أمر آخر ينتصر. فإنه أحيانًا يأتي إلى الله بحرارة، والشيطان يعرف هذا ويرى ذلك الإنسان ينفر منه ويقاومه، وأنه ـ أى الشيطان ـ عاجز أمامه. وما السبب في ذلك؟ السبب أن الإنسان له الإرادة والرغبة أن يصرخ إلى الله، وتوجد عنده الثمار الطبيعية لمحبة الله، ثمار الإيمان بالله، وطلب المجيء إليه.

ففي أمور العالم الخارجية التي حولنا، فإن الفلاح يُفلّح الأرض، ولكنه بالرغم من تفليحه لها، فإنه يحتاج إلى وابل من الأمطار من فوق. فإن لم يأت المطر من فوق فلا ينتفع الفلاح شيئًا من تفليحه الأرض. هكذا الأمر أيضًا في العالم الروحي. فإن هناك عاملان يؤخذان في الاعتبار. فأولاً، من الضروري أن يُفلّح الإنسان أرض قلبه بحريته واختياره وتعبه ـ فإن الله يريد أن يبذل الإنسان كل جهده

ويتعب ولا يتكاسل ـ ولكن إن لم تظهر السحب السماوية وأمطار النعمة من فوق فإن الفلاح الروحاني لا ينتفع شيئًا من جهده وتعبه.

علامة المسيحية :

١١ـ هذه هي علامة المسيحية إنه مهما فعل الإنسان وتعب ومهما عمل أعمال برّ، فإنه يشعر أنه لم يفعل شيئًا. وحينما يصوم فإنه يشعر في نفسه كأنه لم يَصم. وحينما يصلى يقول في نفسه "هذه ليست صلاة". وعندما يثابر في الصلاة يشعر أنه لم يُثابر بعد بل يقول لنفسه "إنني فقط بدأت أن أمارس المثابرة والتعب"، وحتى إذا كان بارًا أمام الله فينبغى أن يقول "أنا لست بارًا، أنا لست عاملاً، ولكنى فقط ابتدئ في كل يوم".

وينبغي أن يكون عنده الرجاء والفرح كل يوم وانتظار الملكوت التي والفداء الكامل، وان يقول " إن لم أكن قد افتُديت (تحررت) اليوم فإنني سأفتدى غدًا". ومثل الإنسان الذي يزرع كرمًا، فإن عنده فرح ورجاء في نفسه قبل أن يبدأ الزرع، إذ هو يتصور الكرم في عقله ويحسب الربح الناتج منه أيضًا، قبل أن يثمر الكرم، وهكذا فإنه يبتدئ بالتعب والجهد ـ لأن الرجاء والانتظار يجعلانه يجتهد بغيرة وحماس وينفق على الكرم لفترة طويلة من ماله.

وهكذا أيضًا الإنسان الذي يبنى بيتًا أو يزرع حقلاً فإنه يتكلف كثيرًا في البداية، ولكنه يفعل ذلك على رجاء الربح الذي سيحصل عليه.

وبنفس الطريقة في هذا الأمر الذي أمامنا. فإن لم يضع الإنسان أمام عينيه الفرح والرجاء قائلاً في نفسه: " إنني سأحصل على الفداء الكامل (التحرر) والحياة"، فإنه لا يستطيع أن يحتمل الشدائد أو الأثقال بصبر ولا يستطيع السير في الطريق الضيق. فإن وجود الرجاء والفرح في قلبه هما اللذان يجعلانه يتعب ويحتمل الشدائد وثقل السير في الطريق الضيق.

١٢ ـ ولكن كما أنه ليس من السهل خروج الميسم (سيخ حديد) من النار، هكذا فليس من السهل أن تهرب النفس من نار الموت إلاّ بتعب كثير. فكثيرًا ما يوحى الشيطان بأفكار مضلّة تحت ستار الأفكار الصالحة مثل " بهذه الطريقة يمكنك أن ترضى الله" فهو يوحى إلى الشخص ويقوده بمكر إلى أفكار خادعة ولطيفة حسب مظهرها، وعندما لا يعرف الإنسان كيف يكتشف أو يميّز أنه مخدوع. فإنه يسقط في " فخ وهلاك إبليس" (١تى٦:٩، ٣:٧).

السلاح الفتاك :

إن أشد أسلحة المجاهد المسيحي فتكًا هي هذه: أن يحارب ضد الشيطان في أعماق قلبه، وأن يبغض نفسه، وينكر نفسه، وأن يغضب منها ويوبّخها، ويقاوم الشهوات التي تتحرك في داخله ويعارك مع أفكاره ويحارب ضد ذاته.

١٣ ـ فإذا كنت تحفظ جسدًا خارجيًا من الفساد والدنس ولكنك ترتكب الزنا والفسق في أفكارك فإنك زانٍ أمام الله ولا تنفعك عذراوية جسدك شيئًا. فإن كانت هناك امرأة شابة يحاول شاب أن يغريها ويخدعها حتى يفسدها بحيلته ومكره، فإنها بعد ذلك تصير مكروهة من زوجها لأنها صارت زانية. هكذا أيضًا النفس الروحانية فإنها إذا عقدت شركة مع الحيّة المختفية في ثنايا القلب الداخلية، فإنها ترتكب الزنا مع الروح الخبيث ضد الله كما هو مكتوب " إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها في قلبه" (مت٥:٢٨). فهناك زنى بالجسد، وهناك زنى آخر للنفس حينما تقيم شركة مع الشيطان. فالنفس إما أن تكون شريكة وقريبة للشياطين، أو لله والملائكة، فإن كانت تزنى مع الشيطان، فهي لا تليق بالعريس السماوى.

الحرب مستمرة ولكن الرب يحفظ من الذي :

١٤ـ سؤال: هل الشيطان يهدأ أحيانًا ويكون الإنسان حُرًا من الحروب؟ أم أن الحرب لا تكف عنه مادام حيًا في الجسد؟

جواب: إن الشيطان لا يهدأ أو يكف عن الحرب. ومادام الإنسان يحيا في هذا العالم ويلبس الجسد فهو مُعرّض للحرب. ولكن حين " تنطفئ سهام الشرير الملتهبة"(أف٦:١٦) في ضرر يصيب الإنسان إذا أتى الشيطان بإيحاءاته؟ فالشخص الذي يكون صديقًا للملك، وتُرفع شكوى ضده من عدوه، فحيث إن الملك صديق له ويتمتع بفضل وإنعامات الملك، ويقدم له الملك المساندة والعون، فإنه لا يُصاب بأي ضرر. وحينما ينجح أى شخص في أن يعبر بكل الرتب والدرجات ويصير صديقًا للملك ، فلا يستطيع أحد أن يلحق به ضررًا. وفي هذا العالم المادي توجد بعض المدن التي تحصل على هبات وإنعامات من الإمبراطور. فحتى إذا قامت هذه المدن بالصرف على بعض الخدمات فإنها لن تخسر كثيرًا، حيث إنها تحصل على خيرات وافرة من الإمبراطور. هكذا المسيحيون أيضًا، فحتى إذا كان العدو يحارب ضدهم فإنهم يحتمون في الله كحصنهم وقوتهم، وقد لبسوا القوة والراحة من الأعالي، ولا يبالون بالحرب التي تقوم ضدهم.

١٥ ـ وكما أن الرب لبس الجسد متخلّيًا عن كل رئاسة وقوة، كذلك المسيحيون يلبسون الروح القدس ويصيرون في سلام. فحتى إذا أتت الحرب من الخارج وبدأ الشيطان هجومه، فإنهم يتقوون داخليًا بقوة الرب ولا يقلقون من الشيطان.

فالشيطان جرّب الرب في البرية أربعين يومًا ولم يصبه بأي ضرر باقترابه من جسده أو من الداخل إذ كان هو الله. هكذا المسيحيون، رغم أنهم يُجرّبون من الخارج فإنهم من الداخل مملؤون بالله ولا يصيبهم أى أذى. ولكن من يصل إلى هذه المقاييس، فإنه يكون قد وصل إلى محبة المسيح الكاملة، وإلى ملء اللاهوت. وأما من لم يكن هكذا فإنه لا يزال يعانى من الحرب في داخله. فإنه في ساعة معينة

يبتهج ويفرح في الصلاة ولكنه في ساعة أخرى يكون في شدة وفي حرب. وهذه هي إرادة الرب. فلأن مثل هذا الشخص لا يزال طفلاً، فإن الرب يدرّبه في الحروب، ومن داخله تنبع كلاً من أفكار النور والظلمة، والسلام والشدة، ومثل هؤلاء الأشخاص يصلون في سلام في بعض الأوقات وفي أوقات أخرى يكونون في ضيق وقلق.

١٦ـ ألاّ تسمع ما يقوله الرسول بولس؟ " إن كان لي كل المواهب، وإن سلّمت جسدي حتى احترق، وإن كنت أتكلم بألسنة الملائكة، وليس لى محبة فلست شيئًا" (١كو١٣:١-٣). فهذه المواهب هي فقط لأجل حثنا وتحريضنا. وأولئك الذين يكتفون بها فإنهم لا يزالون أطفالاً رغم أنهم في النور.

فكثيرون من الأخوة قد وصلوا إلى هذه الدرجات وحصلوا على مواهب الشفاء، والإعلانات والنبوة ، ولكن لأنهم لم يصلوا إلى المحبة الكاملة التي هي " رباط الكمال" (كو٣:١٨) فإن الحرب تثور ضدهم، ولأنهم لا يحترسون فإنهم يسقطون. ولكن الشخص الذي يصل إلى المحبة الكاملة فإنه يُحاصر بالنعمة ويصير أسيرًا لها. أما الذي يقترب قليلاً من هذه الدرجة ـ درجة المحبة الكاملة ـ ولكنه لا يُربط بالحب تمامًا ويُقيّد به، فمثل هذا الشخص لا يزال مُعرّضًا للخوف والحروب واحتمال السقوط، وإذا لم يحترس لنفسه فإن الشيطان يلقيه صريعًا على الأرض.

أسباب السقوط :

١٧ ـ وبهذه الطريقة فإن كثيرين أخطأوا بعد أن حصلوا على النعمة. ظنوا أنهم قد حصلوا على الكمال وقالوا " هذا يكفي، إننا لا نحتاج إلى أكثر من ذلك". ولكن الرب ليس له نهاية، ولا يمكن إدراكه بصورة كاملة ولا يجرؤ المسيحيون أن يقولوا "لقد أدركنا" الله (في٣:١٣)، ولكنهم يظلون يسعون ـ بتواضع ـ ليلاً ونهارًا. وفي أمور هذا العالم نجد أنه ليس هناك نهاية للتعلّم، وأكثر الناس إدراكًا لهذه الحقيقة هو الشخص الذي حصل على درجة كبيرة من العلم والمعرفة. هكذا أيضًا في هذا الأمر الذي نتحدث عنه، فالله لا يمكن قياسه أو إدراكه إلاّ بواسطة أولئك الذين قد بدأوا يتذوقونه، أولئك الذين قبلوه شخصيًا، ويعترفون بضعفهم وعجزهم. فإذا ذهب إنسان له بعض العلم إلى قرية حيث الناس غير متعلّمين فإنهم يعجبون به، لأنهم جهلاء تمامًا فإنهم يمدحونه كأحد العلماء. ولكن إذا ذهب نفس هذا الشخص بعلمه القليل إلى مدينة حيث العلماء والخطباء فإنه لا يجسر أن يظهر بينهم أو يتكلم لأن العلماء الحقيقيون يحسبونه جاهلاً.

حالة الذي ينتقل أثناء الحرب الروحية :

١٨ـ سؤال: إذا فرضنا أن إنسانًا لا يزال في حرب داخلية ولا يزال يوجد في نفسه كلاً من الخطية والنعمة، فإذا انتقل من هذا العالم إلى أين يذهب، حيث إنه يميل نحو كل من الخطية والنعمة.

جواب: إنه يذهب إلى حيث يميل قلبه وإلى حيث يوجد حبه. وما عليك إذا أتت عليك الشدة والحرب إلاّ أن تقاومهما وتبغضهما. لأن مجئ الحرب عليك هذا ليس من صنعك. ولكن أن تبغض الحرب فهذا أمر متوقف عليك. وحينئذ إذ ينظر الرب إلى قلبك ويرى أنك تجاهد وأنك تحبه بكل نفسك، فإنه يطرد الموت عن نفسك في وقت قصير جدًا. فإن هذا ليس صعبًا عليه، ثم يأخذك إلى حضنه وإلى نوره. وفي لحظة من الزمان ينتشلك من فم الظلمة وينقلك في الحال إلى ملكوته. فمن اليسير على الله أن يفعل كل الأشياء في لحظة من الزمان، إن كنت فقط تضع حبك فيه. إن الله يريد عمل الإنسان. لأن النفس البشرية خُلقت لتكون لها شركة مع اللاهوت.

١٩ ـ وقد سبق أن تكلّمت كثيرًا عن مَثَل الفلاح الذي يتعب ويلقى البذار في الأرض وكيف أنه ينبغي أن ينتظر المطر من فوق. فإن لم تظهر السحب وتهب الرياح فلا فائدة من تعب الفلاح. فإن البذار تبقى عارية. والآن نطبق هذا على الوضع الروحي، فالإنسان الذي يعتمد فقط على مجهوداته الخاصة ولا ينال ما هو خارج عن طبيعته البشرية فإنه لا يستطيع أن يقدّم للرب ثمارًا تليق به. والآن ما هو العمل المطلوب من الإنسان، هل أن يتجرد من العالم ويتركه، وأن يثابر على الصلاة ويسهر، وأن يحب الله والاخوة؟. هذه هي المجالات المطلوب من الإنسان أن يعمل ويثابر فيها. ولكنه إن استند على عمله هذا واكتفي به ولم يترجى أن ينال العطية الأخرى، التي هي رياح الروح القدس، فإن عدم هبوب رياح الروح على نفسه، بسبب عدم ظهور السحب السماوية، وعدم نزول المطر من السماء ليرطب نفسه، فإن الإنسان لا يستطيع أن يقدم للرب الثمار التي تليق به (بالرب).

٢٠ ـ إنه مكتوب إن الكرام حينما يرى الغصن يأتي بثمر " ينقيه ليأتي بثمر أكثر" (يو١٥:٢) وأما الغصن الذي لا يأتي بثمر فإنه ينزعه ويسلّمه للحريق. وفي الحقيقة يليق بالإنسان إذا صام أو سهر الليالي أو صلى أو عمل أى شيء من الصلاح، أن ينسب كل شيء للرب ويقول: " لو لم أنل القوة من الله لما كنت قد استطعت أن أصوم أو أصلى أو أتجرد من العالم".

وبهذه الطريقة فإذ يرى الله قصدك، أنك تنسب كل ما تعمله إليه، فإنه ينعم عليك بما هو ليس من ذاتك أو من طبيعتك ـ أى بما هو روحاني وإلهي وسماوي. وما أعنيه هو ثمار الروح والفرح والسعادة.

الثمار الطبيعية والثمار الروحانية :

٢١ـ سؤال: ولكن حيث إن الثمار الطبيعية هي المحبة والإيمان والصلاة، فما هو الفرق بين هذه الثمار الطبيعية والثمار الروحانية؟

جواب: الأشياء التي تعملها من نفسك هي حسنة ومقبولة أمام الله، ولكنها ليست نقية تمامًا فمثلاً: أنت تحب الله، ولكنك لا تحبه محبة كاملة. فحينما يأتي الرب إلى داخلك فإنه يعطيك محبة سماوية غير متغيرة. أو أنت تصلى ولكن صلاتك مُصابة بتشتيت الأفكار والقلق. وحينما يأتي الرب إليك فإنه يعطيك الصلاة النقية " بالروح والحق" (يو٤:٢٣) وإننا نجد في العالم المادي، أن التربة غالبًا ما تُخرج أشواكًا من نفسها.

والفلاح يحفر ويصلح الأرض بعناية ويضع فيها البذار، ولكن الأشواك التي لم يزرعها أحد تنبت وتتكاثر. إذ أنه بعد سقوط آدم قيل له " شوكًا وحسكًا تنبت لك الأرض" (تك٣:١٨). ومرة ثانية يتعب الفلاح في الأرض ويقتلع الأشواك ولكنها مع ذلك لا تزال تتكاثر. وإذا طبقنا هذا تطبيقًا روحيًا نجد أنه منذ سقوط الإنسان صارت تربة القلب البشرى تنبت شوكًا وحسكًا. والإنسان يعمل ويتعب، ومع ذلك تنبت فيها أشواك الخطية، إلى أن يأتي الروح القدس نفسه " ويعين ضعفات الإنسان" (رو٨:٢٦). ويزرع الرب الزرع السماوي في تربة القلب ويفلحها. ولكن برغم ذلك، لا يزال الحسك والشوك ينبتان ثانية. ثم يعمل الرب والإنسان معًا في أرض النفس ولا تزال أشواك وأرواح الشر تنبت وتنمو هناك حتى يأتي وقت الصيف والحرارة الشديدة حين تتفاضل وتتزايد النعمة فتجف الأشواك وتذبل من حرارة الشمس.

النعمة المتفاضلة تلغى سلطان الخطية :

٢٢ـ فرغم أن الشر موجود في الطبيعة البشرية (بعد نوال النعمة) ولكنه لم يعد له السلطان أن يسود عليها كما كان سابقًا. فرغم أن الزوان يمكن أن يخنق نبات القمح في بداية نموه ولكن حينما يأتي الصيف وتنضج حبوب القمح فإن الزوان لا يكون له أى ضرر على القمح بعد ذلك. فإذا وضعت ربع مكيال[١] من الزوان في ثلاثين مكيال من القمح النقي واختلطت معها في تأثير يكون للزوان. فإن كمية القمح الكبيرة تطغى بسبب وفرتها على الزوان القليل.

هكذا أيضًا في مجال النعمة، فحينما تتفاضل عطية الله وتفيض نعمته في الإنسان فيصير غنيًا بالرب، فحتى إذا كانت الخطية حاضرة فيه إلى درجة ما، فإنها لا تستطيع أن تؤذيه ولا يكون لها سلطان أو قوة عليه. وهذا هو الهدف من مجيء الرب وعنايته بالإنسان ـ هو أن يطلق الذين كانوا أسرى للخطية ومستعبدين لها، ويجعلهم أحرارًا وغالبين للموت والخطية. لذلك فلا ينبغي أن يستغرب الاخوة إذا أصابتهم ضيقات وشدائد من الناس فهذا يساعد على تخليصهم وتحريرهم من الخطية.

٢٣ـ كان موسى وهرون اللذان أعطيا الكهنوت في العهد القديم، يتحملان شدائد كثيرة، أما قيافا حينما جلس في كرسيهما اضطهد الرب وحكم عليه. والرب سمح بأن يتم هذا احترامًا للكهنوت. وبالمثل فإن الأنبياء قد اضُطهدوا من أمتهم وشعبهم.

وفي كنيسة العهد الجديد خلف بطرس، موسى، واستأمنه المسيح على كنيسته الجديدة والكهنوت الحقيقي. لأن المعمودية الآن هي معمودية النار والروح القدس. وقد أعطينا ختانًا في القلب. لأن الروح الإلهي السماوي يسكن في داخل العقل.

ومع ذلك فحتى أولئك الكاملين ليسوا أحرارًا من القلق تمامًا ماداموا في الجسد، وذلك بسبب حرية إرادتهم، ولذلك يتعرضون للخوف. ولهذا السبب عينه يُسمح لهم بأن يُجربوا. ولكن حينما يصل الإنسان إلى مدينة القديسين، فإنه حينئذ يستطيع أن يحيا بدون اضطراب وبدون تجارب. وهناك لا يوجد حزن أو اضطراب أو تعب أو شيخوخة أو شيطان أو حرب، بل هناك راحة وفرح وسلام وخلاص. والرب موجود في وسطهم وهو مخلصهم لأنه هو الذي أطلق المأسورين أحرارًا. وهو يُدعى الطبيب لأنه معطى الدواء السماوي الإلهي. ويشفي آلام وأهواء النفس التي تكون من بعض الوجوه متسلطة على الإنسان. وبالاختصار فإن يسوع هو الملك والله، أما الشيطان فهو طاغية ورئيس الشر.

النفس لها الاختيار بين الله والشيطان :

٢٤ ـ ولنقل ببساطة، إن الله وملائكته يرغبون أن يجعلوا هذا الإنسان واحدًا معهم ليكون معهم في ملكوت الله، والشيطان أيضًا وملائكته يرغبون أن يضموا الإنسان إليهم ليكون معهم. والنفس موجودة في الوسط بين هذين الكيانين ـ والجانب الذي تميل إليه إرادتها فإنها تصير ملكًا له وابنًا له. فكما يحدث من الأب الذي يرسل ابنه إلى أرض غريبة، حيث توجد وحوش كاسرة وحيات سامة في الطريق، فإنه يعطيه أدوية وعلاجات يجهزه بها حتى إذا قابلته الوحوش أو التنانين لتهاجمه فإنه يستطيع أن يستعمل الأدوية ليقتلها.

الدواء السماوي والقلب النقي :

فاجتهدوا أنتم أيضًا في الحصول على الدواء السماوي الذي هو شفي النفس وواقيها، لكى بواسطته تستطيعون أن تقتلوا الوحوش السامة ـ وحوش الأرواح النجسة. فبالحقيقة أنه ليس من السهل الحصول على قلب نقى إلاّ بتعب وجهد كثير. فإنه بذلك يحصل الإنسان على ضمير نقى وقلب طاهر وينتزع منه الشر كله.

٢٥ ـ فإنه يحدث أحيانًا أن تأتى النعمة إلى إنسان ومع ذلك لا يكون قلبه نقيًا تمامًا. وهذا هو السبب الذي يجعل كثيرين يسقطون، فإنهم يسقطون لأنهم لا

يصدقون أنهم بعد نوالهم النعمة لا يزال فيهم دخان وخطية، تستطيع أن تؤثر عليهم.
وأما جميع الأبرار فإنهم أرضوا الرب إذ ساروا في الطريق الضيق الكرب وساروا فيه إلى النهاية.
فإبراهيم رغم أنه كان غنيًا من جهة الله ومن جهة العالم إلاّ انه اعتبر نفسه " تراب ورماد" (تك١٨:٢٧) وداود يقول إنه " عار عند البشر ومُحتقر الشعب، أما أنا فدودة لا إنسان" (مز٢٢:٦). وبنفس الطريقة، فإن كل الأنبياء والرسل أهينوا وشُتموا، والرب نفسه، الذي هو الطريق، وهو الإله، حينما جاء إلى العالم لأجلك وليس لأجل نفسه، ليكون مثالاً لك في كل ما هو صالح.

انظر إلى المسيح :
انظر، إلى أى تواضع صار ووضع نفسه " آخذًا صورة عبد" (في٢:٧)، وهو يعطى بنفسه أدوية شافية ويشفي كل المجروحين حينما ظهر من الخارج كأنه واحد من " المجروحين" (إش٥٣:٤،٥).

٢٦ ـ ولكن لا تحتقر مجده الإلهي حينما تراه من الخارج متواضعًا كواحد منا. فإنه من أجلنا ظهر هكذا وليس لأجل نفسه، تأمل جيدًا في تلك الساعة حينما كانت الجموع المزدحمة تصرخ " أصلبه أصلبه" (لو٢٣:٢١) وكيف كان متواضعًا ومسحوقًا أكثر من جميع الناس. وكما يحدث في العالم حولنا فإن أى إنسان مجرم حينما يحكم عليه القاضى فإنه حينئذ يكون مكروهًا ومرذولاً من جميع الناس، هكذا كان الرب في ساعة الصليب وكإنسان محكوم عليه بالموت كان الفريسيون يعاملونه باحتقار شديد. وحينما بصقوا في وجهه ووضعوا إكليل الشوك على رأسه وضربوه في احتقارٍ وهوانٍ قد احتمله؟ لأنه مكتوب " بذلت ظهري للضاربين، وجهي لم أستر من العار والبصاق وخدي من اللطم" (إش٥٠:٦). فإن كان الله قد تنازل لاحتمال هذه الإهانات والآلام والتحقير، فكم بالحري أنت الذي بطبيعتك ترابي ومائت. فمهما احتُقرت فإنك لن تفعل أبدًا مثل سيدك ـ فإنه لأجلك وضع نفسه، أفلا تضع أنت ذاتك لأجل نفسك أم تظل متكبرًا ومنتفخًا. لقد أتى ليحمل على نفسه آلامك وأثقالك وخطاياك، وليعطيك راحته، ولكنك ترفض أن تحمل أية متاعب أو أن تتألم لكى تحصل على شفاء لجروحك. والمجد لصبره وطول أناته إلى الأبد آمين.

[١] (ربع) المكيال المقصود يساوى (١ على ٨) من مكيال القمح فتكون نسبة الزوان إلى القمح ١:٢٤٠.

هذه العظة كسابقتها تصف كرامة وحالة الإنسان المسيحي. ثم تعلّم أمورًا نافعة كثيرة عن حرية الإرادة مع بعض أسئلة مملوءة بحكمة إلهية.

كرامة الإنسان في المسيح :

١ـ اعرف أيها الإنسان سموك وكرامتك وشرفك عند الله، لكونك أخًا للمسيح، وصديقًا للملك، وعروسًا للعريس السماوى، لأن كل من استطاع أن يعرف كرامة نفسه، فإنه يستطيع أن يعرف قوة وأسرار اللاهوت. وبذلك يمكنه أن ينسحق ويتضع أكثر، ففي ضوء قوة الله يرى الإنسان خطورة حالته الساقطة. وكما أنه (المسيح) عبر الآلام والصليب قبل أن يتمجّد ويجلس عن يمين الآب، هكذا ينبغي لك أن تتألم معه، وتُصلب معه، وبذلك تصعد معه وتتحد بجسد المسيح، وتملك معه إلى الأبد في ذلك العالم، " إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه" (رو٨:١٧).

٢ ـ لأن أولئك الذين يستطيعون أن يغلبوا ويجوزوا حصون الشر، فإنهم يدخلون إلى المدينة السماوية المملوءة بالسلام وأنواع الصالحات حيث " أرواح الأبرار" تجد راحة (عب١٢:٢٣). لذلك ينبغي أن نكد ونتعب كثيرًا من أجل ذلك. فإنه لا يليق أن العريس الذي أتى من أجلك ، يتألم ، بينما العروس التي جاء لأجلها العريس تعيش في بلادة وتكاسل هائمة في العالم. وكما أنه في الأمور العالمية تعطى الزانية نفسها لكل إنسان بدون تمييز في عهارة، هكذا النفس التي قد أعطت نفسها للشيطان حتى أفسدتها تلك الأرواح الشريرة. فإن البعض يخطئون ويفعلون الشر باختيارهم بينما البعض الآخر يخطئون رغمًا عنهم. فما معنى هذا؟ إن أولئك الذين يفعلون الشر باختيارهم هم الذين قد باعوا إرادتهم للشر، ويجدون لذتهم فيه ويعقدون معه صداقة. مثل هؤلاء هم متصالحون مع الشيطان ولا يحاربونه في أفكارهم. وأما أولئك الذين يفعلون الشر بدون إرادتهم فهؤلاء تحارب الخطية في أعضائهم (رو٧:٢٣). وقوة وحجاب الظلمة تحارب ضد إرادتهم وهم لا يتوافقون معها في أفكارهم، ولا يجدون لذتهم فيها، ولا يطيعونها بل يحاربون ضدها في القول والفعل. وهم يغضبون مع أنفسهم. فهؤلاء هم أسمى جدًا وأكرم في عيني الله من الذين يبيعون إرادتهم للشر ويفرحون به.

٣ ـ فإذا افترضنا أن ملكًا وجد فتاة فقيرة تلبس خرقًا بالية، ولم يستنكف منها بل أخذها وجردها من ثيابها الرثة وغسلها من سوادها وزينها بملابس أنيقة مبهجة وجعلها شريكته وجليسته على مائدته، فهكذا الرب أيضًا قد وجد النفس مجروحة ومضروبة، وأعطاها الدواء وخلع عنها الثياب السوداء وأزال عنها عار الخطية وألبسها الملابس الملوكية السماوية أي ملابس اللاهوت اللامعة المجيدة. ووضع تاجًا على رأسها وجعلها شريكة مائدته الملوكية للفرح والبهجة. وكما في حالة الحديقة الجميلة حيث توجد أشجار مثمرة ويكون الهواء مُحملاً بالرائحة

الزكية، وتوجد أماكن كثيرة جميلة ومُنعشة وذلك لبهجة وراحة أولئك الذين يذهبون إلى هناك، هكذا أيضًا تكون النفوس في الملكوت فإنها تكون جميعها في فرح وسعادة وسلام، ويكونون ملوكًا وأربابًا وآلهة. لأنه مكتوب " ملك الملوك ورب الأرباب" (١تي ٦:١٥).

٤ ـ فالديانة المسيحية ليست إذن شيئًا عاديًا، " هذا سر عظيم" (أف٥:٣٢)، لذلك فاعرف قدرتك وسموك لكونك دُعيت إلى الكرامة الملوكية "جنس مختار كهنوت ملوكي وأمة مقدسة" (١بط٢:٩)، لأن سر المسيحية هو غريب بالنسبة لهذا العالم. والمجد المنظور الذي للإمبراطور أو الملك وكل غناه، إنما هو أرضى وفاني ومضمحل وأما ذلك الملكوت وذلك الغنى السماوي فهو إلهي سماوي ومملوء مجدًا وهو لا يفنى ولا يضمحل لأن مثل هؤلاء المسيحيون يملكون مع الملك السماوي في الكنيسة السماوية " وهو البكر من الأموات" (كو١:١٨) وهم أيضًا أبكار، ولكن رغم أن هذه هي حالتهم وهم مختارون ومقبولون أمام الله، فإنهم يعتبرون أنفسهم أقل الكل وليس لهم أي استحقاق، وقد صار أمرًا طبيعيًا عندهم أن يعتبروا أنفسهم كلا شيء.

نفسي ليست ثمينة عندي :

٥ـ سؤال: هل معنى ذلك أنهم لا يعرفون أنهم قد نالوا شيئًا زائدًا وأنهم قد حصلوا على ما لم يكن لهم قبلاً أي ما هو غريب عن طبيعتهم؟

جواب: ما أقوله هم إنهم لا يعتبرون أنفسهم مستحقين لمدح الله ورضاه، ويعتبرون أنهم لم يتقدموا ويرتقوا، وهم لا يعرفون كيف حصلوا على ما لم يكن لهم قبلاً. ولكن برغم كل ذلك فإن النعمة نفسها تأتي وتعلّمهم أن لا يحسبوا " نفوسهم ثمينة عندهم" (أع ٢٠:٢٤) رغم أنهم قد نموا وتقدموا. بل وأن يحسبوا أنفسهم كأنهم من طبيعتهم لا قيمة لهم. ورغم أنهم مكرّمون وأعزاء عند الله ولكنهم ليسوا مكرّمون عند أنفسهم. ورغم أنهم ينمون ويتقدمون في معرفة الله، فإنهم يكونون كأنهم لا يعرفون شيئًا ورغم كونهم أغنياء عند الله فإنهم يرون أنفسهم فقراء ـ وكما أن المسيح " أخذ صورة عبد" (في ٢:٧) وغلب الشيطان بالتواضع، هكذا فإنه في البداية سقط الإنسان عن طريق الكبرياء والمجد الباطل بخداع الحية، والآن فإن الحية نفسها التي تختبئ في القلوب البشرية تحاول أن تصرع وتهلك كثير من جنس المسيحيين عن طريق الكبرياء والمجد الباطل.

٦ ـ وإذا كان إنسان حر وكريم المولد بحسب العالم وعنده غنى كثير، وهو مستمر في تنمية ثروته وزيادة دخله، فإن مثل هذا الإنسان يفقد اتزانه ويصير معتدًا بذاته واضعًا ثقته في ذاته. هذا الإنسان يصير غير محتمل، ويبتدئ يرفس الآخرين ويبطش بهم. هكذا يكون الحال أحيانًا مع بعض الأشخاص الذين ينقصهم التمييز، فإنهم بمجرد أن يبدأوا في تذوق الفرح والقوة في الصلاة، فإنهم يبتدأون

أن ينتفخوا روحيًا، ويفقدون اتزانهم، ويبدأون في إدانة الآخرين ولذلك يسقطون إلى أسفل أعماق الأرض. وأن الحية نفسها التي طردت آدم من الفردوس عن طريق الكبرياء بقولها "ستكونان كالآلهة" (تك٣:٥)، لا تزال تلقى بأفكار الكبرياء في قلوب البشر قائلة لكل منهم " أنت كامل، إن عندك كثير وأنت غنى، ولا تحتاج شيئًا، إنك مغبوط وسعيد".

وهناك أشخاص آخرون أغنياء بحسب هذا العالم ومستمرون في تنمية ثرواتهم، ومع ذلك فإنهم يحفظون أنفسهم في حدود بعض البصيرة والتمييز ولا يفتخرون أو ينتفخون بل يظلون متزنين لأنهم يعرفون أن الوفرة والغنى يمكن أن يعقبها القلّة والشح. وأيضًا حينما تحدث لهم الخسارة والقحط فإنهم لا ييأسون بل يحفظون توازنهم عالمين أن الرخاء والوفرة ستعود مرة أخرى، وبكثرة تمرنهم في وقت الخسارة لا يندهشون ويتحيرون.

المسيحية تذوق عميق وأكل للحق باستمرار :

٧ـ والمسيحية في حقيقتها هي تذوق عميق للحق، هي أكل وشرب للحق، أن تأكل وأن تشرب، وهكذا تستمر تأكل وتشرب لتنال القوة والفاعلية. وإذا افترضنا أن هناك عين ماء يأتي إليها شخص عطشان ويبدأ أن يشرب منها ولكن في أثناء شربه يأتي شخص آخر ويصده قبل أن يرتوي تمامًا كما يريد، فإن ذلك الإنسان العطشان يشتعل عطشًا أكثر إلى الماء، لأنه قد تذوق الماء ولذلك فإنه يطلبه بغيرة وجهد أكثر. هكذا أيضًا في المجال الروحاني فإن الإنسان يتذوق الطعام السماوي ويشترك فيه، ثم يأتي في أثناء ذلك ما يمنعه فلا ينال شبعه تمامًا.

٨ ـ سؤال: ولماذا لا يُسمح له أن ينال شبعه الكامل ؟

جواب: إن الرب يعرف ضعف الإنسان، وأنه ينتفخ بسهولة، ولهذا السبب فإنه يحجز عنه الشبع ويسمح للإنسان بأن يُمتحن ويُجرّب. فإذا كنت تنال قليلاً من النعمة ومع ذلك تصير غير محتمل وتكون منتفخًا، فكيف يكون الحال لو أنك أعطيت حتى الشبع مرة واحدة بدون أن يحجز عنك الشبع؟ ولكن الله إذ هو يعرف ضعفك تمامًا فإنه بعنايته يرتب أن تأتيك الشدائد لكي تتضع وتطلب الله بغيرة واجتهاد. وكما يحدث في حالة إنسان فقير في الماديات وجد كيس ذهب وبخفة الفرح بدأ يصيح: " لقد وجدت كيسًا من الذهب وصرت إنسانًا غنيًا" وحينئذ يسمع صاحب الكيس الذي فقده فيأتي ويأخذ ذهبه.

وإنسان آخر كان غنيًا، وفقد اتزانه وبدأ يرفس الناس، ويحتقر كل واحد، ويعظّم نفسه على غيره من الأشخاص، وحينما سمع الإمبراطور عنه صادر كل ممتلكاته. وهكذا الأمر في المجال الروحانى. فحينما يتذوق بعض الأشخاص قليلاً من العزاء والنعمة، فإنهم لا يعرفون كيف ينتفعون بما نالوا، بل إنهم يفقدون حتى ما قد نالوه لأن الخطية تضلّهم وتُظلِم عقولهم.

النعمة والسقوط وحرية الاختيار :

٩ـ سؤال: كيف يسقط البعض بعد افتقاد النعمة له أفلاً يصير الشيطان أضعف بواسطة النعمة؟ وحيث يكون النهار كيف يمكن أن يكون هناك ليل؟

جواب: ليس أن النعمة تنطفئ أو تضعف، بل إن إرادتك وحريتك تُمتحن لكي يتضح إلى أي اتجاه تميل، ولهذا، فإن النعمة تعطى فرصة لوجود الخطية. وحينئذ تقترب أنت ثانية من الرب باختيارك وتتوسل إليه أن تأتيك النعمة وتفتقدك. فإنه مكتوب " لا تطفئوا الروح" (١تس٥:١٩) فالروح نفسه لا يمكن أن ينطفئ، بل هو نور دائم، ولكن إذا كنت أنت مهملاً، فبعدم توافقك وتعاونك مع الروح فإنك تنطفئ وتفقد الروح. وبالمثل يقول الكتاب " لا تحزنوا الروح القدس الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أف٤:٣٠) وأنت ترى هنا، أنك متروك لاختيارك وحريتك أن تكرم الروح القدس ولا تحزنه. وإني أؤكد لك أن حرية الاختيار تظل باقية حتى في المسيحيين الكاملين الذين يُسبون بالصالحات ويسكرون بها، والنتيجة أنهم رغم تعرّضهم لآلاف من الشدائد والشرور فإنهم يتجهون إلى الصلاح.

١٠ـ وحينما يترك بعض الأشخاص ـ من ذوي الرتب والثراء والنسب ـ أموالهم ويلبسون ثيابًا فقيرة رثة ويقبلون المسكنة والإهانات بدلاً من التكريم والاحترام، ويحتملون الشدائد ويُحسبون بلا كرامة، فإنهم إنما يفعلون هذا باختيارهم وإرادتهم. وصدقني أن الرسل أنفسهم الذين كانوا كاملين في النعمة، لم تكن النعمة تمنعهم من أن يفعلوا ما يريدون، إن رغبوا أحيانًا أن يفعلوا شيئًا غير موافق للنعمة. إن طبيعتنا البشرية معرّضة لكل من الخير والشر، والقوة المعادية تعمل عن طريق الحث والإغراء وليس عن طريق الإجبار. وأنت تملك الحرية أن تميل إلى الاتجاه الذي تريده. ألم تقرأ ما هو مكتوب أن بطرس " كان ملومًا" (غل٢:١١). وأن بولس قاومه مواجهة. فرغم كل ما كان عليه بطرس من نعمة فإنه استوجب التوبيخ. وبولس ، مع كل الروحانية التي كان عليها، فإنه تشاجر مع برنابا حتى فارق أحدهما الآخر (أع١٥:٣٩)، وبولس نفسه أيضًا يقول " اصلحوا أنتم الروحانيون مثل هذا.. ناظرًا إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضًا" (غل٦:١). إذن فالروحانيون يُجربون لأن حرية إرادتهم باقية، والأعداء يحاربونهم ماداموا في هذا العالم.

١١ـ سؤال: ألم يكن الرسل يستطيعون أن يخطئوا لو أرادوا ذلك؟ أم أن النعمة كانت قوية جدًا فوق إرادتهم؟

جواب: إنهم لم يكونوا يستطيعون أن يخطئوا، لأنه لم يكن في استطاعتهم أن يختاروا الخطية لكونهم في النور وفي ملء النعمة. وأنا لا أقول إن النعمة كانت ضعيفة فيهم ولكن ما أقول إن النعمة تسمح حتى للأشخاص الروحانيين الكاملين أن تكون لهم حرية الإرادة، وأن يكون لهم السلطان أن يفعلوا ما يختارون، وأن يتجهوا الاتجاه الذي يرغبونه. والطبيعة البشرية، إذ هي ضعيفة لها الإمكانية أن

تميل إلى الشر حتى مع وجود الصلاح والنعمة فيها. وكما أن هناك أناسًا يلبسون السلاح الكامل من الرأس إلى القدم مع الدروع وغيرها من الأسلحة، فإنهم حينئذ يكونون محفوظين في الداخل ولا يستطيع الأعداء أن يهاجموهم، فإنهم في استطاعتهم إمّا أن يستخدموا أسلحتهم ويحاربوا ويجاهدوا ضد الأعداء وينتصروا أو أن يصالحوا الأعداء ويعقدوا معهم صلحًا ويكفوا عن محاربتهم رغم أنهم يملكون السلاح. وبنفس الطريقة، فإن المسيحيين المسلحين بالقوة الكاملة والذين يملكون السلاح السماوي يستطيعون إن أرادوا أن يتصالحوا مع الشيطان ويكفوا عن الحرب. إن الطبيعة البشرية معرّضة للتغيّر، والإنسان يستطيع إذا أراد أن يصير ابنًا لله أو ابنًا للهلاك. وفي هذا يتضح أن حرية إرادتهم هي التي تحدد ماذا يكون.

أهمية الاختبار وبرهان الروح :

١٢ـ إن مجرد الحديث عن الأطعمة والمائدة شيء وأما أن تأكل وتتمتع بالطعام لتقوية أعضاء جسدك فهذا شيء آخر تمامًا. والحديث عن مشروب لذيذ بالكلمات شيء، وأما الاقتراب من الينبوع نفسه والشرب منه حتى الارتواء فهذا شيء آخر. وأن تتحدث عن الحروب وعن الأبطال والمحاربين الشجعان هذا شيء ولكن ذهاب الإنسان إلى المعركة في الطليعة ومحاربة الأعداء وجهًا لوجه ومناورتهم والأخذ والعطاء معهم والانتصار عليهم فهذا شيء آخر تمامًا.

وبالمثل في الأمور الروحية: الكلام والحديث بالمعرفة والأفكار العقلية هذا شيء، وأما الجوهر والحقيقة في ملء الاختبار وفي الإنسان الداخلي وامتلاك كنز ونعمة ومذاقة وفاعلية الروح القدس في القلب فهذا شيء آخر. لأن أولئك الذين يتكلمون مجرد كلمات عارية يعيشون في اوهام، " وينتفخون في ذهنهم" (كو٢:٨). والرسول يقول: " وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة" (١كو٢:٤) وأيضًا يقول: " إن غاية الوصية هي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء" (١تى١:٥). ومثل هذا الإنسان لا يسقط. وكثيرون من الذين يطلبون الله ينفتح لهم الباب ويبصرون الكنز ويدخلون فيه، وبينما هم يفرحون بهذا ويقولون " لقد وجدنا الكنز" فإنه يغلق الأبواب. ويبدأون بالصراخ والطلب والتوسل كثيرًا ويقولون " لقد وجدنا الكنز وضيعناه". فإن النعمة تنسحب بقصد وتدبير لكي ما نسعى ونطلب باجتهاد وغيرة. والكنز يُكشف لنا لكيما يجعلنا نسعى في طلبه.

١٣ـ سؤال: يقول البعض إن الإنسان بعد أن ينال النعمة مرة فإنه يعبر من الموت إلى الحياة. فهل من الممكن لمن قد صار في النور أن تكون عنده أفكار غير طاهرة؟

جواب: مكتوب " أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون بالجسد" (غل٣:٣) وأيضًا يقول " ألبسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" (أف٦:١١).
وهذه النصوص تبين وجود وضعين: الأول هو الذي يكون فيه الشخص حينما يكون لابسًا سلاح الروح، والآخر حينما يحارب مع السلاطين والرؤساء سواء في النور أو الظلمة. ومكتوب أيضًا " لكي تقدروا أن تطفئوا سهام الشرير الملتهبة" (أف٦:١٦). وأيضًا " لا تُحزنوا روح الله القدوس" (أف٤:٣٠) وأيضًا " لأن الذين استُنيروا مرة وذاقوا موهبة الله وصاروا شركاء الروح القدس وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضًا"(عب٦:٤). فهناك أولئك الذين استُنيروا وذاقوا الرب ومع ذلك يسقطون. ومن ذلك نرى أن الإنسان يملك الإرادة أن يحيا في توافق وانسجام مع الروح، وأيضًا يملك الإرادة أن يحزنه. وهو يأخذ الأسلحة لكي يذهب إلى المعركة ليحارب الأعداء. إنه بالتأكيد قد استنار حتى يمكن أن يحارب ضد الظلمة .

الفرق بين المواهب والمحبة الكاملة :

١٤ـ سؤال: ماذا يعني الرسول بقوله " إن كان لي كل علم وكل نبوة وأتكلم بألسنة الناس والملائكة فلست شيئًا" (١كو١٣:١-٣).
جواب: لا ينبغي أن نفهم من هذا الكلام أن الرسول ليس بشيء ولكنه يعني أن كل هذه المواهب ليست شيئًا بالمقارنة بالمحبة الكاملة، وهذه كلها لها أهمية قليلة. والذي له مثل هذه المواهب يمكن أن يسقط. أما الذي يملك المحبة فلا يمكن أن يسقط. وإني أؤكد لكم هذا، إني قد رأيت أشخاصًا نالوا كل المواهب الروحية وكانوا شركاء للروح ولكن لأنهم لم يصلوا إلى المحبة الكاملة فقد سقطوا. وأحد هؤلاء ـ وقد كان من النبلاء ـ رفض العالم وباع كل ممتلكاته وأطلق عبيده أحرارًا، ولأنه كان ذو حكمة وفهم، فقد نال شهرة كبيرة بسبب شدة تنسكه في الحياة. ولكنه ـ في نفس الوقت ـ كانت له أفكار عالية عن نفسه، وكان متكبرًا، ففي نهاية الأمر سقط في نجاسة فاضحة وآلاف أمور ردئية.

١٥ـ وإنسان آخر في زمن الاضطهاد، قدَّم جسده وصار معترفًا. ولما انتهي زمان الاضطهاد وأطلق حرًا صارت له شهرة عظيمة لأن جفون عينيه كانت محترقة. وأيضًا هذا الإنسان نال مجدًا كثيرًا من الناس وكانوا يطلبون صلواته وصار يأخذ منهم نقودًا وتقدمات ويعطيها لخادمه. وتغيرت أفكاره حتى صار كأنه لم يسبق له أن سمع كلمة الله. وآخر قدّم جسده في زمن الاضطهاد، وعلقوا جسده وجلدوه ثم ألقوه في السجن، وهناك كانت تخدمه إحدى الراهبات، وقد كوّن ألفة معها أثناء وجوده في السجن وسقط معها في الزنى. فانظر كيف أن الرجل الغنى، بعد أن باع كل ممتلكاته، وكذلك الذي قدَّم جسده للاستشهاد كلاهما يمكن أن يسقط.

١٦ ـ كان هناك ناسك حكيم، وكان يعيش معي في إقامة واحدة وكان يصلي معي، وكان غنيًا جدًا في النعمة حتى أنه حينما كان يصلي بجواري كانت تغمره الندامة والدموع، وكانت النعمة تغلي في داخله. وقد أعطى موهبة الشفاء، ولم يكن يطرد الشياطين فقط، بل كان يضع يديه على أولئك المربوطين والمعذبين بأمراض خطيرة فيشفيهم. ثم بعد ذلك بدأ يتهاون لأنه كان ينال مجدًا كثيرًا من العالم: وكان يجد متعة ولذة في هذا المجد، وصار منتفخًا. وسقط إلى أعماق الخطية. فأنظر كيف أن الذي كانت له موهبة الشفاء قد سقط. ألاّ ترى أنهم يسقطون قبل أن يصلوا إلى المحبة الكاملة. لأن الذي يصل إلى المحبة يؤسر منها ويسكر بها. إنه يغطس فيها ويُمسك أسيرًا في عالم آخر، وكأنه لا يعرف شيئًا عن طبيعته القديمة.

معنى " ما لم تره عين .. ":

١٧ـ سؤال: ما معنى الآية التي تقول: " ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر" (١كو٢:٩)؟

جواب: في ذلك الزمان كان الأبرار والعظماء والملوك والأنبياء يعرفون أن المسيح لابد أن يأتى. ولكنهم لم يكونوا يعرفون ولا كانوا قد سمعوا أنه سيتألم ويُصلب ويُسفك دمه على الصليب ولم يخطر على بالهم أنه ستكون هناك معمودية بالنار والروح القدس وأن في الكنيسة ستُقدّم تقدِّمة الخبز والخمر مثالاً لجسده ودمه، وأن أولئك الذين يتناولون الخبز المنظور سيأكلون جسد الرب روحيًا، وأن الرسل والمسيحيين سينالون المعزي " ويتأيدون بالقوة من الأعالى" (لو ٢٤:٤٩) ويمتلئون باللاهوت، وأن نفوسهم تمتزج بالروح القدس وتتشبع به، هذا لم يعرفه الأنبياء والملوك ولا خطر على قلبهم. والآن فإن المسيحيين يتمتعون بغنى عظيم يختلف عن غيره، وقلوبهم ممسوكة بشهوة اللاهوت، ولكن برغم كل ما يتمتعون به من فرح وتعزية فإنهم لا يزال عندهم، خوف ورعدة.

١٨ ـ سؤال : أي خوف ورعدة ؟

جواب: لئلا يتخذوا خطوة خاطئة، بل يظلون متوافقين مع النعمة. ومثل إنسان يملك كنوزًا كثيرة، ويسافر في رحلات حيث يوجد بعض اللصوص. فرغم أنه يفرح بغناه وكنوزه ولكنه يخاف لئلا يهاجمه اللصوص وينهبوه، ويكون كمن يحمل دمه على يديه. فأنظر ها نحن من جهة الأمور الخارجية، قد تخلينا جميعًا عنها وصرنا غرباء لا نملك شيئًا، وتركنا كل عشرة جسدية مع العالم. والآن حينما يكون الجسد في وضع الصلاة فإن الاخوة هم الذين يرون هل العقل أيضًا متحد مع الجسد ومشترك في الصلاة أم لا؟ فإنه في حالة العمال المهرة والبنائين في العالم، فإنهم يكونون مقيدين بجسدهم وعقلهم ليلاً ونهارًا في حرفتهم. فأنظر الآن جيدًا إلى نفسك: إنك متغرب بالنسبة للعالم، فهل عقلك متغرب عن العالم ولا يرتبط بأمور هذا العالم؟

إن كل إنسان في العالم، سواء كان جنديًاأو تاجرًا حيثما يكون جسده فإنه هناك يكون عقله وهناك يكون كنزه، كما هو مكتوب "حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضًا" (مت٦:١٢).

ما هو كنزك؟:

١٩ـ والآن ما هو الكنز الذي يميل إليه قلبك ويسعى إليه. هل هو يميل كلّية وتمامًا إلى الله أم لا؟ فإن لم يكن مائلاً إلى الله فأخبرني ما هو الذي يمنعك من ذلك، فبالتأكيد هناك الأروح الشريرة، أي الشيطان وجنوده الذين يجذبون العقل ويربطون النفس بالأغلال، لأن الشيطان ماكر جدًا وله حيل وخدع كثيرة من كل نوع، وهو يستولى على مراعي النفس وأفكارها ولا يدعها تصلي الصلاة الصحيحة وتقترب من الله. الطبيعة البشرية عندها القابلية لتكوين شركة مع الشياطين وأرواح الشر، كما أن عندها قابلية أيضًا لتكوين الشركة مع الملائكة والروح القدس، فمن الممكن أن تكون هيكلاً للشيطان أو هيكلاً للروح القدس.

والآن افحصوا عقولكم يا اخوة، مع من أنتم في شركة؟ هل مع الملائكة أم مع الشياطين؟ وأنتم هيكل لمن: هل أنتم مسكن لله أم للشيطان؟ وما هو الكنز الذي يملأ قلبك: هل النعمة أم الشيطان. وكمثل بيت قد امتلأ بالروائح الكريهة والقذارة، ينبغي أن يتم تنظيفه تمامًا ويُنسق ويمتلئ بكل رائحة طيبة وبكل الكنوز، لكي يأتي الروح القدس بدلاً من الشيطان ويجد راحة في قلوب المسيحيين.

٢٠ ـ وفي الحقيقة فإن الإنسان حينما يسمع كلمة الله لا يتحول في نفس اللحظة إلى جانب الصلاح. فلو أن مجرد الاستماع يجعله بين الصالحين لما كان هناك صراع أو أوقات حروب أو جهاد إذ أنه بمجرد سماعه فقط يتمتع براحة كاملة وبحالة سلام وكمال. ولكن حقيقة الأمر تختلف عن كل ذلك فإن الذين يظنون أن الأمور تسير هكذا إنما ينتزعون من الإنسان حرية اختياره وأيضًا ينكرون بذلك وجود قوة معادية تحارب ضد الإنسان. أما ما نقوله نحن فهو، إن الإنسان الذي يسمع الكلمة ويقبلها فإنها تقوده إلى التوبة، ثم بعد ذلك تنسحب النعمة قليلاً بتدبير عناية الله لأجل نمو الإنسان ومنفعته، فيدخل في التدريب ويتعلّم نظم الحرب، ويدخل في عراك وحرب ضد الشيطان وبعد كفاح طويل وعراك ينال الانتصار ويصير مسيحيًا. فلو كان مجرد الاستماع يجعل الإنسان من القديسين والصالحين لكان رجال اللهو وكل الزناة قد دخلوا إلى الملكوت والحياة الأبدية. ولكنهم لن يُعطى لهم هذا بدون توبة وجهاد لأن الطريق مستقيم وضيق (مت ٧:١٤) وفي هذا الطريق الكرب ينبغي أن نسير ونحتمل الشدائد بصبر وهكذا ندخل إلى الحياة.

الاختيار بين الصلاح والشر ـ مكافأة اختيار الصلاح:

٢١ ـ فلو أن النجاح الروحي ممكن بدون أي جهد، لما كانت المسيحية " حجر صدمة وصخرة عثرة" (رو٩:٣٣). ولما كان هناك إيمان وعدم إيمان. وبذلك فإنك تجعل من الإنسان مخلوق على الضرورة والإجبار، غير قادر على الاتجاه إلى الخير أو إلى الشر. والقانون يُعطى فقط لمن يستطيع أن يتجه لأي من الاتجاهين ـ يُعطى لمن له الحرية أن يدخل المعركة ضد القوة المعادية. ولا يمكن أن يوضع قانون لطبيعة تسير بالإجبار. إن الشمس والسماء والأرض لا تحتاج أن تُسن لها قوانين، فإن مثل هذه المخلوقات طبيعتها محكومة جبريًا، ولهذا السبب فإنها لا تنال مكافأة ولا عقاب.. إن المكافأة والمجد إنما هي مُعدة لمن يتجه إلى الصلاح، أما جهنم والعقاب فهي مُعدة لهذه الطبيعة المتغيّرة، التي في استطاعتها أن تهرب من الشر، وتلقى بكل كيانها إلى الجانب اليمين أى جانب الصلاح والخير. فإذا قلت إن الإنسان طبيعته غير متغيّرة فهذا يخالف حقيقة الواقع، ثم إنك تجعل الإنسان غير مستحق لأي مجد أو مدح من الله. فإن الذي هو صالح ورحوم بطبيعته، لا يستحق أي مدح على ذلك مع أن هذا (الصلاح والرحمة) أمر محبوب ومرغوب. إن من لا يصير في حالة الصلاح باختياره، لا يستحق المدح ، مهما كان الصلاح مرغوبًا فيه. إن المدح إنما يستحقه ذلك الإنسان الذي يقرر هو شخصيًا ويتعهد مع الله بتعب واحتمال أن يكون الصلاح هو اتجاهه الشخصي واختياره الحر.

قوة العقل تعادل قوة الشرير ـ الانتصار بقوة النعمة :

٢٢ـ فإذا كان معسكر الفرس في مواجهة معسكر الرومان فينبغي أن يخرج شاب مُجنح من كل معسكر منهما، لهما قوة متساوية ليصارعا في المعركة. فبالمثل فإن العقل البشري والقوة والمعادية هما متساويان في القوة في حربهما ضد بعضهما. فالشيطان يحث ويغري الإنسان لكي يتبعه، والإنسان له قوة معادلة ليرفض إيحاءاته ولا يطيعه بأي حال، وكل من الشر والخير يعمل عمله بالحث وليس الإجبار. ومعونة النعمة الإلهية تُعطى لمن يختار الصلاح بحريته، وبدخوله في المعركة فإنه ينال الأسلحة السماوية التي يستطيع بها أن يغلب الشر ويستأصله. أما أولئك الذين يقولون إن الخطية هي عملاق جبار والنفس هي كطفل صغير مخطئون فلو كان الأمر هكذا، حتى أن الخطية تكون قوة عملاقة، والنفس البشرية في قوة طفل صغير، فيكون الله حينئذ ظالمًا، بإعطائه للإنسان قانونًا أن يحارب ضد الشيطان.

أساس الطريق الإلهي :

٢٣ ـ إن أساس طريق الله هو هذا: الصبر الكثير، والرجاء، والاتضاع، ومسكنة الروح التي أوصانا بها الرب، هي مثل علامات ولافتات في الطريق الملوكي لإرشاد المسافرين إلى المدينة السماوية. لأنه يقول " طوبى للمساكين بالروح، طوبى للودعاء، طوبى لصانعي السلام" (مت٥:٣). وهذه هي المسيحية.

أما الذي لا يسير في هذا الطريق فإنه يضلّ إلى حيث لا طريق. ويكون قد بنى على غير أساس.

والمجد لتحننات الآب والابن والروح القدس إلى الأبد . آميين

العظة الثامنة والعشرون
حالة الإنسان بدون المسيح

وصف مصيبة النفس التي ـ بسبب الخطية ـ لا يسكن فيها الرب، والحزن والتأسف على حالة هذه النفس، وتشمل العظة أيضاً حديثاً يختص بيوحنا المعمدان، إنه لم يقم بين من المولودين من النساء من هو أعظم منه.

مصيبة النفس التي لا يسكن فيها المسيح :

١ ـ كما أن الله لما غضب على اليهود مرة، سلّم أورشليم إلى أعدائها " وتسلط عليهم مبغضوهم" (مز١٠٦: ٤١) ولم يعد فيها بعد ذلك لا عيد ولا تقدمة، هكذا أيضاً النفس البشرية التي غضب الله عليها بسبب عصيانها لوصيته، فسلّمها لأعدائها، أي للشياطين والشهوات، لأنه حينما أغواها هؤلاء الأعداء، أفسدوها تماماً وأهلكوها ولم يعد فيها أي عيد وفرح، ولم يرتفع فيها بخور أو تقدمة إلى الله. وعلاماتها وآثارها ضاعت ونسيت في الشوارع بينما الوحوش المرعبة وأرواح الشر الخبيثة وسكنت فيها.

كما أن البيت إذا لم يكن له صاحب يسكن فيه فإنه يكون مملوء ظلاماً وعاراً ويُساء استخدامه ويمتلئ بالأدناس والقذارة، هكذا النفس التي لا يكون الرب ساكناً فيها مع ملائكته، يقيم أعياداً وأفراحاً فيها، فإنها تمتلئ بظلمة الخطية وعار الشهوات وكل أنواع الخزي.

٢ ـ وكم هو مرعب ذلك الطريق الذي لا يسير فيه أحد، ولا يُسمع فيه صوت إنسان إذ أنه يصير مسكناً للوحوش ويا ويل النفس التي لا يسير فيها الرب، ولا يطرد بصوته وحوش الشر الروحانية منها! والويل للبيت الذي لا يسكن فيه السيد! والويل للأرض التي ليس لها فلاح يُفلّحها! والويل للسفينة التي ليس لها قائد، لأن الأمواج والزوابع تحملها وتتلفها.

ويا للأسف والويل على النفس التي لا يكون فيها المسيح هو الربان الحقيقي، فإنها توجد في بحر مرارة الظلمة المرعب وتلاطمها أمواج الشهوات وتصدمها وتضربها عواصف أرواح الشر وتنتهي بالهلاك.

الويل للنفس التي ليس لها المسيح ليفلّحها بعنايته لكي تأتى بثمار الروح الصالحة. لأن النفس إذ تبقى مقفرة قاحلة، وإذ تمتلئ بالأشواك والحسك تكون نهايتها حريق النار. ويا للأسف على النفس حينما لا يكون لها المسيح سيداً ساكناً

فيها، إذا أنها تكون مهجورة ومملوءة برائحة الشهوات الكريهة وتكون مسكناً للإثم.

٣ ـ وكما أن الفلاح حينما يذهب لفلاحة الأرض، ينبغي أن يأخذ معه الأدوات والملابس المناسبة للفلاحة، هكذا المسيح الملك ـ وهو الزارع السماوى الحقيقي ـ حينما جاء إلى البشرية التي كانت مقفرة بسبب الخطية، فإنه لبس الجسد وحمل الصليب أداة له، وهكذا فلّح النفس المقفرة وعمل فيها ونزع منها شوك وحسك أرواح الشر واقتلع زوان الخطية وأحرق بالنار كل أعشاب خطاياها. فإنه فلّحها بخشبة الصليب وزرع فيها فردوس الروح الفائق الجمال الذي يحمل كل ثمر حلو مقبول لدى الله صاحب النفس ومالكها.

٤ ـ وكما حدث في مصر في فترة الثلاثة أيام المظلمة، أن الابن لم يكن يرى أبيه، ولا الأخ أخاه ولا الصديق صديقه، بسبب أن الظلمة غطتهم، هكذا أيضاً حينما تعدّى آدم الوصية وسقط من حالة مجده الأول وصار تحت سلطان روح العالم، غطى حجاب الظلمة نفسه. ومنذ ذلك الوقت وإلى أن جاء آدم الأخير (١كو١٥: ٤٦) الذي هو الرب فإن الإنسان لم يكن يرى أباه السماوي الحقيقي ولا أمه الصالحة الرحيمة، التي هي نعمة الروح، ولا أخاه الحلو المحبوب الذي هو الرب يسوع، ولا أصدقاءه وأقرباءه أي الملائكة القديسين الذين كان يفرح معهم سابقاً ويهلّل ويعيّد.

انفتاح العيون الداخلية :

ولكن ليس فقط إلى يوم أن جاء آدم الأخير بل وحتى إلى هذا اليوم فإن أولئك الذين لم تشرق عليهم " شمس البر" (ملاخى٤: ٢)، أي المسيح، والذين لم تنفتح عيون نفسهم وتستنير بالنور الحقيقي، لا يزالون تحت نفس ظلمة الخطية وتحت نفس تأثير الشهوات وهم تحت العقاب بعينه، إذ ليس لهم إلى الآن عيون لينظروا بها الآب.

٥ ـ ينبغي على كل واحد أن يعرف هذا الأمر ويتحقق منه، إنه توجد عيون داخلية أعمق من هذه العيون الطبيعية ويوجد سمع أعمق من هذا السمع. وكما أن هذه العيون الجسدية تنظر وجه الصديق أو المحبوب وتتعرّف عليه فإن عيون النفس ـ المستحقة المؤمنة بسبب نوالها الاستنارة الروحية بنور الله ـ تنظر الصديق الحقيقي الذي هو العريس المحبوب جداً والحلو جداً أي الرب، وتتعرف عليه، إذ تكون النفس مملوءة ومشمولة بإشراق الروح الممجّد. وهكذا إذ ترى بالعقل ذلك الجمال المُشتهى والذي لا يمكن التعبير عنه فإن النفس تُجرح بشهوة الحب الإلهى وتتجه إلى كل فضائل الروح وتسير فيها وهكذا تمتلك حباً ـ لا يُحدّ ولا يسقط ـ للرب الذي تشتاق إليه.

صوت يوحنا المعمدان ـ وكرازة الرسل:

وماذا يمكن أن يكون أكثر غبطة من الصوت الخالد ليوحنا عندما يشير إلى الرب أمام عيوننا قائلاً: " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ١:٢٩).

٦ ـ حقاً " من بين المولودين من النساء ليس أعظم من يوحنا المعمدان" (مت١١:١١) فإنه هو تكميل الأنبياء وخاتمتهم جميعاً. كل الأنبياء تنبأوا عن الرب وأشاروا من بعيد إلى مجيئه، أما يوحنا فتنبأ عن المخلّص وأظهره أمام عيون الجميع صارخاً بصوتٍ عالٍ وقائلاً: " هوذا حمل الله" (يو ١:٢٩). فما أحلى وأجمل صوت ذلك الذي يُظهر المخلّص مباشرة ويعلنه مبشراً به! إنه لا يوجد أعظم من يوحنا في مواليد الناس. " ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه" (مت١١:١١) أي المولودين من الله من فوق أي الرسل، الذين نالوا باكورة الروح المعزي. ولأنهم حُسبوا أهلاً لأن يكونوا شركاء معه في الدينونة، فهم يجلسون معه في عرشه. وهم قد جُعلوا محررين ومنقذين للناس. فتجدهم يشقون بحر القوات الشريرة ويخرجون نفوس المؤمنين، وتجدهم فلاحين في كرم النفوس. وتجدهم أصدقاء للعريس، يخطبون النفوس للمسيح، كما يقول الرسول: " إنى خطبتكم لزوج واحد" (٢كو١١:٢) وتجدهم يوصلون الحياة للناس. وبالاختصار تجدهم بطرقٍ كثيرة وأنواع مختلفة يخدمون الروح. هذا هو الصغير الذي هو أعظم من يوحنا المعمدان.

٧ ـ وكما أن الفلاح يقود زوج البقر مربوطاً بنير لكي يحرث الأرض، هكذا الرب يسوع الفلاح الصالح الحقيقي يقود الرسل معاً اثنين اثنين وقد أرسلهم لكي يُفلّح ويحرث بهم أرض أولئك الذين يسمعون ويؤمنون حقيقةً. ولكن ينبغي أن نقول أيضاً إن ملكوت الله وكرازة الرسل ليست في الكلمة التي تُسمع فقط، مثل إنسان يعرف الكلمات ويستطيع أن يتكلم ويُسمّعها للآخرين، بل إن الملكوت هو قوة وعمل الروح. وهذا ما حدث للأسف لبني إسرائيل الذين كانوا يدرسون الكتب المقدسة وكان الرب هو موضوع دراستهم ولكن لعدم نوالهم الحق نفسه، نُقل الميراث منهم إلى آخرين. هكذا أولئك الذين يشرحون كلمات الروح للغير، بينما هم أنفسهم لا يملكون الكلمة بقوة الروح، فإن الميراث يُنقل منهم إلى آخرين. والمجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين

العظة التاسعة والعشرون
تدبيرات نعمة الله

إن الله يعمل بتدبيرات نعمته في جنس البشر بطريقتين ، قاصداً أن يحصل في النهاية على ثمرات نعمته.

١ ـ إن حكمة الله، لا نهاية لها وتفوق الفهم ولذلك فإنها تعمل بتدبيرات النعمة نحو جنس البشر بما يفوق الفهم ويفوق الفحص وذلك بطرق متنوعة لأجل

امتحان إرادة الإنسان الحرة، حتى بذلك يظهر أولئك الأشخاص الذين يحبون الله بكل قلبهم والذين يحتملون بصبر كل نوع من الأخطار والأتعاب من أجل الله .

البعض ينالون النعمة ويتقدمون حالاً :

فالبعض تأتيهم نِعم ومواهب الروح القدس مقدماً وهم يتقدمون حالاً في الإيمان والصلاة، بدون جهد أو عرق أو تعب وهم موجودون في وسط العالم. ويعطيهم الله النعمة هكذا ليس باطلاً ولا في غير وقتها ولا بمجرد المصادفة، ولكنه يعطيها بحكمة تفوق الوصف وتفوق الفهم وذلك لكي يمتحن الاختيار وحرية الإرادة لأولئك الذين قد نالوا نعمة الله بهذه السرعة، وهل شعروا وقدّروا الفائدة وأحسوا بصلاح الله وحلاوته التي أظهرت حسب قياس النعمة الموهوبة لهم بدون أي مجهودات من جانبهم والتي حُسبوا أهلاً أن ينالوها؟ وفي مقابل هذه النعمة ينبغي أن يُظهروا غيرةً واجتهاداً ويركضون في الميدان ويجاهدون ويحملون ثمر الإرادة والعزم والحب وأن يردوا للرب مقابل المواهب الروحية التي نالوها بأن يعطوا ذواتهم ويسلّموها تماماً لمحبة الرب، وبأن يتمّموا مشيئته وحدها وبأن يتخلوا تماماً عن كل هوى جسدي.

البعض الآخر تتأخر عليهم النعمة :

٢ ـ وهناك آخرون، الذين رغم انهم تركوا هذا العالم وتخلّوا عنه بحسب الإنجيل، ويصرفون وقتهم في صلاة مستمرة وصوم وسهر وبقية الفضائل، فإن الله لا يعطيهم النعمة في الحال ولا الراحة ولا فرح الروح بل يتأنى ويؤخر موهبته لهم. وهذا يفعله الله، ليس عبثاً ولا بدون قصد ولا مصادفة، بل بحكمة تفوق الوصف، لأجل امتحان إرادتهم، لكي يرى إن كانوا قد حسبوا الله أميناً " وحسبوا الذي وعد صادقاً" (عب١١:١١)، أن يعطى الذين يسألون ويفتح باب الحياة لأولئك الذين يقرعون، ولكي يرى إن كانوا بعد إيمانهم بكلمته بالحق، هل يصبرون ويستمرون إلى النهاية في ملء ثقة الإيمان والاجتهاد، يسألون ويطلبون ولا تخور قلوبهم أو يتراجعون، وبعدم إيمان وبدون رجاء يحتقرون الهدف ولا يثبتون إلى النهاية لأن الله قد أخر ميعاد موهبته، وأيضاً لأجل امتحان إرادتهم وقصدهم.

٣ ـ فإن الذي لا ينال النعمة سريعاً بسبب تأنى الله فإنه يشتعل شوقاً أكثر ويزداد رغبة في الخيرات السماوية. ويزداد كل يوم اشتياقاً واجتهاداً، ويزداد ركضاً وسعياً ويزداد في كل فضيلة ويظهر جوعاً وعطشاً إلى ما هو صالح ولا يتعوّق بسبب الإيحاءات التي تتحرك في نفسه، ولا يتحوّل إلى الاحتقار واليأس وعدم الصبر، ومن الجهة الأخرى فإنه لا يسلّم نفسه إلى الكسل تحت ستار التظاهر بالصبر قائلاً مثلاً: " في يوم أو آخر سأحصل على نعمة الله" ومن هنا تغويه الخطية وتقوده إلى التغافل والإهمال.

ولكن مادام الرب في تأخيره للموهبة إنما يتأنى بمحبة ممتحناً إيمانه ومحبته، فينبغي على الإنسان نفسه أن يكون أكثر حرصاً واجتهاداً ولا يكلّ أو يفشل بل يطلب عطية الله إذ أنه قد وثق في ذاته بأن الله صادق ولا يمكن أن يكذب، فهو الذي وعد أن يعطى نعمته لأولئك الذين يطلبون بإيمان بكل صبر إلى النهاية.

أمانة الله وفحص النفس :

٤ ـ لأن الله أمين وصادق في تعامله مع النفوس المؤمنة الأمينة، أي مع أولئك " الذين ختموا أن الله صادق" (يو٣:٣٣) حسب الكلمة الصادقة. لذلك فبحسب هذه البصيرة الإيمانية في داخلهم، يفحصون نفوسهم ليروا إن كانوا ناقصين من جهتهم في أي ناحية من النواحى: في الجهد، في السعي، في الغيرة والاجتهاد، أم في الإيمان أم المحبة أو بقية اتجاهات الفضيلة، وبفحصهم لنفوسهم بكل تدقيق فإنهم يغصبون أنفسهم بأقصى طاقة عندهم لكي يرضوا الرب، إذ سبق أن آمنوا ووثقوا تماماً أن الله إذ هو صادق وأمين لن يحرمهم من موهبة الروح إن ظلوا إلى النهاية يخدمون الرب ويعبدونه بكل اجتهاد وينتظرونه، وأنهم سينالون النعمة السماوية الممنوحة لهم، وهم لا يزالون في الجسد وينالون الحياة الأبدية.

كل حبهم نحو الرب :

٥ ـ وهكذا فإنهم يوجّهون كل حبهم نحو الرب رافضين كل شيء آخر وناظرين إليه وحده برغبة كبيرة وجوع وعطش كثير. وينتظرون دائماً قوة النعمة المُنعشة والمعزية. وهم لا يطلبون بإرادتهم تعزية وانعاشاً من أي شيء في هذا العالم ولا يرتبطون به، بل يرفضون دائماً الإغراءات المادية وينتظرون المعونة والحماية والتأييد من الله وحده، وفي هذه الحالة يكون الرب نفسه حاضراً بطريقة خفيّة مع هذه النفوس التي تأخذ على عاتقها هذا النوع من الاجتهاد وعزم القلب والاحتمال، ويساعدهم ويحفظهم، ويثبتهم في كل ثمر الفضيلة. كل هذا يحدث رغم أنهم يجدون أنفسهم معرّضين للصراع ورغم أنهم لم يتزينوا بعد بيقين الحق ولم تظهر لنفوسهم حالة الحصول على نعمة الروح وانعاش الموهبة السماوية ولم يختبروها اختباراً كاملاً بكل ملئها، وهذا يحدث حسب حكمة الله التي تفوق التعبير وأحكامه التي تعلو الفحص، التي بها يمتحن النفوس المؤمنة بطرق متنوعة بقصد أن يُحضرهم إلى محبة كاملة بملء حريتهم واختيارهم.

ليس عند الله محاباة:

فإنه توجد حدود ومقاييس ومراحل للاختيار الحرّ ولقصد المحبة ولاتجاه العقل لطاعة كل وصاياه المقدسة بأقصى ما هو مستطاع، وحينما تملأ النفوس مكيال محبتها وطاعتها فإنها تُحسب أهلاً للملكوت والحياة الأبدية.

٦ ـ لأن الله عادل وعادلة هي أحكامه، وليس عنده محاباة، ويُحاسب كل واحد بحسب النِعم المختلفة التي قد منحها للبشر ـ سواء كانت خاصة بالجسد أو بالروح، أو كانت خاصة بالمعرفة أو الفهم أو التمييز، وهو يطلب ثمار الفضيلة على حسب ما أعطى كل واحد، وهو سيعطى كل واحد حسب ما يستحقه بحسب أعماله في يوم الدينونة. إنه سيأتى كما يخبرنا الكتاب " وسيجازى كل واحد حسب أعماله" (رو٢:٦) والأقوياء يُعذبون عذاباً شديداً لأن " الرحمة تغفر للمتواضعين" (الحكمة٦:٦). ويقول الرب: " أما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرب كثيراً، ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يُضرب قليلاً، فكل من أُعطى كثيراً يُطلب منه كثير ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر" (لو ١٢:٤٧و٤٨). ولكن المعرفة والفهم هي أنواع مختلفة، سواء كانت بحسب النعمة وموهبة الروح السماوية أو بحسب الذكاء والتمييز الطبيعي، وبحسب التعلّم من الكتب الإلهية. وكل إنسان يكون مسئولاً عن ثمار الفضيلة بحسب نسبة ما مُنح له من الله سواء ما مُنح له طبيعياً أو ما أُعطى له بنعمة الله.

لذلك فكل إنسان هو بلا عذر أمام الله في يوم الدينونة، لأن كل شخص سيُعطى جواباً عن إرادته وقصده ـ بحسب ما قد عرفه ـ لكي يثمر ثمار الإيمان والمحبة وكل فضيلة أخرى في علاقته بالله سواء كانت معرفته عن طريق سماع كلمة الله أو عن طريق آخر.

٧ ـ إن النفس الأمينة المُحبة للحق تتطلع إلى البركات الأبدية المحفوظة للأبرار، وإلى المعونة التي لا يُنطق بها، أي معونة النعمة الإلهية التي تحلّ علينا. ولذلك تعتبر نفسها وكل جهدها وآلامها وتعبها أنها ليست شيئاً بالمقارنة بمواعيد الروح التي تفوق الوصف.

ومثل هذا الإنسان هو المسكين بالروح الذي أعلن الرب أنه مغبوط ومُطوب، هذا هو الذي يجوع ويعطش إلى البرّ (مت٥:٣،٦) هذا هو المنسحق القلب.

وأولئك الذين يأخذون على عاتقهم هذا القصد، والعزم والاجتهاد والتعب والاشتياق إلى الفضيلة ويثبتون في هذا إلى النهاية، فإنه يُوهب لهم أن يحصلوا على الحياة والملكوت الأبدي بالحق. لذلك فلا يتشامخ إذن أحد من الأخوة، على أخيه، أو يرتئي عن نفسه رَأياً منتفخاً، بتأثير خداع الخطية لكي يفكر قائلاً مثلاً: " إنى قد حصلت على موهبة روحية " لأنه لا يليق بالمسيحيين أن يفكروا هكذا فأنت لا تعرف ماذا سيكون حاله في الغد وأنت تجهل ماذا ستكون نهايته وماذا تكون نهايتك، بل ليحترس كل واحد لنفسه ويمتحن ضميره في كل حين ويختبر حركات قلبه من جهة اجتهاده وسعيه من الداخل بكل قلبه إلى الله ويتطلّع نحو الهدف الكامل هدف الحرية والتحرر من الشهوات والحصول على سلام الروح، وليكمل سعيه بدون توقف وبلا تكاسل بحيث لا يتكل أبداً على أي عطية روحية ولا على أي

برّ حصل عليه. والمجد والكرامة والسجود للآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين

العظة الثلاثون
الولادة من الروح القدس

إن النفس التي تريد الدخول إلى ملكوت الله ، ينبغي أن تُولد من الروح القدس. وكيفية تحقيق ذلك.

فاعلية كلمة الله :

١ ـ أولئك الذين يسمعون الكلمة يجب عليهم أن يعطوا برهاناً على عمل الكلمة وفعلها في نفوسهم. فكلمة الله ليست فارغة بل لها عملها وفعلها الخاص في النفس. لهذا السبب تُسمى الكلمة أحياناً "عمل أو صنع" وذلك نظراً "للعمل" الذي توجده في السامعين. فليت الرب ينعم بعمل الحق في السامعين لكيما توجد الكلمة مثمرة فيهم. فكما أن الظل يسير أمام الجسد، ومع ذلك فالظل يُظهر الجسد، بينما الجسد نفسه هو الحقيقة وليس الظل، هكذا الكلمة هي مثل ظل حق المسيح. ولكن الكلمة تسير قدام الحق (فالكلمة تُظهر حقيقة المسيح).

الولادة الجسدية والولادة من الروح :

إن الآباء الذين على الأرض يلدون أولاداً من طبيعتهم، من جسدهم ونفسهم وبعد ولادتهم يربونهم بعناية واجتهاد لأنهم أولادهم، إلى أن يصيروا رجالاً كاملين، وخلفاءً ووراثين لهم. فإن الهدف من كل عناية الوالدين منذ البداية هو أن يكون لهم أولاداً وورثة، فإذا لم يلدوا أولاداً يكون عندهم حزن وغمّ عظيم، أما إذا صار لهم أولاد فإنه يصير لهم فرح عظيم. وأيضاً فإن أقرباءهم وجيرانهم يفرحون كذلك معهم.

٢ ـ وبنفس الطريقة فإن ربنا يسوع المسيح إذ اهتم بخلاص البشر استخدم منذ البداية كل تدبير عنايته بواسطة الآباء، والبطاركة والناموس والأنبياء، وفي النهاية جاء هو بنفسه واستهان بعار الصليب واحتمل الموت. وكان كل جهده وتعبه هذا وعنايته إنما من أجل أن يلد من ذاته، ومن طبيعته أولاداً بالروح، إذ سُرّ بأنهم يجب أن يولدوا من الروح من فوق، أي من لاهوته. وكما أن أولئك الآباء الذين لا يلدون أولاداً يحزنون، كذلك فإن الرب الذي أحب جنس البشر لأنهم على صورته، أراد أن يلدهم من زرع لاهوته الخاص، ولذلك فإن أي واحد منهم يريد أن يأتي إلى هذه الولادة لكي يُولد من بطن روح اللاهوت، فإن حزن المسيح يكون عظيماً بعد كل الآلام التي عاناها لأجلهم واحتملها كثيراً لكي يخلصهم.

٣ ـ لأن الرب يريد أن ينال كل الناس امتياز هذه الولادة. فهو مات لأجل الكل ودعا الكل إلى الحياة. ولكن الحياة هي الولادة من فوق من الله وبدون هذه الولادة لا تستطيع النفس أن تحيا. كما يقول الرب " إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يو٣:٣).

وهكذا، فمن الناحية الأخرى، فإن كل الذين يؤمنون بالرب ويأتون ويقبلون امتياز هذه الولادة، فإنهم يكونون سبب فرح وسرور عظيم في السماء لوالديهم الذين ولدوهم، وكل الملائكة والقوات المقدسة أيضاً تفرح بالنفس التي تُولد من الروح وتصير هي نفسها روحاً.

فإن هذا الجسد هو مثال ومشابه للنفس، والنفس هي صورة الروح، وكما أن الجسد بدون النفس ميت، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً بالمرة، كذلك فإن بدون النفس السماوية ـ أي بدون الروح الإلهي تكون النفس ميتة عن الملكوت ولا قدرة لها على أن تعمل شيئاً من أمور الله بدون الروح.

رسم صورة المسيح في النفس بالتفرّس فيه دائماً :

٤ ـ كما أن الرسام يتفرّس في وجه الملك أولاً ثم بعد ذلك يرسمه، وحينما يكون وجه الملك متجهاً نحو الرسام الواقف أمامه لكي يرسمه فحينئذٍ يرسم الصورة بسهوله وتكون حسنة جداً، ولكن إذا حوّل الملك وجهه بعيداً لا يستطيع الرسام أن يرسم، لأن الوجه ليس في مواجهته ، كذلك يفعل المسيح ـ الفنان الصالح ـ في أولئك الذين يؤمنون به ويتطلعون إليه ويُثبّتون نظرهم فيه دائماً . فإنه سرعان ما يرسم إنساناً سماوياً على صورته. فمن روحه ومن جوهر النور نفسه ـ النور غير الموصوف ـ يرسم صورة سماوية، وينعم على النفس بعريسها الصالح الذي يفيض بالنعمة والجمال، فإن كان الإنسان لا ينظر إليه ويتفرس فيه دائماً، ويغفل كل شيء آخر، فإن الرب لا يرسم صورته بواسطة نوره الخاص. لذلك ينبغي أن ننظر إليه ونتفرس فيه، ونؤمن به ونحبه، ونرذل كل شيء غيره، ونأتي أمامه لكيما يرسم صورته السماوية، ويرسلها إلى داخل نفوسنا، وهكذا إذ نلبس المسيح، فإننا ننال الحياة الأبدية ونحصل على يقين تام ـ هنا ومنذ الآن ـ وندخل إلى الراحة.

٥ ـ وكما أن العملة الذهبية إن لم تُطبع عليها صورة الملك لا يتم التعامل بها في السوق، ولا تُخزن في الخزانة الملكية، بل تُطرح خارجاً، كذلك النفس إن لم تحصل على صورة الروح السماوي في النور الذي لا يُنطق به، أي لن ينطبع عليها المسيح نفسه، لا تكون لائقة للخزائن السماوية، بل يطرحها جانباً تجار الملكوت المهرة، الذين هم الرسل. فإن ذلك الذي دُعي ولم يكن لابساً لباس العرس طُرد خارجاً كغريب إلى الظلمة الخارجية، لكونه لم يكن لابساً الصورة السماوية. هذه هي علامة الرب وختمه المطبوع على النفوس ـ أي روح النور الذي لا يُنطق به،

وكما أن الإنسان الميت هو بلا نفع ولا فائدة لأهل المكان، لذلك فإنهم يحملونه خارج المدينة ويدفنونه، هكذا النفس التي لا تحمل الصورة السماوية، صورة النور الإلهي التي هي حياة النفس، فإن هذه النفس تُطرد خارجاً، لأن النفس الميتة هي بلا فائدة لمدينة القديسين، لأنها لا تحمل الروح الإلهي المنير. فكما أنه في هذا العالم، تكون النفس هي حياة الجسد هكذا ففي العالم الأبدي السماوي فإن الروح الإلهي هو حياة النفس. وبدون روح الحياة فإن النفس تكون ميتة ولا نفع فيها لسكان العالم السماوي.

طلب الروح القدس حياة النفس :

٦ ـ لذلك من يريد أن يؤمن بالرب ويأتي إليه ينبغي أن يطلب ويتوسل لأجل نوال الروح الإلهي هنا على الأرض، فإن ذلك الروح هو حياة النفس ولهذا السبب جاء الرب إلى العالم، لكي ما يعطى الحياة للنفس هنا على الأرض أي يعطيها روحه. لذلك يقول " مادام لكم النور آمنوا بالنور، يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل" (يو ١٢:٣٦، ٩:٤). لذلك فأي إنسان لا يطلب الحياة بينما هو على الأرض ولا ينال حياة لنفسه التي هي نور الروح الإلهي، فإنه حينما يخرج من الجسد يُنقل بعيداً إلى مناطق الظلمة التي على اليسار ولا يدخل ملكوت السموات، إذ تكون نهايته في الجحيم مع إبليس وملائكته (مت٢٥:٤١).

وكما أن الذهب والفضة إذا ألقيا في النار يصيران أكثر نقاوة وصفاء ولا يلحقهما ضرر، (مثلما يحدث للخشب أو القش)، بل هما أي الذهب والفضة المحميان بالنار يلتهمان كل ما يقترب منهما، إذ يصيران هما أيضاً ناراً ـ هكذا النفس فإنها بطول إقامتها في نار الروح وفي النور الإلهي لا يصيبها أذى من أحد الأرواح الشريرة بل إن اقترب أحدها منها يحترق بنار الروح السماوية.

وكما أن الطير إذا طار عالياً لا يقلق ولا يخاف من الصيادين أو الوحوش المفترسة لأنه في العلو يأمن منهم جميعاً، كذلك النفس تنال أجنحة الروح وتطير إلى الأعالي السماوية فإنها تكون فوق كل شيء، وتهزأ بجميع أعدائها الذين هم تحتها.

٧ـ وفي اليوم الذي شق فيه موسى البحر، عبر إسرائيل حسب الجسد، من تحته، وأما هؤلاء (المسيحيون أبناء العهد الجديد) فلكونهم أبناء الله فإنهم يسيرون فوق بحر المرارة، بحر القوات الشريرة. إذ إن جسدهم ونفسهم قد صارت هي بيت الله.

آدم والإنسان الجريح والمائت:

وفي ذلك اليوم الذي سقط فيه آدم جاء الله ماشياً في الجنة وبكى حينما رأى آدم وكأنه قال " بعد هذه الخيرات التي أعطيتك، ما هذه الشرور التي ارتكبت، وبعد

كل المجد أي عار أنت تلبسه الآن، كم أنت مظلم الآن وقد صار منظرك قبيحاً، وأي فساد أنت فيه. وبعد هذا النور أي ظلام قد غطاك!" ...

وحينما سقط آدم ومات (بانفصاله عن) الله، حزن عليه خالقه، والملائكة وكل القوات والسموات والأرض وكل المخلوقات ناحت على موته وسقوطه، لأنهم رأوا ذلك الذي أعطى لهم ليكون ملكاً عليهم، قد صار عبداً لقوة معادية شريرة. ولذلك اكتسى آدم بالظلمة في نفسه، ظلمة مرة وشريرة لأنه صار خاضعاً لرئيس الظلمة. هذا هو الذي يشير إليه ذاك الذي جرحه اللصوص، "وتركوه بين حي وميت بينما كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا" (لو١٠: ٣٠).

٨ ـ ولعازر أيضاً، الذي أقامه الرب، الذي أنتن حتى لم يقدر أحد أن يقترب من القبر، كان رمزاً إلى آدم، الذي صارت نفسه في عفونة، وامتلأت سواداً وظلاماً.

أما أنت، فحينما تسمع عن آدم، وعن الإنسان الذي جرحه اللصوص وعن لعازر، فلا تدع عقلك يذهب بعيداً إلى الجبال، بل تعال إلى باطنك إلى داخل نفسك، لأنك أنت نفسك تحمل نفس الجروح، وفيك نفس العفونة، ونفس الظلام. فنحن جميعاً أبناء آدم ومن نفس الجنس المُظلم، وجميعاً مشتركون في نفس النتانة. فالداء الذي عانى منه آدم، نعانى منه نحن جميعاً الذين من زرع آدم. لأن الداء الذي حلّ بنا هو الذي يقول عنه إشعياء " لا يوجد إلاّ جراح وقروح وضربات ملتهبة لا تُشفي، ولا يمكن أن تُعصب، أو تُداوى أو تلين بالزيت" (إش١: ٦س).

لذلك فالجرح الذي جُرحنا به لم يكن له علاج، والرب وحده هو الذي استطاع أن يشفيه. لهذا السبب جاء الرب بنفسه، لأنه لم يستطع أحد من الأقدمين، ولا الناموس نفسه ولا الأنبياء، أن يقوموا بشفاء هذا الجرح. بل الرب وحده بمجيئه إلينا شفي جرح النفس، ذلك الجرح العديم الشفاء.

قبول المسيح ليدخل ويستريح فينا ونستريح فيه :

٩ ـ فلنقبل إذاً إلهنا وربنا ـ الشافي الحقيقي ـ الذي يستطيع وحده أن يأتي ويشفي نفوسنا، بعد أن تعب وتألم كثيراً جداً لأجلنا. فهو يقرع دائماً أبواب قلوبنا، لكي نفتح له، لكي يدخل إلى داخلنا ويستريح في نفوسنا، ولكي نغسل وندهن قدميه، ولكي يجعل هو إقامته فينا. فالرب ـ في تلك الفقرة من الإنجيل (لو٧: ٤٤) يوبخ الرجل الذي لم يغسل قدميه. وفي موضع آخر يقول " ها أنا واقف على الباب وأقرع ، إن فتح لي أحد فإني أدخل إليه" (رؤ٣: ٢٠) فلأجل هذه الغاية احتمل هو آلاماً كثيرة، مقدماً جسده للموت، ليفتدينا من العبودية، لكيما يأتي إلى نفوسنا ويجعل إقامته فيها. فلهذا السبب يقول الرب للذين عن يساره، في يوم الدينونة، والذين يُرسلون إلى جهنم مع الشيطان: " كنت غريباً فلم تأووني، جوعاناً فلم تطعموني عطشاناً فلم تسقوني" (مت٢٥: ٤٢، ٤٣). فإن طعامه وشرابه وكساءه ومأواه وراحته، هي في نفوسنا، لذلك فإنه دائماً يقرع طالباً الدخول إلينا. فلنقبله

إذن وندخله إلى داخل نفوسنا، لأنه هو طعامنا وشرابنا وحياتنا الأبدية، وكل نفس لا تقبله الآن في داخلها وتعطيه راحة، أو بالحرى لا تجد راحة فيه، فليس لها ميراث في ملكوت السموات مع القديسين، ولا تستطيع الدخول إلى المدينة السماوية.
فلتدخلنا أنت يارب يسوع المسيح إلى ملكوتك، ممجدين أسمك مع الآب والروح القدس إلى الأبد. آمين

العظة الحادية والثلاثون
تغيير الذهن والصلاة الحقيقية

" في أنه ينبغي أن المؤمن يتغير في ذهنه، ويجمع أفكاره كلها في الله. فإنه في هذا تتركز كل خدمة الله".

تغيير القلب :

١ ـ ينبغي على المؤمن أن يتوسل إلى الله لكي يغيّره في كل اتجاهاته وأغراضه بتغيير قلبه، من المرارة إلى الحلاوة وأن يتذكر كيف شفي الرجل الأعمى، وكيف حصلت المرأة نازفة الدم على الشفاء بلمسها ثوب المسيح وهو الذي سبق أن غيّر طبيعة الأسود المفترسة، وحوّل طبيعة النار، فإن الله هو الصلاح الذي لا مثيل له والخير الأعلى، وينبغي أن تُجمع فيه ونحوه عقلك وأفكارك ولا تفكر في شيء آخر، سوى أن تنتظره وتنظر إليه برجاء وثقة.

٢ ـ لذلك فلتكن النفس مثل ذلك الإنسان الذي يجمع الأطفال الضالين معاً، وهكذا تجمع النفس الأفكار التي شتتتها الخطية وتؤنبها بشدة. وتقود الأفكار للرجوع إلى بيتها، وهى تنتظر الرب دائماً بالصوم والمحبة لكي يأتي إليها ويجمع الأفكار حقاً. وحيث إن المستقبل غير مضمون، لذلك ينبغي على المؤمن أن يضع رجاءه بالأكثر في قائده، ويكون مملوءً بالرجاء الصالح، ويتذكر كيف أن راحاب وهى تعيش بين الغرباء آمنت بإله إسرائيل وحُسبت مستحقة أن تشترك في امتياز شعب الله القديم، بينما الإسرائيليون أنفسهم تحوّلوا بعواطفهم ورجعوا بقلوبهم إلى مصر. لذلك فكما أن راحاب لم يصبها أي أذى وهى تسكن بين الغرباء، بل إن إيمانها أعطاها نصيباً في ميراث الإسرائيليين، هكذا الخطية لن تؤذى أولئك الذين بالرجاء والإيمان ينتظرون الفادي الذي حينما يأتي إليهم فإنه يغيّر أفكار النفس ويجعلها إلهية وسماوية، وصالحة، ويعلم النفس الصلاة التي بلا تشتت أو زيغان. أنظر قول الرب " لا تخف أنا أسير أمامك والهضاب أمهد، أكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف" (إش٤٥:٢). ويقول أيضاً " أحذر أن يكون في قلبك فكر شر خفي، ولا تقل في قلبك هؤلاء الشعوب أكثر منى وأقوى" (تث١٥:٩، ٧:١٧).

٣ ـ فإذا لم تنحل نفوسنا بالتكاسل، وبإعطاء مراعى عقولنا لأفكار الخطية المشوشة، بل بالعكس نجذب عقولنا بإرادتنا ونغصب أفكارنا إلى الرب، فإنه بلا شك يأتى إلينا ويجمعنا إليه بالحق.

انتظار الرب في الداخل :

إن كل ما يرضى الله وكل خدمة تُقدم له إنما هي موجودة في القلب. لذلك اجتهد أن ترضى الرب ناظراً إليه كل حين ومنتظراً إياه في داخلك، وفتش عنه في أفكارك واغتصب إرادتك وقصدك لتتجه وتمتد دائماً نحوه وحينئذ ستنظر كيف يأتي إليك ويصنع عندك منزلاً (يو ١٤: ٢٤). فبقدر ما تجمع عقلك لتطلبه فإنه يتنازل إليك بحنان أكثر جداً وصلاح فائق ورحمة ويأتى إليك ويعطيك راحة وبهجة، إنه يقف ناظراً إلى عقلك وأفكارك ورغباتك، ويرى كيف تطلبه، هل تطلبه حقيقة بكل نفسك بلا تغافل وبلا إهمال؟

٤ ـ وحينما ينظر غيرتك في طلبه، فإنه حينئذٍ يُظهر ويكشف نفسه، ويعطيك معونته الخاصة ويجعل لك النصرة وينقذك من أعدائك. وهو إذ ينظر أولاً كيفية طلبك له وانتظارك إياه بكل قلبك برجاء لا ينقطع نحوه، فإنه حينئذ يعلمك ويعطيك الصلاة الحقيقية والمحبة الحقيقية التي هي الرب نفسه الذي يصير لك في داخلك كل شيء: الفردوس، وشجرة الحياة، واللؤلؤة الكثيرة الثمن، والإكليل، والباني، والزارع، والمتألم، والذي لا يتألم، والإنسان، والإله، والكرمة، والماء الحي، والعريس، والمحارب، والسلاح، المسيح الكل في الكل.
وكما أن الطفل لا يعرف أن يعتني بنفسه أو يعمل أموره بنفسه ولكنه يتطلّع فقط إلى أمه ويصرخ ويبكى إلى أن تتحرك إليه بحنان وتحمله، هكذا النفوس المؤمنة فإنها تضع رجاءها في الرب وحده وتنسب كل بر إليه وحده. وكما أن الغصن يجف بدون الكرمة، وهكذا أيضاً من يشتهى أن يتبرر بدون المسيح. وكما أن السارق واللص هو الذي لا يدخل من الباب بل يطلع من موضع آخر، هكذا أيضاً الإنسان الذي يبرر نفسه بدون الذي يُبرّر.

لنقدم كل نياتنا وأفكارنا :

٥ ـ لذلك فلنأخذ جسدنا هذا ونجعله مذبحاً، ونضع عليه كل نياتنا وأفكارنا ، ونتوسل إلى الرب أن يرسل من السماء النار العظيمة غير المنظورة فتلتهم المذبح وكل ما عليه. ويسقط جميع كهنة البعل الذين هم القوات المضادة. وحينئذٍ سنرى المطر الروحاني آتياً إلى النفس مثل كف إنسان، وهكذا يتحقق فينا وعد الله كما هو مكتوب بالنبي " سأقيم وأبنى أيضاً خيمة داود الساقطة وسأبنى ردمها وأقيمها ثانية" (أع١٥: ١٦) حتى أن الرب برحمته ومحبته يُشرق على النفس التي تسكن في الليل والظلمة وفي سكر الجهالة، لكيما تستيقظ وتفيق إلى التعقّل وتسير بلا

تعثر، وتعمل أعمال النهار والحياة. فإن النفس تتغذى وتنمو من المصدر الذي تأكل منه، إما من العالم أو من روح الله، والله نفسه يجد غذاء في داخلها، ويحلّ فيها ويحيا ويجد راحة ويسكن فيها.

٦ ـ وبالاختصار، فإن كل واحد يمكنه، إذا شاء أن يختبر نفسه ويرى من أين يأخذ غذاءه وتنعمه، وأين يعيش، وفي أي حالة يجد نفسه، وهكذا إذ يدرك ذلك ويفهمه ويحصل على تمييز دقيق وحكم صحيح، يمكنه أن يسلّم نفسه تماماً للتحرك في اتجاه ما هو صالح.

انتبه لنفسك وأطلب قوة فعل المسيح :

وحينما تكون في الصلاة، فانتبه إلى نفسك، ولاحظ أفكارك والحركات التي تتحرك فيك، من أين تأتى؟ هل هي من الله أم من العدو؟ ومن الذي يمد قلبك بالغذاء، هل هو الرب أم ولاة العالم الذين لهذا الدهر؟ وحينما تكملين، أيتها النفس، هذا الامتحان وتعرفيه، فتوسلي إلى الرب برغبة واجتهاد لكي تحصلي على الغذاء السماوي والنمو، وعلى قوة فعل المسيح بحسب القول المكتوب " إن سيرتنا هي في السموات" (في٣: ٢٠). وليس ذلك في شكل أو رمز كما يتخيل البعض (بل حقاً في السموات).

وانظر، عقل وفهم أولئك الذين لهم فقط صورة التقوى، فإن فكرهم عن التقوى هو مثل العالم. وأنظر إلى تحرك ميولهم، وتموج وتذبذب قصدهم وفكرهم غير الثابت وخوفهم وفزعهم، بحسب القول المكتوب " بالأنين والرعب تكون على الأرض" (تك٤: ١٢ السبعينية)، وبحسب عدم إيمانهم وارتباك أفكارهم المضطربة فإنهم يتقلبون كل ساعة مثل بقية الناس في العالم. مثل هؤلاء الأشخاص يختلفون عن العالم في الشكل الخارجي فقط، ولكن ليس في القلب والفكر، ويختلفون عن العالم فقط في الممارسات الجسدية التي للإنسان الخارجي، بينما في القلب والفكر هم ينجذبون في كل الاتجاهات التي في العالم. وهم مربطون بالرباطات الأرضية والهموم غير المثمرة ولم يحصلوا على السلام من السماء في قلوبهم كما يقول الرسول: "يملك في قلوبكم سلام الله" (كو٣: ١٥). هذا السلام الذي يملك على عقول المؤمنين ويجددها في محبة الله ومحبة كل الأخوة. والمجد والسجود للآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين

العظة الثانية والثلاثون
ثوب المجد الآن وفي القيامة

إن مجد المسيحيين يسكن منذ الآن في نفوسهم، وسيظهر في وقت القيامة ويمجّد أجسادهم بقدر إيمانهم وقداستهم.

استنارة سماوية :

١ ـ توجد لغات مختلفة في هذا العالم. كل أمة لها لغة خاصة بها. وأما المسيحيون فإنهم يتعلّمون لغة واحدة جديدة، وجميعهم يتهذبون بحكمة واحدة هي حكمة الله، وليست حكمة هذا العالم ولا هذا الدهر الزائل. وعندما يسير المسيحيون في هذه الخليقة الجديدة فإنهم ينالون استنارة سماوية جديدة وأمجاداً وأسراراً يحصلون عليها من رؤية الأشياء الظاهرة التي يبصرونها بحواسهم.

هناك أنواع مختلفة من الحيوانات الأليفة، مثل الحصان والثور وكل منها له جسده وصوته الخاص به. هكذا أيضاً بين الحيوانات المتوحشة، فالأسد له جسده الخاص به وصوته المتميز. وهكذا الإيل أيضاً. وبين الحيوانات الزاحفة توجد أنواع كثيرة. وهكذا أيضاً بين الطيور توجد أنواع من الأجسام. فجسد النسر وصوته نوع، وجسم الصقر وصوته نوع آخر. وهكذا أيضاً توجد نفس الاختلافات والأنواع في البحر فتجد أجسام كثيرة غير متشابهة. وكذلك في الأرض توجد أنواع بذور كثيرة وكل بذرة لها ثمرتها الخاصة. وتوجد أشجار كثيرة بعضها كبير وبعضها صغير وتعطى محاصيل مختلفة، وكل نوع من الثمار له طعم ومذاق خاص. وهناك أيضاً الأعشاب وهى أنواع مختلفة كثيرة، فالبعض منها معروف بنفعه للعلاج والشفاء، والبعض الآخر يعطى فقط رائحة طيبة. ولكن كل صنف من الأشجار يخرج من داخله ما يكسوه من الخارج وهو ما تنظره العين أي الأوراق والزهور والثمار. وبالمثل البذور التي تخرج من الداخل ما يكسوها وهو ما نراه بعيوننا. وكذلك السوسن (الزنابق) أيضاً تنتج من داخلها كساءها الذي يزين الأرض.

الثوب السماوي :

٢ ـ هكذا أيضاً المسيحيون الذين حُسبوا أهلاً منذ الآن في هذه الحياة أن يحصلوا على الثوب السماوي، فإنهم يحملون ذلك الثوب ساكناً في داخل نفوسهم، وحينما تنحل هذه الخليقة الحاضرة بحسب تعيين الله وعلمه السابق وتزول السماء والأرض فإن ذلك الثوب السماوي الذي كان يكسو نفوسهم منذ الآن ويمجدها والذي يمتلكونه في داخل قلوبهم، هذا الثوب نفسه سوف يكسو ويمجد أيضاً أجسادهم العارية، التي تقوم من القبور، الأجساد التي تقوم في ذلك اليوم مكتسية بالموهبة السماوية غير المنظورة وبذلك الثوب السماوي الذي يناله المسيحيون في هذه الحياة منذ الآن.

وكما أن الإبل، حينما تجد حشيشاً فإنها تجرى إليه بسرعة وشراهة وتأكله وتخزّن منه غذاء في داخلها، وفي وقت الجوع تسترجع المخزون من معدتها وتمضغه وتجتّره وبذلك تتغذى من الطعام الذي سبق أن اختزنته، هكذا أولئك الذين يغتصبون ملكوت السموات وقد ذاقوا الطعام السماوي ويعيشون في الروح فإنهم في وقت القيامة ينالون ذلك الطعام عينه ليغطى ويدفئ كل أعضائهم.

٣ ـ فكما تحدثنا عن أنواع من البذور، وأن كثير منها يُزرع في نفس الأرض وينتج أنواعاً مختلفة من الثمار. وهكذا أيضاً نفس الأمر بالنسبة للأشجار. فالبعض منها كبير والبعض صغير ولكن أرضاً واحدة تجمع جذورها جميعاً. هكذا أيضاً الكنيسة السماوية فهي واحدة ولكن توجد فيها أعداداً لا تُحصى، وكل شخص فيها يتزين بمجد الروح بطريقة فريدة خاصة به لأنه كما أن الطيور تُخرج من أجسادها غطاءً لها وهو ريشها إلا أنه توجد اختلافات كبيرة بين أنواع الطيور. فالبعض منها يطير قريباً من الأرض بينما البعض الآخر يطير عالياً جداً في الهواء. أو كما أن السماء واحدة ولكنها تحوى نجوماً كثيرة البعض منها أشد لمعاناً وإضاءة وبعض منها كبير والبعض الآخر صغير، إلاّ أنها جميعها موجودة ثابتة في نفس السماء الواحدة. هكذا أيضاً القديسون فإنهم متأصلون في سماء واحدة هي سماء اللاهوت ولكن بطرق متنوعة، وهم متأصلون أيضاً في الأرض غير المنظورة. هكذا أيضاً الأفكار التي تأتى إلى البشر، فهى مختلفة، ولكن الروح، إذ يأتى إلى القلب فإنه يصنع فكراً واحداً، فإن الذين هم فوق والذين هم أسفل هم تحت تدبير وقيادة روح واحد.

الظل والحقيقة :

٤ ـ ولكن ما هو معنى الحيوانات " المشقوقة الظلف" (لا١١:٣) حيث إنها تسير وتجرى بسرعة بواسطة ظلفيها، وهى ترمز لأولئك الذين يسلكون باستقامة في الشريعة. ولكن كما أن ظِلّ الجسد يتكوّن بسبب الجسد ولكنه لا يستطيع أن يتمم أي وظيفة من وظائف الجسد ـ فإن الظلّ لا يستطيع أبداً أن يضمد الجروح أو يعطى الطعام أو يتكلم ـ ومع ذلك فهو يتكوّن بسبب الجسد و يشير مقدماً إلى مجيء الجسد، هكذا أيضاً الناموس القديم هو ظل للعهد الجديد (كو٢:١٧). والظلّ يُظهر الحقيقة مقدماً، ولكنه لا يملك خدمة الروح. فإن موسى، لا يستطيع بالجسد أن يدخل إلى القلب وينتزع ثياب الظلمة الدنسة. ولا يستطيع أن يلاشى ويحل قوة الظلمة الخبيئة إلاّ روح من روح ونار من نار. فالختان في ظل الناموس يشير إلى اقتراب مجيء ختان القلب الحقيقي. والاغتسال والمعمودية حسب الناموس هي ظل للأمور الحقيقية، فإن معمودية الناموس كانت تغسل الجسد، ولكن هنا الآن توجد معمودية النار والروح التي تُطهر وتغسل العقل المدنس.

العهد القديم والعهد الجديد :

٥ ـ وهناك (في الناموس) كاهن " مُحاط بالضعف" (عب٥:٢) كان يدخل إلى الأقداس مقدماً الذبائح عن نفسه وعن الشعب، وأما هنا الآن فرئيس الكهنة الحقيقي، المسيح، قد دخل مرة واحدة إلى الأقداس غير المصنوعة بأيدي وإلى المذبح الذي فوق، وهو مستعد لتطهير أولئك الذين يسألونه ولتطهير الضمير الذي تدنس. فهو يقول "وسأكون معكم إلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨:٢٠).

وكان رئيس الكهنة له حجرين كريمين على صدره، وعليهما أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر، وكان هذا ليكون رمزاً ومثالاً، لأن الرب أيضاً بنفس الطريقة وضع على صدره الرسل وأرسلهم مبشرين وكارزين للعالم أجمع. وها أنت ترى كيف أن الظل يشير إلى اقتراب الحقيقة. ولكن كما أن الظل لا يصنع لنا شيئاً ولا يشفي جروحاً، هكذا الناموس القديم لم يكن يستطيع أن يشفي جروح النفس وأوجاعها لأنه لم تكن له حياة.

٦ ـ إن اتحاد مادتين معاً يؤدى إلى شيء واحد كامل، كالعهدين. فالإنسان خُلق على صورة الله ومثاله. وهو له عينان، وحاجبان، ويدان، وقدمان. فلو حدث أن إنساناً له عين واحدة أو يد واحدة أو قدم واحدة فإن هذا يكون عيباً مؤسفاً، والطير الذي يكون له جناح واحد لا يستطيع أن يطير.

هكذا أيضاً الطبيعة البشرية، فإن بقيت عارية. وبنفسها فقط ولم تنل الاتحاد والشركة مع الطبيعة الإلهية فإنها لا تستقيم أبداً ولا تكتمل، بل تظل عارية ومستحقة للّوم في طبيعتها الخاصة بسبب وضاعتها وأدناسها. فإن النفس ذاتها دُعيت هيكلاً لله ومسكناً له، وعروساً للملك. فإنه يقول " إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم" (٢كو٦:١٦).

وهكذا كانت مسرة الله، أن يأتي من السماء المقدسة ويأخذ طبيعتك العاقلة، فهو أخذ جسداً من الأرض ووحّده بروحه الإلهي، حتى تستطيع أنت (الأرضي)، أن تنال الروح السماوي. وحينما تصير لنفسك شركة مع الروح وتُدخل الروح السماوي في نفسك، فحينئذ تكون إنساناً كاملاً في الله، ووارثاً وابناً.

تواضع الله وعنايته بك :

٧ ـ ولكن كما أنه غير مستطاع للأكوان العليا ولا للأكوان السفلى أن تحتوى عظمة الله أو طبيعته التي تفوق الإدراك، هكذا أيضاً لا تستطيع لا الأكوان العليا ولا الذين على الأرض أن يفهموا تواضع الله وكيف يجعل نفسه صغيراً لأجل أولئك الصغار المتواضعين. فكما أن عظمته تفوق الفهم هكذا أيضاً تواضعه يفوق الإدراك. ويمكن أن يحدث أن عنايته ترتب لك أن تجوز في شدائد وآلام ولكن ما تظنه مضاداً لك وضاراً بك، يتأكد بعد ذلك أنه لخير ومنفعة نفسك. فإذا رغبت أن تعيش في العالم وتكون غنياً، فيقابلك سوء الحظ وعدم التوفيق وحينئذٍ تبتدئ أن تفكر في نفسك وتقول: " لأني لم أصب نجاحاً في العالم، هل أتركه وأتخلى عن كل شيء وأعبد الله"، وبعد أن تصل إلى هذه النقطة فإنك تسمع الوصية قائلة " بع كل مالك" (مت١٩:٢١) " وأرذل كل تعلقات جسدية واخدم الله". حينئذٍ تبتدئ تشكر الله لأجل عدم توفيقك ونجاحك في العالم وتقول في نفسك "لأني بسبب هذا صرت مطيعاً لوصية المسيح".

حسناً إذن، فإنه بسبب الأمور الخارجية قد تغيّر ذهنك ورفضت العالم والارتباطات الجسدية، لذلك يليق بك أيضاً أن تتغير في الذهن من الحكمة الجسدية

إلى الحكمة السماوية. وبعد ذلك تبتدئ أن تميّز صوت الحكمة السماوية الذي تسمعه وتتعلمه في داخلك ولا تهدأ وتسكت بل تهتم وتجتهد لتحقيق ما قد سمعته.

الرب يتحدث إليك :

٨ ـ وحينما تظن أنك قد أتممت كل شيء برفضك للعالم، فإن الرب يتحدث إليك قائلاً " لماذا تفتخر؟ ألم أخلق أنا جسدك ونفسك؟ ألم أخلق الذهب والفضة؟ ماذا فعلت أنت" وحينئذٍ تبتدئ النفس تعترف للرب وتتوسل إليه وتقول " كل الأشياء هي لك والبيت الذي أسكن فيه هو لك. ثيابي لك. ومنك أنال طعامي، ومنك أحصل على كل احتياجاتي".

حينئذٍ يجيب الرب قائلاً: " أشكرك. هذه الخيرات كلها هي لك أنت. والإرادة الصالحة هي إرادتك، وبسبب محبتك لي وإلتجائك إلى، تعال، فإني سأعطيك ما لم تحصل عليه قبلاً، ولا يمتلكه الناس على الأرض. خذني لك، أنا ربك، لأكون مع نفسك. لكي تكون دائماً معي في فرح وابتهاج".

النفس عذراء للرب :

٩ ـ وكما أن المرأة التي تقترن بزوج تُحضر كل ما تملك وكل مهرها، ومن شدة محبتها تضع بين يدي زوجها كل شيء قائلة له "ليس لي شيء خاص ملكي. كل ما أملك هو لك. مهري لك وأيضاً نفسي وجسدي لك". هكذا أيضاً النفس الحكيمة هي عذراء للرب، إذ لها شركة مع الروح القدس.

ولكن كما أن الرب، حينما جاء على الأرض تألم وصُلب، هكذا ينبغي أيضاً أن تتألم معه. لأنك حينما تترك العالم وتبتدئ تطلب الله وتصير ذا تمييز، فحينئذٍ ستجد نفسك في حرب مع طبيعتك في عاداتها وعوائدها القديمة التي قد نمت معك. وفي حربك ضد هذه العادات، فإنك تكتشف أفكاراً مضادة لك وتحارب عقلك، وهذه الأفكار تحاول أن تجرك وتجعلك منشغلاً مرة أخرى بالعالم المادي الذي خرجت منه سابقاً وتركته.

النعمة تقودك في الشدائد :

وحينئذٍ تبتدئ أن تقاتل وتحارب في الحرب واضعاً أفكار في مواجهة أفكار، وعقل في مواجهة عقل، ونفس ضد نفس، وروح ضد روح. وبكلمة مختصرة فإن النفس تكون في آلام وتعب.

١٠ ـ لأنه تنكشف هناك قوة ظلام خفية خبيثة، مختبئة في القلب. ولكن الرب يكون قريباً جداً من نفسك وجسدك وهو يرى قتالك، ويضع في داخلك أفكاراً سماوية خفية، ويبتدئ أن يعطيك راحة في الداخل ولكنه يسمح بتقويم وتهذيب

نفسك والنعمة نفسها توجهك في كل هذه الشدائد. وهى التي تقودك. وحينما تصل إلى الراحة فإن النعمة تعلن نفسها لك وتوضح لك أنه من أجل منفعتك قد سمحت لك بهذه الآلام لتدريبك.

فكما يحدث حينما يكون لرجل غنى ابن صغير ويحضر لهذا الابن مربياً لتهذيبه. فلفترة من الوقت يؤدبه بالضربات والجروح والجلدات، وتبدو الضربات ثقيلة جداً إلى أن يصير الولد إلى النضج والرجولة، فإنه حينئذٍ يبتدئ أن يشكر المربى الذي علمه. هكذا أيضاً فإن النعمة تؤدبك بتدبير الله وتربيك إلى أن " تصل إلى إنسان كامل" (أف٤:١٣).

١١ ـ إن الفلاح يلقى البذار في كل ناحية، والذي يغرس كرماً يشتهى أن كل غصن فيه يحمل ثماراً. لذلك يستعمل منجل التشذيب لتنقية الأغصان، وحينما لا يجد ثمراً بعد ذلك فإنه يحزن. هكذا أيضاً الرب يريد أن تُزرع كلمته في قلوب الناس. ولكن كما أن الفلاح يحزن على الأرض التي لا تُثمر، هكذا يحزن الرب على القلب الذي لا يعطى ثمراً. وكما أن الرياح تهب في جميع الاتجاهات على كل الخليقة، وكما أن الشمس تضئ الكون كله، هكذا فإن الله هو في كل مكان، وتجده في كل مكان. فإن طلبته في السماء فإنه موجود في أفكار الملائكة. وإن طلبته على الأرض فإنه موجود أيضاً في قلوب الناس. ولكن قليل بين الكثيرين من المسيحيين هم الذين يرضونه. والمجد والعظمة للآب والابن والروح القدس. آمين

العظة الثالثة والثلاثون
الصلاة بانتباه

" ينبغي أن نصلى لله بلا انقطاع وبانتباه ".

كيف نصلى :

١ ـ ينبغي أن نصلى، ليس بحسب أي عادة جسدية، ولا بعادة رفع الصوت والصراخ، ولا بعادة الصمت، أو إحناء الركب. بل ينبغي أن يكون لنا عقل منتبه وبهدوء ورزانة ننتظر الله ونتوقعه، إلى أن يأتي إلينا ويفتقد النفس من خلال كل مخارجها ومسالكها وحواسها. وهكذا فإننا حينئذٍ نكون صامتين حينما ينبغي الصمت، ونصلى بصوت مرتفع حينما ينبغي ذلك، ونصلى بصراخ ما دام العقل مشدوداً بقوة نحو الله. وكما أن الجسد حينما يقوم بأي عمل، فإنه يكون منشغلاً تماماً بهذا العمل وكل أعضاؤه يساعد بعضها بعضاً، كذلك فلتكن النفس مُقدمة ومُعطاةً للرب تماماً بالصلاة والمحبة نحو الرب. ولا تتشتت وتُحمل بواسطة أفكارها، بل تسعى بكل طاقتها وتجمع نفسها مع كل أفكارها مصممة على انتظار المسيح ملازمة إياه.

٢ ـ وهكذا فإنه سيشرق عليها، ويعلّمها الصلاة الحقيقية. معطياً إياها الصلاة الروحانية النقية، والتي تليق بالله، " والسجود الذي هو بالروح والحق" (يو٤:٢٤)، ولكن كما أن الإنسان الذي يشتغل بالتجارة لا يكتفي بطريقة واحدة للحصول على المكسب بل يمتد بكل طريقة ليضاعف أرباحه، ويزيدها، ويجرّب وسيلة بعد أخرى، ثم يجرى محاولات أخرى، محترساً فقط مما لا ربح فيه. بل إنه يجرى إلى ما فيه الربح الأكثر، هكذا نحن أيضاً فلنعد أنفسنا بكل مهارة وبكل قدرة على الحركة والنشاط من جميع الجوانب لكي نربح الربح الحقيقي العظيم، أي الله نفسه، الذي يعلّمنا كيف نصلى بالحق. وبهذه الطريقة فإن الرب يحل على النفس ذات القصد الصالح، جاعلاً إياها عرشاً لمجده ويجلس ويستريح عليها. وهذا ما سمعناه من النبى حزقيال عن الخلائق الروحانية التي كانت مربوطة بمركبة الرب. وهو يُظهرها لنا كأنها كلها عيوناً. وبطريقة مشابهة فإن النفس التي تحمل الله أو بالأحرى يحملها الله فإنها تصير كلها عيوناً.

سكنى المسيح في النفس :

٣ ـ وكما أن البيت الذي يوجد سيده في داخله يكون مملوءً بالتنسيق والجمال والانسجام، هكذا النفس التي يكون ربها ساكناً معها، ومقيماً فيها، فإنها تمتلئ بكل جمال ونعمة. إذ يكون لها الرب بكل كنوزه الروحية ساكناً فيها وهو الذي يقودها ويوجّه حركتها.

ولكن الويل للبيت الذي لا يكون سيده فيه. إذ يكون مقفراً خرباً ويمتلئ من كل قذارة وفوضى وهناك كما يقول النبى تسكن " وحوش القفر والشياطين" (إش٣٤:١٣،١٤ السبعينية). وفي البيت المهجور توجد القطط والكلاب وكل نجاسة.

الويل إذن للنفس التي لا تقوم من سقوطها الفادح، ولا تقبل في داخلها رب البيت الصالح، الذي هو المسيح ليسكن فيها، بل تبقى في نجاستها ويظلّ في داخلها أولئك الذين يقنعونها ويجبرونها على معاداة عريسها، وراغبين أن يفسدوا أفكارها بعيداً عن المسيح.

٤ ـ ولكن حينما يرى الرب أن النفس تجمع ذاتها بأقصى طاقتها، وتطلبه دائماً منتظرة إياه ليلاً ونهاراً، وتصرخ إليه، كما أوصى الرسول أن " نصلى بلا انقطاع" (١تس٥:٧) فإنه " ينصفها" (لو ١٨:١٧)، مطهراً إياها من الشر الذي في داخلها. وهو " سيحضرها لنفسه " عروساً" لا دنس فيها ولا غضن " (أف٥:٢٧).

انظر إلى ذاتك :

فإن كنت تؤمن وتصدق بأن هذه الأشياء صحيحة كما هي في الحقيقة، فانظر إلى ذاتك جيداً، إن كانت نفسك قد وجدت النور الذي يرشدها والطعام والشراب الحقيقي، الذي هو الرب. فإذا لم تكن قد وجدت، فأطلب ليلاً ونهاراً لكي تنال. وحينما ترى الشمس (الطبيعية) فأطلب الشمس الحقيقية إذ أنك أعمى.
وحينما تنظر النور (الطبيعي)، فانظر إلى داخل نفسك، هل قد وجدت النور الحقيقي الصالح؟ لأن كل الأشياء المنظورة للحواس هي ظل للأمور الحقيقية الخاصة بالنفس.

فإنه يوجد في داخلنا إنسان آخر غير هذا الإنسان المنظور، وتوجد عيون داخلية قد أعماها الشيطان وآذان قد أصمّها. ويسوع قد جاء لكي يجعل هذا الإنسان الداخلي صحيحاً معافي. له المجد والقدرة، مع الآب والروح القدس إلى الأبد. آمين.

العظة الرابعة والثلاثون
تمجيد الأجساد في القيامة

بخصوص المجد الذي سيُوهب لأجساد المسيحيين في القيامة وكيف ستضيء أجسادهم مع نفوسهم.

قيامة النفس أولاً ورؤيتها لمجد اللاهوت :

١ ـ كما أن العيون الجسدية ترى كل شيء بوضوح، هكذا نفوس القديسين ينكشف لها جمال اللاهوت ويصير ظاهراً لها وينجذب المسيحيون في تأمل محاسن اللاهوت والتفكير فيها. ولكن مجد اللاهوت هذا إنما هو مُخفي عن العيون الجسدية، وهو يُكشف بوضوح للنفس المؤمنة ـ النفس التي كانت ميتة ـ والتي يقيمها الرب من الخطية، كما أقام الأجساد المائتة أيضاً، وهو يعد لها "سماء جديدة" و" أرضاً جديدةً" (رؤ ٢١:١) وشمساً للبر، معطياً للنفس كل شيء من لاهوته.

فهناك عالم حقيقي وأرض حية، وكرمة مثمرة، وخبز الحياة، وماء حي، كما هو مكتوب " إني أؤمن بأن أرى خيرات الرب في أرض الأحياء" (مز ٢٧:١٣)، وأيضاً " ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها" (ملاخى ٤:٢). وأيضاً الرب نفسه يقول " أنا هو الكرمة الحقيقية" (يو ١٥:١). وأيضاً " أنا هو خبز الحياة" (يو ٦:٣٥) وأيضاً " كل من يشرب من الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤:١٤).

٢ ـ لأن مجئ الرب كان كله لأجل الإنسان ـ الإنسان الذي كان مطروحاً ميتاً في قبر الظلمة والخطية والروح النجس والقوات الشريرة ـ لكي يقيم الإنسان ويحييه في هذه الحياة الحاضرة ويطهره من كل سواد وظلمة، وينيره بنوره الخاص، ويُلبسه ثوبه الخاص، أي الثوب السماوي الذي هو ثوب اللاهوت.

تمجيد الأجساد التي أقيمت نفوسها :

ولكن في قيامة الأجساد، التي سبق أن أقيمت نفوسها قبلاً وتمجدت، فإن الأجساد أيضاً تتمجد حينئذٍ مع النفوس، وتستنير بالنفس التي قد استنارت وتمجّدت في هذه الحياة الحاضرة لأن الرب هو بيتهم وخيمتهم ومدينتهم. وهم يلبسون مسكناً من السماء "غير مصنوع بأيدي" (٢كو٥:١)، وهو مجد النور الإلهي إذ قد صاروا أبناء النور.

وهم لن ينظروا إلى بعضهم البعض بعين شريرة، لأن الشر نُزع منهم. وهناك " لا يوجد ذكر وأنثى ولا عبد وحر" (غل٣:٢٨). لأن الجميع يتغيّرون إلى طبيعة القداسة الإلهية ويصيرون ذوى صلاح وخير، وآلهة وأبناء لله. هناك يخاطب الأخ أخته بسلام بلا خجل أو تشويش، لأن الكل واحد في المسيح ويستريحون في النور الواحد.

والواحد ينظر إلى الآخر وفي نظره يضئ بالحق، في التأمل الحقيقي للنور الذي لا يُعبّر عنه.

أمجاد تفوق كل تعبير :

٣ ـ وهكذا بأشكال كثيرة، وأمجاد إلهية كثيرة متنوعة ينظرون بعضهم بعضاً وكل منهم ينذهل ويفرح " بالفرح الذي لا يُنطق به" (١بط١:٨) إذ ينظرون مجد بعضهم البعض. انظر كيف أن أمجاد الله تفوق كل تعبير ونُطق وتفوق كل فهم فهي أمجاد النور الذي لا يُعبّر عنه والأسرار الأبدية وخيرات لا تُعد ولا تُحصى.

وكما أنه في عالم الحواس يستحيل على أي إنسان أن يدرك عدد نباتات الأرض، أو البذور أو أنواع زهور الأرض ولا يقدر إنسان واحد أن يقيس أو يفهم غنى الأرض كلها، وكذلك في البحر لا يستطيع إنسان أن يحصى الكائنات الحية التي فيه بكل أنواعها واختلافاتها أو أن يقيس مياه البحر واتساعه وعمقه. وكذلك في الهواء لا يستطيع أحد أن يعرف عدد الطيور، أو أنواعها وأجناسها، وأيضاً لا يستطيع أن يفهم عظمة السماء ويدرك مواقع النجوم ومساراتها، هكذا أيضاً فإنه يستحيل أن ننطق أو نصف غنى المسيحيين الذي لا يُقاس ولا تستطيع أن تدركه العقول. لأنه إن كانت تلك المخلوقات لا عدد لها ولا حصر ولا يستطيع أن يدركها عقل إنسان تماماً، فكم بالحري يكون ذلك الذي خلقها وأعدها!

لذلك ينبغي على كل واحد بالحري أن يفرح جداً ويُسرّ لأن مثل هذا الغنى ومثل هذا الميراث، قد أُعد للمسيحيين، حتى أنه لا يستطيع أحد أن ينطق به أو يشرحه شرحاً كافياً.

بل بكل اجتهاد واتضاع ينبغي أن نسير في الجهاد المسيحي وننال ذلك الغنى. لأن ميراث المسيحيين ونصيبهم هو الله نفسه. كما يقول النبى " الرب هو نصيب ميراثي وكأسى" (مز١٦:٥). والمجد لذلك الذي يعطى نفسه ويُشرك نفوس

المسيحيين في قداسة طبيعته إلى الأبد آمين

العظة الخامسة والثلاثون
السبت القديم والسبت الجديد

١ ـ في ظل الناموس الذي أعطى بواسطة موسى، أمر الله بأن كل إنسان ينبغي أن يستريح يوم السبت ولا يعمل شيئاً. وكان هذا رمزاً وظلاً للسبت الحقيقي الذي يعطيه الرب للنفس. لأن النفس التي قد مُنح لها أن تصير حرة من الأفكار المنحطة النجسة، فإنها تحفظ السبت الحقيقي وتتمتع بالراحة الحقيقية، إذ تكون عاطلة وفي فراغ فيما يخص أعمال الظلمة. ففي السبت الرمزي، رغم أنهم كانوا يستريحون راحة جسدية، إلاّ أن نفوسهم كانت مستعبدة للشرور والخطايا. وأما هذا السبت الحقيقي، فهو راحة حقيقية، إذ تكون النفس عاطلة عن غوايات الشيطان ومُطهرة منها، وتستريح في الراحة الأبدية وفرح الرب.

٢ ـ وكما أمر الله (في القديم) أن الحيوانات غير العاقلة أيضاً ينبغي أن تستريح في البيت، وأن الثور لا ينبغي أن يُوضع عليه النير وألاّ يحمل الحمار أثقالاً ـ فإنه حتى الحيوانات كانت تستريح من الأعمال الثقيلة ـ هكذا حينما أتى الرب وأعطى السبت الحقيقي الأبدي، فقد أعطى راحة للنفس التي كانت مُثقلة ومُحملة بأحمال الإثم الثقيلة والأفكار النجسة، وكانت تعمل تحت نير واضطرار أعمال الإثم لأنها كانت مُستعبدة لسادة قساة، فأراحها من أثقالها التي يعسر حملها، أراحها من الأفكار الباطلة والنجسة، ونزع عنها النير القاسي، نير أعمال الإثم وأراح النفس التي كانت مُتعبة ومُثقلة بأفكار وغوايات النجاسة..

تعالوا إلى... وأنا أريحكم:

٣ ـ إن الرب يدعو الإنسان إلى الراحة قائلاً " تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم" (مت١١:٢٨). وكل النفوس التي تطيع هذه الدعوة وتقترب إليه، فإنه يريحهم من كل هذه الأفكار الثقيلة المُتعبة والنجسة ويصيرون أحراراً من كل شر ويحفظون السبت الحقيقي المُبهج المقدس، ويعيدون عيد الروح، عيد الفرح والبهجة التي تفوق الوصف، ويقدمون خدمة نقية مرضية لله من قلب نقى. هذا هو السبت الحقيقي المقدس.
لذلك فلنتوسل إلى الله لكي " ندخل إلى هذه الراحة" (عب٤:١١)، ولكي نصير أحراراً من الأفكار المنحطة والشريرة والباطلة ، لكيما نستطيع أن نخدم الله من قلب نقى ونعيّد عيد الروح القدس. وطوبى للإنسان الذي يدخل إلى تلك الراحة. والمجد لمن هذه هي مسرته، أي الآب والابن والروح القدس، إلى الأبد آمين

العظة السادسة والثلاثون
درجات النعمة والمجد

عن قيامة النفوس وقيامة الأجساد وأنواع مجد الذين يقومون.

١ ـ إن قيامة النفوس المائتة تحدث الآن في هذه الحياة، وأما قيامة الأجساد فتحدث في ذلك اليوم (الأخير). وكما أن النجوم جميعها ثابتة في السماء إلاّ أنها ليست جميعها متساوية، بل يختلف الواحد عن الآخر في اللمعان والحجم (١كو١٥: ١٤)، هكذا الأمور الروحانية فإنه يوجد بها درجات من التقدم " بحسب مقدار الإيمان بالروح الواحد نفسه" (رو١٢: ٣، ١كو١٢: ٩)، إذ يكون واحد أكثر غنى من الآخر. والكتاب يقول " إن من يتكلم بلسان.. يتكلم بروح الله" (١كو١٤: ٢). فهو إنسان روحاني يكلم الله. " وأما الذي يتنبأ فيبنى الكنيسة" (١كو١٤: ٤) وهذا الأخير عنده قدر أكبر من النعمة. فالأول يبنى نفسه فقط، أما الثاني فإنه يبنى الكنيسة أيضاً.

وهذا يُشبه حبة الحنطة التي تُزرع في الأرض. فنفس الحبة في نفس الأرض تنتج حبوباً كثيرة ومختلفة. وأيضاً سنابل القمح بعضها كبير والبعض الآخر صغير ولكن كلها تُجمع معاً إلى بيدر (جرن) واحد، وإلى مخزن واحد. ورغم أن الحبوب مختلفة إلاّ أنه يُصنع منها خبز واحد.

٢ ـ وكما أنه يوجد في المدينة جموع من الناس، بعض منهم أطفال والبعض رجال والبعض شبان أحداث ولكنهم جميعاً يشربون من ينبوع واحد ويأكلون من خبز واحد ويستنشقون هواء واحد؛ أو في حالة المصابيح فهناك مصباح له فتيلتين وآخر له سبعة، ولكن حيثما تكون فتائل النور أكثر عدداً فهناك تكون الإضاءة أكثر.

هكذا كل الذين هم في النور لا يمكن أن يكونوا في الظلمة، ولكن توجد بينهم درجات مختلفة في النور. وإذا كان لأب ابنان أحدهما طفل والآخر شاب، فإنه يرسل الشاب إلى المدن والبلاد الغريبة، أما الطفل فإنه يحفظه دائماً تحت رعايته لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً. والمجد لله آمين

العظة السابعة والثلاثون
الفردوس والناموس الروحاني

الفردوس :

١ ـ " محبة العالم عداوة لله كما هو مكتوب" (يع٤: ٤) لهذا السبب فإن الكتاب المقدس يوصى كل واحد " أن يحفظ قلبه بكل اجتهاد" (أم ٤: ٢٣)، فعندما يحفظ الإنسان الكلمة في داخله مثل فردوس، فإنه يتمتع بالنعمة ولا ينصت إلى

الحية التي تحاول أن تتحرك في الداخل وهى التي توحي بأشياء تقود إلى اللذة والتي بها يتولّد الغضب الذي يذبح الأخ، والنفس التي تخضع لهذه الشرور تموت.

ولكن بالأحرى يجب على النفس أن تُنصت للرب الذي يقول "احرص على الإيمان والرجاء اللذان تتولد منهما محبة الله ومحبة القريب، هذه المحبة التي تعطى حياة أبدية".

إلى هذا الفردوس دخل نوح، حافظاً الوصية ومُطيعاً للرب، وبالمحبة أنقذ من الغضب. وإبراهيم بحفظه لهذا الفردوس سمع صوت الله. وموسى بحفظه لهذا الفردوس نال المجد منعكساً على وجهه، وبالمثل فإن داود بحفظه لهذا الفردوس جاهد فهزم أعداءه. أما شاول أيضاً فطالما كان يراقب قلبه فإنه كان ينجح، ولكن حينما تعدى أخيراً، فإنه رُفض. فإن كلمة الله تأتى إلى كل واحد بمقدار. وعلى قدر ما يتمسك الإنسان بالكلمة ويحفظها فإنها تحفظه وتمسك به وتحرسه.

٢ ـ لهذا السبب فإن جماعة الأنبياء القديسين والرسل والشهداء، حفظوا الكلمة في قلوبهم غير مهتمين بشيء آخر بل احتقروا الأرضيات وثبتوا في وصية الروح القدس وفضلوا محبة الله بالروح وخيرات الروح على كل شيء آخر، وذلك ليس بالكلام فقط أو مجرد المعرفة، بل بالقول والفعل والممارسة الحقيقية في كل الأشياء، فاختاروا الفقر بدلاً من الغنى، والعار والإهانة بدلاً من المجد والافتخار، والآلام بدلاً من اللّذة والتنعم، ولهذا السبب أيضاً نالوا المحبة بدلاً من الغضب.

المحبة والغفران للمسيئين :

لأنهم كما أبغضوا لذّات هذه الحياة، فإنهم أحبوا أولئك الذين يغتصبون منهم أشياء هذه الحياة، كأنهم يعاونونهم في تحقيق الهدف غير مميزين بين الصالح والشرير. فهم لم يتحولوا عن الصالحين ولا هم يتهمون الأشرار، إذ أنهم يعتبرون الجميع كسفراء لعناية وتدبير ربهم، لذلك فإنهم يراعون الجميع بمحبة وإشفاق. وحينما سمعوا الرب يقول " اغفروا يُغفر لكم" (لو٦:٣٧) فإنهم حينئذٍ اعتبروا أولئك الذين أساءوا إليهم كفاعلي خير لأنهم أعطوا لهم الفرصة لينالوا الغفران لنفوسهم ، وحينما سمعوا الرب يقول أيضاً " وكما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلوا أنتم هكذا أيضاً بهم" (مت٧:١٢)، حينئذٍ بدأوا أن يحبوا الصالحين بحسب الضمير. وإذ تركوا برّ أنفسهم وطلبوا برّ الله فإنهم وجدوا المحبة متضمنة فيه بطريقة طبيعية.

٣ ـ لأن الرب، عندما أعطى وصايا كثيرة عن المحبة فإنه أوصانا أن نطلب " بر الله" (مت٦:٣٣) لأنه يعرف أنه (أى برّ الله) هو والد المحبة، فلا يوجد طريق آخر به نتمّم خلاصنا إلاّ عن طريق قريبنا، كما أوصى قائلاً:" اغفروا يُغفر لكم" هذا هو القانون الروحاني الذي كُتب في القلوب المؤمنة وهو " تكميل الناموس الأول" (رو ١٣:١٠) لأنه يقول " لم أتِ لأنقض الناموس بل لأكمّل"

(مت٥:١٧)، وكيف كمّل الناموس؟. دعني أخبرك : فإذا حدث خطأ من إنسان، فإن الناموس الأول كان يدين بالأكثر الذي وُجه إليه الخطأ: " لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك" (رو٢:١)، والناموس يقول هكذا " في وسط الدينونة، دينونة، وفي وسط الغفران، غفران" (تث١٧:٨ السبعينية).

٤ ـ لذلك فإن المغفرة هي تكميل الناموس ـ وقد سميناها الناموس الأول، ليس لأن الله وضع ناموسين للناس، بل ناموس واحد، وهو روحاني في طبيعته. ولكن من جهة المجازاة فهو يعطى كل واحد الجزاء العادل، فيعطى المغفرة لمن يغفر، ويدين الذي يدين. كما يقول في المزمور "ومع الطاهر تكون طاهراً، ومع الأعوج تكون ملتوياً" (مز١٨:٢٦)، لذلك فإن أولئك الذين يتممون الناموس روحانياً، وبقدر نوالهم النعمة، يحبون محبة روحانية، ليس أولئك الذين يفعلون بهم خيراً فقط، بل أيضاً أولئك الذين يعيرونهم ويضطهدونهم، وهم يتطلعون لنوال مكافأة الصالحات.

وأقول الصالحات ليس لأنهم غفروا الإساءات التي وُجهت إليهم، بل لأنهم فعلوا أيضاً خيراً لنفوس الذين أساءوا إليهم. لأنهم قدموهم إلى الله باعتبارهم الوسيلة التي بها تمموا وحصلوا على التطويب القائل " طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين" (مت٥:١١).

٥ ـ وهم قد تعلّموا أن يفكروا هكذا بواسطة ناموس روحاني، وإذ هم يحتملون ويحتفظون بموقف الوداعة الداخلية، فإن الرب إذ ينظر إلى القلب وهم يحاربون، وينظر المحبة التي لم تفتر، فإن الرب ينقض حائط السياج المتوسط (أف٢:١٤). ويطرحون كل بغضة عنهم وتكون النتيجة أن حبهم لم يعد بالاضطرار والتغصب بل يكون براحة وفرح.

إن الرب يقيد السيف المتقلب الذي يحرك الأفكار. وبعد ذلك تدخل الأفكار إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع " كسابق لأجلنا" (عب ٦:١٩). وتتمتع بثمار الروح بفرح .

وإذ ينظرون الأمور الآتية مكشوفة في داخل القلب بثبات ، وليس في "مرآة ولغز" (١كو١٣:١٢) كما يقول الرسول، فإنهم يقولون " ما لم تره عين وما لم تسمع به أُذن وما لم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه" (١كو٢:٩).

معرفة ما لم يخطر على قلب بشر :

٦ـ سؤال: إن كانت هذه الأشياء لم تخطر على قلب إنسان، فكيف أمكنك أن تعرفها خصوصاً وأنك تعرف ما يقوله سفر الأعمال " نحن بشر تحت الآلام مثلكم" (أع١٤:١٥).

جواب: حسناً أنصت إلى الجواب الذي يعطيه بولس لهذا السؤال إذ يقول " ولكن الله أعلنها لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (١كو٢:١٠). ولكن لئلا يقول أحد إن الروح قد أعطى لهم لأنهم رسل فقط، وإننا نحن لا نستطيع أن نناله، فإنه يقول في مكان آخر مصلياً " لكي يعطيكم أبو ربنا يسوع المسيح أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم" (أف٣:١٦،١٧) ويقول أيضاً " أما الرب فهو الروح، وحيث روح الرب هناك حرية" (٢كو٣:١٧). وأيضاً " إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس للمسيح" (رو٨:٩).

شركة الروح القدس :

٧ ـ لذلك فلنصل ونتوسل لكيما نشترك في الروح القدس بملء الثقة والاختبار، ولكي ما ندخل إلى المكان الذي خرجنا منه ولكي تُطرد عنا من الآن فصاعداً تلك الحية التي هي أب الغضب الذي يوحى بالمجد الباطل وهو روح الحزن والفشل والتذمر. فلنصل لكي نحصل على إيمان ثابت فنستطيع أن نحفظ وصايا الرب وننمو فيه " إلى إنسان كامل إلى قياس القامة الناضجة" (أف٤:١٣)، لكي لا يعود يتسلط علينا خداع هذا العالم، بل نكون في ملء ثقة الروح، ولا يعود ينقصنا الإيمان بأن نعمة الله تُسرّ بقبول الخطاة حينما يتوبون. فإن ما يُعطى بالنعمة لا يُقاس بالمقارنة مع الضعف السابق " وإلاّ فليست النعمة بعد نعمة" (رو١١:٦). بل إذ نؤمن بالله الكلّى القدرة، نأتي بقلب بسيط غير قلق أو موسوس ـ نأتي إليه فهو الذي يعطى بالإيمان نعمة الاشتراك في الروح وليس بواسطة المقارنة بأعمال الطبيعة البشرية لأنه يقول " لقد أخذتم الروح ليس بأعمال الناموس بل بخبر الإيمان" (غل٣:٢).

معنى خمس كلمات بذهني :

٨ ـ سؤال: ما معنى الآية التي تقول " ولكن في كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى" (١كو١٤:١٩)؟

جواب: إن كلمة كنيسة تُفهم بطريقتين: الجماعة أي جماعة المؤمنين ثم اجتماع النفس معاً. فحينما تُفهم الكلمة على الشخص الإنساني يكون المقصود هو الإنسان ككل متكامل معاً. وهنا تكون خمس كلمات تعنى مجموع الفضائل التي تبنى الإنسان كله بطرق متنوعة. فكما أن الذي يتكلم في الرب يفهم كل حكمة بكلماته الخمس، هكذا الذي يطيع الرب فإنه يبنى كل تقوى بواسطة الفضائل الخمسة. هم خمسة ولكنهم يشملون الجميع: الأولى، الصلاة ثم التعفف، ثم البذل والعطاء، ثم الفقر الاختياري والصبر. وهذه إذ تُتمم باشتياق وقصد ثابت فإنها كلمات النفس التي ينطقها الرب والتي تُسمع في القلب. إن الرب يعمل، ثم الروح يتكلم بدون صوت، والقلب يتمم جهراً وظاهراً ما يشتاق ويرغب.

٩ـ ولكن كما أن هذه الفضائل تشتمل على كل الفضائل الأخرى، هكذا أيضا فإنها تتوالد من بعضها البعض. فإذا نقصت الأولى، تسقط الباقية. وبالمثل فإنه بواسطة الثانية يتبعها البقية وهكذا. لأنه كيف يصلى الإنسان بدون أن يكون تحت فاعلية الروح؟ والكتاب يشهد معي هنا حينما يقول " لا يستطيع أحد أن يقول يسوع رب إلاّ بالروح القدس" (١كو١٢:٣) وأيضاً كيف يستمر الإنسان في التعفف بمثابرة بدون الصلاة وبدون معونة ونعمة؟ والذي هو غير متعفف، كيف يصنع رحمة ويعطى الجياع والمتضايقين؟ والذي لا يصنع رحمة ويُحسن لن يقبل الفقر باختياره. وأيضاً فإن الغضب هو قريب وصديق لمحبة المال والطمع سواء كان الإنسان يملك المال أو لا يملكه.

ولكن الإنسان الفاضل هو الذي يُبنى ليكون كنيسة ليس بسبب ما فعله بل بسبب ما اشتاق إليه واشتهاه، فالذي يخلص الإنسان ليس هو عمله الخاص، بل يخلصه ذلك الذي يمنحه القوة. لذلك إن كان أحد يحمل "سمات الرب" (غل٦:١٧)، فلا يظن نفسه عظيماً، حتى لو كان قد نجح في كل عمل. بل لينظر فقط إلى المحبة التي في قلبه واهتمامه واجتهاده أن يعمل. لذلك لا تظنوا أنكم قد سبقتم الرب بفضيلتكم وذلك بحسب المكتوب " إنه هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا لأجل المسرة" (في٢:١٣).

بماذا يوصينا الكتاب المقدس ؟ :

١٠ ـ سؤال: إذن فما الذي يوصى به الكتاب الإنسان أن يفعله؟

جواب: سبق أن قلنا إن الإنسان عنده الاستعداد بطبيعته أن يرغب وأن يشتاق. وهذا ما يطلبه الله. لذلك فإن الله يأمر أن الإنسان ينبغي أن يعرف ويعتبر. وحينما يعتبر، ينبغي أن يحب وأن يجتهد بإرادته. ولكن لكي ينشط العقل ويتحرك ويتحمل التعب أو لكي يكمل العمل فهذا يحتاج إلى نعمة الله. وهذا ما تمنحه النعمة للإنسان الذي يرغب ويؤمن. لذلك فإن إرادة الإنسان هي مثل أداة في طبيعة الإنسان. وحينما لا تكون الإرادة حاضرة، فإن الله نفسه لا يفعل شيئاً، رغم أنه يستطيع أن يفعل، وذلك بسبب حرية إرادة الإنسان. إن عمل الروح الفعّال يتوقف على إرادة الإنسان. ومن الجهة الأخرى إذا كنا نعطى ونقدم له كل إرادتنا، فإنه ينسب كل العمل إلينا.

عجيب هو الله في كل الأشياء وهو فائق جداً فوق كل إدراكنا. ولكننا نحن البشر نسعى لشرح بعض عجائبه وأعماله مستندين على الكتاب المقدس، أو متعلمين منه، فإنه يقول " من عرف فكر الرب" (رو١١:٣٤). ولكن هو نفسه يقول " كم مرة أردت أن أجمع أولادك .. وأنتم لم تريدوا" (مت٢٣:٣٧). ولذلك فنحن نؤمن أنه هو الذي يجمعنا ولا يطلب منا شيئاً سوى أن نريد ونرغب. ولكن ما هو الذي يُثبت ويُظهر الإرادة إلاّ العمل الذي يعمل باختيار وحرية؟

١١ـ لأنه كما أن الحديد يُستعمل في نشر الخشب أو كفأس للقطع أو كمحراث للحرث والزراعة، ولكن يوجد إنسان هو الذي يحركه ويقوده، وحينما يتقادم ويبلى بالاستعمال فإنه يوضع في النار ويُشكل من جديد كأدوات كل منها حسب استعمالها. هكذا أيضاً فإن الإنسان حينما يتعب ويُجهد جداً في عمل ما هو صالح ـ مع أن الرب هو الذي يعمل فيه في الخفاء في هذا التعب ـ فإن الرب يعزى قلبه ويجدده كما يقول النبى: " هل تفتخر الفأس على القاطع بها أو يتكبر المنشار على مردده" (إش١٠:١٥). وهكذا بالمثل في حالة الشر حينما يطيعه الإنسان ويجعل نفسه مستعداً له، فحينئذٍ يجذبه الشيطان ويسنه كما يسن اللص سيفه. لقد شبهنا القلب بالحديد بسبب قلة حساسيته للأشياء وشدة قسوته. ولكن لا ينبغي أن نجهل، مثل الحديد الذي لا يحس ـ ذلك الذي يمسك بنا (لأننا لو كنا نحس فإننا لم نكن نتحول هكذا سريعاً من كلمته المغروسة فينا إلى أفكار الشرير)، بل بالأحرى نكون كالثور والحمار أي أن نعرف ذلك الذي يقودنا ويوجهنا في طريقه بحسب مسرته لأنه مكتوب: " الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرفني" (إش١:٣). لذلك فلنصلى طالبين نوال معرفة الله، ولكي نتهذب في الناموس الروحانى لحفظ وصاياه المقدسة، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين

العظة الثامنة والثلاثون
المسيحيون بالحق

الأمر يحتاج إلى دقة عظيمة وفهم كبير لتمييز من هم المسيحيون بالحق.

تمييز المسيحيين بالحق:

١ـ إن كثيرين من الذين يظهرون أنهم أبرار يُحسبون أنهم مسيحيون ويليق لذوى المعرفة والاختبار أن يختبروا ويروا إن كان مثل هؤلاء الأشخاص لهم علامة وصورة الملك بالحقيقة، حتى لا يكونوا أشخاصاً مزيفين أو عمالاً مزيفين يعملون أعمال ذوى الخبرة والمعرفة ويُدهش منهم العمال المهرة وينتقدونهم، ولكن الناس الذين ليسوا ذوى خبرة لا يستطيعون أن يمتحنوا ويكشفوا " الفعلة الماكرون" (٢كو١١:١٣)، حيث إن هؤلاء أيضاً يلبسون شكل النُساك أو المسيحيين لأنه حتى الرسل الكذبة تعرضوا لبعض الآلام لأجل المسيح وبشروا بملكوت السموات. لهذا السبب يقول الرسول: " في الأتعاب أكثر في الضربات أوفر، في السجون أكثر" (٢كو١١:٢٣) قاصداً بذلك أن يُظهر أنه قد تألم أكثر منهم.

٢ ـ إن الذهب يُكتشف بسهولة أما اللآلئ والأحجار الكريمة التي تليق بتاج الملك فهي نادرة الوجود وأحياناً فإن ما يُوجد منها لا يكون مناسباً، هكذا أيضاً المسيحيون فإنهم يُصاغون ويُشكّلون ويُطعمون في إكليل المسيح لكي يكون لهم

شركة مع القديسين. فالمجد لذلك الذي هكذا أحب تلك النفس وتألم لأجلها وأقامها من الموت.

ولكن كما أن البرقع كان موضوعاً على وجه موسى لكي لا ينظر الشعب إلى وجهه، هكذا أيضاً الآن فإن هناك برقع موضوع على قلبك لكي لا تتطلع إلى مجد الله وتراه. ولكن حينما يُنزع هذا البرقع، فإن (المسيح) يضئ ويُظهر نفسه للمسيحيين، أي لأولئك الذين يحبونه ويطلبونه بالحق كما يقول: " أظهر له ذاتي" " وعنده أصنع منزلاً" (يو١٤: ٢١،٢٣).

لنأتِ إلى المسيح لننال الموعد:

٣ ـ لذلك فلنجتهد أن نأتي إلى المسيح الذي لا يكذب، لكيما ننال الموعد والعهد الجديد ـ الذي جعله الرب جديداً بصليبه وموته بعد أن كسر أبواب الجحيم والخطية، وأخرج النفوس المؤمنة، وأعطاهم المعزي في الداخل وردهم إلى ملكوته. إذن فلنملك معه في أورشليم مدينته أي في الكنيسة السماوية، في محفل الملائكة القديسين. والأخوة الذين لهم خبرة طويلة وتمرّن يستطيعون أن يساعدوا قليلي الخبرة ويساعدوهم بإشفاق ومحبة.

درجات في النعمة:

٤ ـ إن بعض الأشخاص قد صارت لهم ثقة داخل أنفسهم، وقد عملت فيهم النعمة بقوة، هؤلاء وجدوا أن أعضائهم قد تقدست لدرجة أنهم حسبوا أن الشهوة لا وجود لها في الحياة المسيحية، بل أنهم قد حصلوا على عقل متزن عفيف، وأن الإنسان الباطن قد ارتفع عالياً إلى الأشياء الإلهية والسماوية حتى أنهم اعتقدوا تماماً أن مثل هذا الشخص قد وصل فعلاً إلى درجة الكمال.

وحينما يظن الإنسان أنه قد وصل إلى الميناء الهادئ تثور ضده أمواج متلاطمة، حتى أنه يجد نفسه مرة أخرى في وسط المحيط، وأنه محمول إلى حيث يكون البحر سماء والموت متربص به. وهكذا دخلت الخطية وهكذا أنشأت كل "أنواع الشهوة" الشريرة (رو٧: ٨) وأيضاً هناك بعض الأشخاص قد نالوا درجة من النعمة التي وُهبت لهم، بمعنى أنهم قد حصلوا على قطرة من عمق البحر العظيم، ويجدونها ـ ساعة بساعة ويوماً بيوم ـ إنها عمل عجيب مدهش حتى أن الإنسان الذي يكون تحت تأثيرها ينذهل ويتعجب من فاعلية عمل الله الغريب والعجيب حتى أنه لا يستطيع أن يتصور كيف حصل على هذه الحكمة والاستنارة.

وبعد هذا فإن النعمة تنيره، وترشده وتعطيه سلاماً وتجعله صالحاً من كل الوجوه إذ أن النعمة نفسها إلهية وسماوية، ولذلك فإنه بالمقارنة به يحسب الملوك والرؤساء والنبلاء أقل منه وبلا قيمة. ولكن بعد وقت يتغير الحال، حتى أن مثل هذا الإنسان يحسب نفسه خاطئاً أكثر من الجميع. وأيضاً في وقت آخر يرى نفسه ضعيفاً وفي غاية العوز والفاقة. وحينئذٍ فإن العقل يقع في حيرة وارتباك، لماذا

تكون الأحوال متقلبة هكذا؟ لأن الشيطان إذ هو يكره الصلاح والخير فإنه يوحى بأمور شريرة لأولئك الذين يتبعون الفضيلة ويسعى أن يُلقى بهم أرضاً ـ فإن هذا هو عمله.

ثق في الرب الذي يقودك وأطعه :

ولكن لا تخضع للشيطان، بينما أنت تتمّم البرّ الذي يتحقق في الإنسان الباطن، حيث يوجد كرسي دينونة المسيح مع أقداسه الطاهرة حتى أن شهادة ضميرك تفتخر بصليب المسيح، الذي "طهر ضميرك من الأعمال الميتة" (عب٩:١٤)، لكي تخدم الله بالروح. ولكي تعرف من الذي تعبده على حسب قول الرب حينما قال " نحن نسجد لما نعلم" (يو٤:٢٢). ثق في الله الذي يقودك وأطعه وأجعل نفسك في شركة مع المسيح كالعروس مع عريسها. لأن " هذا السر عظيم، ولكنى أقول عن المسيح" (أف٥:٣٢) والنفس التي بلا لوم، له المجد إلى الأبد آمين

العظة التاسعة والثلاثون
لماذا أعطانا الله الكتاب المقدس

١ ـ كما أن الملك يكتب رسائل لأولئك الذين يريد أن ينعم عليهم بامتيازات خاصة وهبات فريدة، ويقول لهم : " بادروا بالمجيء إلىّ سريعاً لتنالوا منى الهبات الملوكية"، فإذا لم يذهبوا ويأخذوها فإن مجرد قراءة الرسائل لا تفيدهم شيئاً بل بالعكس فإنهم يكونون معرضين لخطر الموت لأنهم رفضوا أن يأتوا لينالوا الكرامة من يد الملك. هكذا الله الملك الحقيقي، قد أرسل الكتب المقدسة كرسائل منه للبشر، وهو يعلن عن طريقها للناس أنه ينبغي أن يأتوا إلى الله ويدعونه بإيمان ويسألوا ويأخذوا الموهبة السماوية من الله نفسه، لأنه مكتوب " لتصيروا شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط١:٤) ولكن إذا لم يأتِ الإنسان ويسأل وينال، فإنه لا يستفيد شيئاً من قراءته للكتاب، بل بالأحرى فإنه يكون في خطر الموت لأنه لم يرد أن يأخذ عطية الحياة من الملك السماوي، التي بدونها لا يمكن الحصول على الحياة الأبدية غير المائتة، التي هي المسيح نفسه. الذي له المجد إلى الأبد آمين

العظة الأربعون
ارتباط الفضائل معاً

إن جميع الفضائل مرتبط بعضها ببعض، كذلك أيضاً الرذائل، مثل حلقات السلسلة المرتبط أحدها بالآخر.

ارتباط الفضائل معاً :

١ ـ فيما يخص الممارسة الخارجية وأي عمل منها هو الأفضل أو الأحسن، فأعرفوا هذا أيها الأحباء، أن جميع الفضائل مرتبطة بعضها ببعض. فكل فضيلة مرتبطة بالأخرى مثل سلسلة روحية: فالصلاة مرتبطة بالمحبة، والمحبة بالفرح، والفرح بالوداعة، والوداعة بالتواضع، والتواضع بالخدمة، والخدمة بالرجاء، والرجاء بالإيمان، والإيمان بالطاعة، والطاعة بالبساطة. وكذلك من الجهة الأخرى فإن الرذائل مرتبطة إحداها بالأخرى: فالبغضة مرتبطة بالغضب، والغضب بالكبرياء، والكبرياء بالمجد الباطل، والمجد الباطل بعدم الإيمان، وعدم الإيمان بقساوة القلب، وقساوة القلب بالإهمال، الإهمال بالكسل، والكسل بالضجر، والضجر بعدم الصبر، وعدم الصبر بمحبة اللذة. وباقي أجزاء الرذيلة هي بالمثل متعلقة بعضها ببعض كما أنه من الجهة الصالحة فإن الفضائل متعلقة بعضها ببعض ومرتبطة معاً.

أهمية المواظبة على الصلاة :

٢ ـ ولكن رأس كل سعى صالح، والقوة الموجهة والقائدة لكل عمل حسن إنما هو المواظبة على الصلاة. ومنها يمكن أن نحصل يومياً على بقية الفضائل عن طريق طلبها من الله في الصلاة. وبواسطة الصلاة تتولّد الشركة في قداسة الله في أولئك الذين يُحسبون أهلاً لها، وتتولّد فيهم الطاقة الروحانية والتصاق العقل بالرب وميله إليه بمحبة تفوق الوصف لأن الإنسان الذي يغصب نفسه كل يوم للمواظبة على الصلاة، فإنه يشتعل بالحب الإلهي ويتقد برغبة نارية من الحب الروحاني نحو الله ، وينال نعمة كمال تقديس الروح.

درجات في الملكوت :

٣ ـ سؤال: حيث إن هناك البعض يبيعون ممتلكاتهم، ويطلقون عبيدهم أحراراً، ويحفظون الوصايا، ومع ذلك فإنهم لا يسعون لنوال الروح في هذا العالم. فهل بعيشهم هكذا لا يدخلون إلى ملكوت السموات؟

جواب: هذا موضوع دقيق وحساس. فإن البعض يتكلمون عن ملكوت واحد وجهنم واحدة. ولكننا نحن نتكلم عن درجات كثيرة ومقاييس متنوعة في كل من الملكوت وجهنم. وكما أنه توجد نفس واحدة في جميع الأعضاء، ولكنها تعمل في المخ من فوق وفي نفس الوقت تحرك القدمين من أسفل، هكذا أيضاً فإن الله يحتوى كل الخلائق، السماوية والتي في عمق الهاوية، وهو يملأ الخليقة في كل مكان رغم أنه متعالي جداً على الخلائق، لأنه غير محدود ويفوق كل فهم وإدراك. وإن الله ينظر إلى الناس ويهتم بهم بنوع خاص. ويقود كل الأشياء بتدبير عنايته بحسب الحكمة. وحينما يصلى البعض غير عارفين ما هو الذي يطلبونه، بينما يصوم آخرون، وآخرون يواظبون على خدمتهم، فإن الله كقاض عادل يعطى كل

واحد حسب مقدار إيمانه. لأنهم إنما يفعلون ما يفعلونه بتقوى الله. ولكن ليس جميع هؤلاء بنين أو ملوك أو ورثة.

٤ ـ ويوجد في العالم بعض قتلة الناس، ويوجد آخرون زناة، وآخرون سارقون. كما أنه يوجد أولئك الذين يوزعون مقتنياتهم على الفقراء: وعين الرب على كل من هذين النوعين. وأما الذين يفعلون الخير فإنه يعطيهم راحة ومكافأة. فإنه توجد درجات عالية، ودرجات صغيرة. وفي النور وفي المجد توجد درجات. وفي جهنم نفسها وفي العقاب يظهر أنه يوجد سحرة ولصوص كما أنه يوجد آخرون ممن ارتكبوا خطايا أقل. وأما الذين يقولون إن الملكوت درجة واحدة وكذلك جهنم وإنه لا توجد درجات فقولهم خطأ. وكم من الناس العالميين الذين هم الآن دائماً في الملاهي وغيرها من الأمور الباطلة. وكم هم أولئك الذين يُصلّون لله ويتقونه! وأن الله ينظر إلى هؤلاء وأولئك، وكقاض عادل، فإنه يعد الراحة لهؤلاء والعقاب لأولئك الآخرين.

٥ ـ وكما أن الناس يروضون الخيول ويقودون بها المركبات في سباق ضد بعضهم البعض، وكل واحد يجتهد أن ينتصر على منافسه ويهزمه، هكذا يوجد أيضاً مثل هذا الصراع في قلب أولئك الذين يجاهدون. فالأرواح الشريرة تحارب النفس، بينما الله والملائكة يراقبون الحرب ويلاحظونها. وفي كل ساعة تخرج من النفس أفكار جديدة وكذلك الشر الذي يحارب في الداخل يُخرج أفكاراً جديدةً. إن النفس لها خطط كثيرة خفيّة. وهى تنتج هذه الخطط وتلدها في وقتها المعين. والشر أيضاً له خطط وحيل كثيرة، وهو يُولّد اختراعات جديدة ضد النفس ساعة بعد ساعة. إن العقل هو قائد العربة وهو يروض عربة النفس مُمسكاً بعناق الأفكار، وهكذا يحارب ضد عربة الشيطان التي يقودها ضد النفس .

بين العكوف على الصلاة ومحبة الأخوة :

٦ ـ سؤال: إن كانت الصلاة هي راحة للنفس، فكيف يقول البعض: نحن لا نستطيع أن نصلى ولا أن نلازم الصلاة دواماً ولذلك لا يواظبون على الصلاة بتواتر؟

جواب: حينما تكثر الصلاة فإنها تنشيء رأفة ورحمة، وصور أخرى من الخدمة، مثل افتقاد الاخوة لأجل خدمتهم بالكلمة. والإنسان بطبيعته يرغب في الذهاب لرؤية الأخوة وليكلمهم بالكلمة. وكل شيء يُلقى في النار لا يمكن أن يبقى على طبيعته بل بالضرورة يصير ناراً. فإذا ألقيت حجارة صغيرة في النار فإنها تتحول إلى جير. والإنسان الذي يريد أن يدخل إلى البحر ويذهب إلى وسط المحيط فإنه يغطس تماماً ويختفي عن الأنظار. أما الذي يذهب رويداً رويداً فإنه يرغب أن يرجع ثانية ويطفو على السطح ويأتي إلى الميناء ليرى الناس الذين على الشاطئ. هكذا أيضاً في الحياة الروحانية، فقد يدخل إنسان إلى حياة النعمة، ثم يتذكر أن له

رفقاء واخوة، وهو بطبيعته البشرية أيضا يريد أن يذهب إلى الاخوة ليتمّم ناموس المحبة، وذلك كاعة للكلمة.

النعمة والخطية :

٧ ـ سؤال: كيف يمكن أن تكون النعمة والخطية كلاهما معاً في قلب الإنسان؟

جواب: كما إنه حينما توجد نار تحت إناء نحاس فإنك حينما تضع حطباً أوخشباً لإضرام هذه النار تحت الإناء فإنه يسخن ويغلى الماء الذي بداخله لأن النار خارج الإناء تشتعل من تحته، أما إذا أهمل الإنسان ولم يضع وقوداً لهذه النار تحت الإناء فإنها تبتدئ في الخمود وتنطفئ إلى حد ما. هكذا النعمة، التي هي النار السماوية فإنها في داخلك ومن خارجك. فإذا كنت تصلى وتسلّم أفكارك لمحبة المسيح تكون قد وضعت وقوداً للنار. كما أن أفكارك تصير ناراً وتُغمر تماماً في محبة الله. وحتى إذا انسحب الروح قليلاً كما لو كان خارجاً عنك، فإنه لا يزال في داخلك، وعلاماته تظهر من الخارج. أما الذي يهمل ويسلّم نفسه للانشغالات العالمية أو للهموم، فإن الخطية تأتى ثانية وتدخل إلى النفس وتؤذى الإنسان كله. ولذلك فإن النفس تذكر راحتها السابقة، وتحزن وتتألم فترة طويلة.

٨ ـ ويعود العقل لليقظة والانتباه لله فتعود الراحة السابقة وتقترب منه من جديد. ويسعى في طلب الرب بغيرة واجتهاد شديد قائلاً " يارب إني أتوسل إليك". وقليلا قليلاً تشتعل النار وتضطرم وتزداد وتنعش النفس وتقويها، مثل الصنارة التي تجذب السمكة من عمق البحر رويداً رويداً. ولو لم يكن الأمر هكذا، ولو لم يذق الإنسان المرارة والموت، فكيف كان يمكنه أن يميز المر من الحلو، والموت من الحياة، وأن يعطى الشكر والمجد للآب معطى الحياة والابن والروح القدس إلى الأبد أمين

العظة الحادية والأربعون
أعماق النفس

أعماق النفس عميقة جداً، وهى تتأثر بمقدار درجة النعمة أو درجة الشر.

١ ـ إن إناء النفس الثمين هو عميق جداً، كما هو مكتوب " هو يفحص العمق والقلب" (ابن سيراخ٤٢:١٨). لأنه حينما حاد الإنسان عن الوصية وصار تحت دينونة الغضب فإن الخطية أخذته تحت سلطانها، وحيث إن الخطية هي نفسها هاوية عميقة من المرارة فقد دخلت إلى داخل أعماق الإنسان واستولت على مراعى النفس حتى إلى أقصى أعماقها.

اختلاط الخطية بالنفس :

وهكذا يمكننا أن نشبه النفس والخطية حينما اختلطت بها كما لو أن هناك شجرة كبيرة جداً ذات فروع كثيرة وتضرب بجذورها في أقصى أعماق الأرض. هكذا الخطية فقد دخلت إلى الداخل وملكت على مراعى النفس العميقة، حتى أنها صارت مألوفة وملازمة للإنسان وتنمو مع كل شخص منذ طفولته وتعاشره وتعلّمه أموراً شريرة.

عمل النعمة الإلهية والاجتهاد :

٢ ـ لذلك فحينما يظلل عمل النعمة الإلهية على النفس بحسب مقدار إيمان كل واحد، وينال الإنسان معونة من فوق فإن النعمة تظلّله جزئياً فقط. لذلك فلا يتصور أحد أن نفسه قد استنارت كلها مرة واحدة استنارة كلّية. فلا يزال يوجد قدر من الخطية في الداخل، ويحتاج الإنسان إلى تعب وكد كثيرين على حسب النعمة المعطاة له. ولهذا السبب تبتدئ النعمة أن تفتقد الإنسان جزئياً مع أنها تملك القوة أن تُطهر الإنسان وتكمله في ساعة من الزمان. ولكنها تفتقد الإنسان جزئياً لكي تمتحن قصد الإنسان لترى هل يحفظ حبه نحو الله كاملاً، بحيث لا يتفاوض مع الشرير في أي وقت بل يسلّم نفسه كلية للنعمة وبهذه الطريقة عندما تنجح النفس مرة بعد مرة، وهى لا تُحزن النعمة في أي أمر، فإن الإنسان ينال معونة متزايدة، والنعمة نفسها تجد مرعى لها في النفس وتضرب بجذورها إلى أعماق أعماقها وفي كل أفكارها، إذ توجد النفس مقبولة وموافقة للنعمة بعد تجارب كثيرة، إلى أن تتشبّع النفس تماماً بالنعمة السماوية التي تبدأ منذ ذلك الوقت فصاعداً أن تملك في الإناء نفسه[١].

التواضع:

٣ـ ولكن أي شخص لا يثبت في تواضع كثير، فإنه يُسلّم للشيطان ويتعرى من النعمة الإلهية التي سبق أن أعطيت له فيُجرّب بشدائد كثيرة. وحينئذ يعرف نفسه على حقيقتها وأنه عريان وشقى. ولذلك فإن الذي يكون غنياً في نعمة الله ينبغي أن يكون متضعاً جداً وله قلب منسحق، وأن يعتبر نفسه فقيراً ولا يملك شيئاً. وأن ما هو له لا يخصه وإنما قد ناله من آخر ويمكن أن يؤخذ منه حينما يشاء الذي أعطاه. فالذي يتواضع هكذا أمام الله والناس يستطيع أن يحفظ النعمة المعطاة له كما يقول الرب " من يضع نفسه يرتفع" (لو١٤:١١) ورغم أنه مختار من الله، فليعتبر نفسه كأنه مرذول. ورغم أنه أمين حقاً فليعتبر نفسه غير مستحق. إن مثل هذه النفوس تكون مرضّية لله، وتحيا وتنال الحياة بالمسيح، الذي له المجد والقوة إلى الأبد آمين.

(١) إناء النفس أي أعماقها راجع فقرة ١ .

العظة الثانية والأربعون
روح النعمة وروح الشر

ليست الأشياء الخارجية هي التي تنمى الإنسان أو تؤذيه، بل الداخلية أي روح النعمة أو من الجهة الأخرى روح خبث.

الروح القدس حصن النفس :

١ـ إذا افترضنا أن هناك مدينة عظيمة ولكنها هُجرت وهُدمت أسوارها وأخذها الأعداء، فإن عظمتها لا تنفعها شيئاً. بل لابد من عناية وحرص كثيرين يتناسبان مع عظمة المدينة، لذا ينبغي أن يكون لها أبواب قوية حتى لا يستطيع العدو أن ينفذ إليها. وبنفس الطريقة فإن النفوس المُزينة بالمعرفة والفهم وحِدّة الفهم هي مثل المدن العظيمة. ولكن ينبغي أن نسأل هل هذه النفوس مُحصّنة بقوة الروح القدس حتى لا يستطيع الأعداء أن يدخلوا إليها ويخرّبوها. فإن حكماء العالم مثل أرسطو وأفلاطون وسقراط الذين كانوا ماهرين في المعرفة كانوا مثل مدن عظيمة ولكنهم كانوا في حالة خراب بسبب الأعداء لأن روح الله لم يكن فيهم.

٢ ـ ولكن كثيرين من بسطاء الناس الذين صاروا شركاء في النعمة، هم مثل مدن صغيرة ولكنها مُحصنة بقوة الصليب، وهؤلاء لا يسقطون من النعمة إلاّ لسببين: إما لأنهم لا يحتملون الشدائد التي تأتى عليهم، أو لأنهم يتذوقون لذّات الخطية ويستمرون فيها بلا توبة؟ فإن أولئك الذين يسيرون في طريق الملكوت لا يستطيعون أن يمضوا فيه بدون تجارب.

فلاحة النفس بالاحتمال والصبر:

وكما أنه في حالة الحمل وولادة الأطفال فإن المرأة الفقيرة والملكة كلتاهما تتوجعان بأوجاع مخاض واحدة، وأيضاً أرض الإنسان الغنى مثل أرض الفقير إن لم تنل التفليح اللازم لها فإنها لا تأتى بالثمر المناسب.
هكذا أيضاً في فلاحة النفس فلا الإنسان الحكيم ولا الإنسان الغنى يملك في النعمة إلاّ بالصبر والاحتمال والشدائد والأتعاب، فإن حياة المسيحيين ينبغي أن تتحمل كل هذه، وكما أن العسل إذ هو حلو لا يظهر منه سم أو مرارة، هكذا فإن مثل هؤلاء المسيحيين هم مملؤون حلاوة وخيراً لكل الذين يقتربون منهم سواء كانوا صالحين أو أشراراً كما يقول الرب " كونوا صالحين مثل أبيكم السماوي" (لو٦:٣٦، مت٥:٤٨).

خلع الإنسان العتيق ولبس الجديد :

إن الذي يؤذى الإنسان ويلوثه هو من الداخل لأنه " من القلب تخرج الأفكار الشريرة" (مت١٥:١٩) هكذا يقول الرب، فإن الأشياء التي تنجس الإنسان هي من الداخل.

٣ ـ فإنه من الداخل يزحف روح الشر في داخل النفس، وهو يحاور العقل، وهو يغرى، هذا هو حجاب الظلمة، أي الإنسان العتيق (٢كو ٥:١٧). الذي ينبغي أن يخلعه أولئك الذين يهربون إلى الله، وينبغي أن يلبسوا الإنسان السماوي الجديد، الذي هو المسيح (أف٤:٢٢، كو٣:٨). إذن فلا يضر الإنسان أو يؤذيه شيء من الخارج وإنما يؤذيه فقط روح الظلمة الذي يسكن في القلب، حياً ونشطاً. لذلك ينبغي على كل واحد في هذه المعركة أن يحارب في أفكاره ضد الشر لكي يضئ المسيح في قلبه، الذي له المجد إلى الأبد، آمين

العظة الثالثة والأربعون
القلب

عظة بخصوص نمو المسيحي وتقدمه، وأن كل قوة هذا النمو تعتمد على القلب ، كما هو موصوف هنا بطرق متنوعة.

المصابيح :

١ ـ كما أن الأنوار والمصابيح الكثيرة تشتعل من نار واحدة، وهذه الأنوار والمصابيح المشتعلة هي من طبيعة واحدة، كذلك المسيحيون يشتعلون ويضيئون من طبيعة واحدة، هي النار الإلهية، أي ابن الله، ولهم مصابيحهم مشتعلة في قلوبهم، وتضئ قدامه، بينما هم يعيشون على الأرض كما أضاء هو. فإنه مكتوب: " من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن البهجة" (مز٤٥:٧). ولهذا السبب سُمى مسيحاً، حتى إذا مُسحنا نحن أيضاً بنفس الدهن الذي مُسح به هو، فإننا نصير مُسحاء من نفس الطبيعة الواحدة والجسد الواحد. ومكتوب أيضاً " فإن المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد" (عب٢:١١).

٢ ـ لذلك فالمسيحيون من وجهة معينة هم مثل المصابيح التي تحوى الزيت في داخلها، أي ثمار البرّ. ولكنهم إن لم يشتعلوا بالنور الإلهى في داخل نفوسهم فإنهم ليسوا شيئاً، ولقد كان الرب هو المصباح المشتعل، بسبب روح الله الحالّ في أعماقه والذي يشعل قلبه.
ولنأخذ مثالاً آخر: مثل الكيس البالى المملوء بالجواهر، هكذا أيضاً المسيحيون فإنهم ينبغي أن يكونوا متضعين ومحتقرين من الخارج، ولكنهم من

الداخل في الإنسان الباطن، يملكون " الجوهرة الكثيرة الثمن" (مت١٣:٤٦). بينما هناك آخرون يشبهون " قبوراً مبيضة تظهر من الخارج منقوشة ومزينة ولكن من الداخل مملوءة عظام أموات" (مت٢٣:٧) وعفونة كثيرة وأرواح نجسة. إنهم أموات أمام الله وهم لابسون كل عار وخزي ونجاسة مع ظلام العدو.

القاصر والابن :

٣ ـ يقول الرسول إن الطفل مادام قاصراً فإنه تحت أوصياء ووكلاء (غل٤:٢)، من أرواح الشر التي لا تريد الطفل أن ينمو لئلا يصير إنساناً بالغاً ويبدأ أن ينظر إلى الأمور المختصة ببيت أبيه ويمتلك السيادة كابن للبيت. فالمسيحي ينبغي أن يذكر الله في قلبه في كل الأوقات كما هو مكتوب " تحب الرب إلهك من كل قلبك" (تث٦:٥، مت٢٢:٣٧). فينبغي له أن يحب الرب ليس حين يذهب إلى مكان العبادة فقط، بل في السير والكلام والأكل يحتفظ بذكر الرب ويحبه بكل قلبه. إنه مكتوب " حيث يكون قلبك هناك يكون كنزك أيضاً" (مت٦:٢١، لو١٢:٣٤).

لأن ما يرتبط به قلب الإنسان وما تتجه إليه رغبته فهذا هو إلهه. فإن كان القلب يشتهي الله كل حين فيكون الله هو رب هذا القلب. أما إذا تخلى الإنسان عن أملاكه وتجرّد من كل شيء وصار بلا مأوى وكان يمارس الأصوام، ولكنه لا يزال متعلقاً بحب نفسه أو بحب الأشياء العالمية أو بحب بيته أو والديه فحيثما يكون قلبه مقيداً ويكون عقله أسيراً يكون هناك إلهه، ويكون قد خرج من العالم من الباب الأمامي ولكنه دخل ثانية إلى العالم وألقى نفسه فيه من الباب الجانبي .

الشياطين تتلاشى بقوة النار الإلهية :

وكما أن القضبان التي تُلقى في النار لا تستطيع أن تقاوم قوة النار بل تحترق سريعاً، هكذا فإن الشياطين التي تسعى أن تحارب ضد إنسان نال قوة بالروح، فإنها تحترق وتتلاشى بقوة النار الإلهية إن كان الإنسان ملتصقاً بالرب كل حين واضعاً ثقته ورجاءه فيه. وحتى إن كان الشياطين أشداء كالجبال القوية، فإنهم يحترقون بالصلاة، كما يذوب الشمع في النار.

ولكن في نفس الوقت هناك نضال كبير وحرب عظيمة للنفس ضد الشياطين وهناك تنانين وأفواه أسود ونار مشتعلة في النفس.

فإن المنغمس في الشر تماماً الذي يسكر بروح الإثم، لا يشبع من الشر سواء كان قتلاً أو زنى، أما المسيحيون المُعمّدون بالروح القدس فليس لهم شركة مع الشر بالمرة.

ولكن أولئك الذين يختبرون النعمة ولكنهم مع ذلك يتهاونون مع الخطية فإن الخوف يسيطر عليهم فيعيشون حياتهم في اضطراب وقلق.

٤ ـ لأنه كما أن التجار أثناء سفرهم في البحر حتى إذا وجدوا الريح موافقة والبحر هادئاً، ولكنهم لأنهم لم يصلوا بعد إلى الميناء فإنهم لا يزالون معرضين للخوف لئلا تهب فجأة ريح معاكسة، فتهيج البحر وترتفع الأمواج وتصبح السفينة في خطر، هكذا المسيحيون أيضاً حتى وإذا كان لهم في نفوسهم ريحاً موافقة من الروح القدس، إلاّ أنه يحترسون لئلا تثور عليهم روح القوة المضادة وتسبب الاضطرابات وتثير العواصف على نفوسهم.

الحاجة إلى السهر واليقظة :

لذلك، فهناك حاجة إلى سهر كثير ويقظة لكي ما نصل إلى ميناء الراحة في العالم الكامل، وإلى الحياة الدائمة والسعادة الأبدية إلى مدينة القديسين، أورشليم السماوية، إلى "كنيسة الأبكار" (عب١٢:٢٣). فإذا لم يعبر الإنسان في هذه الدرجات فإنه يكون تحت تأثير الخوف من أن تسبب له القوى الشريرة سقوطاً في أي وقت من الأوقات.

حفظ الزرع الإلهى في القلب :

٥ ـ وكما أن المرأة التي تحمل يكون الجنين في داخل بطنها في ظلام ومختفياً عن العيون، ولكن حينما يخرج الجنين في الميعاد المناسب من البطن فإنه يرى خليقة جديدة لم يكن قد رأها قبلاً، يرى السماء والأرض والشمس، ويبدأ الأصدقاء والأقرباء يأخذونه بين ذراعيهم بوجوه فرحة، ولكن إذا حدث شيءللجنين قبل ولادته حينئذ يتدخل الجراحون ويضطرون إلى استعمال الآلات الحادة حتى أن الطفل يعبر من موت إلى موت ومن ظلام إلى ظلام.
طبقوا هذا أيضاً على الحياة في الروح، فإن كل الذين نالوا الزرع الإلهى فإنهم ينالونه في الخفاء بطريقة غير منظورة، وبسبب الخطية الساكنة فيهم أيضاً فإنهم يخفون الزرع الإلهى في أماكن خفية في داخلهم. فإذا حفظوا نفوسهم وحفظوا الزرع الإلهى فإنهم في الوقت المناسب يُولدون ثانية بشكل منظور وبعد ذلك عند انحلال الجسد تستقبلهم الملائكة وكل الأرواح السماوية بوجوه فرحة. ولكن إن كان الإنسان بعد أن ينال أسلحة المسيح ليقاتل بشجاعة، يتكاسل ويهمل، فإنه يقع في أيدى الأعداء وعند انحلال الجسد يعبر من الظلمة التي تحيط به الان إلى ظلمة أردأ، وإلى الهلاك .

البستان والقلب :

٦ ـ مثال آخر: بستان يحوى أشجاراً كثيرة مثمرة ونباتات أخرى ذات رائحة عطرة وهو مُنسق تنسيقاً حسناً وجميلاً، وله سور صغير ليحفظه، فإذا افترضنا أن نهراً متدفقاً بقربه، فإنه حتى لو كان الماء الذي يصدم السور قليلاً فإنه

يُفسد الأساس شيئاً فشيئاً ويحفر له مجرى حتى ينهدم السور من أساسه فتدخل المياه وتفسد النباتات وتقتلعها وتشوه جمال البستان وتجعله بلا ثمر.

هكذا الحال أيضاً مع قلب الإنسان. فالقلب فيه أفكار صالحة، ولكن أنهار الشر تجرى دائماً بالقرب من القلب وهى تسعى أن تشده إلى أسفل وتجتذبه إلى ناحيتها، فإذا مال العقل قليلاً إلى الطيش وإلى الأفكار النجسة، فإن أرواح الخطية تجد مكاناً فيه وتدخل وتفسد كل الجمال الذي كان للداخل وتمحو الأفكار الصالحة وتترك النفس خربة.

العين والقلب :

٧ ـ وكما أن العين عضو صغير بالمقارنة بكل أعضاء الجسم، وإنسان العين صغير جداً إلاّ أنه عظيم للغاية، فإنه بنظرة واحدة يرى السماء والنجوم والشمس والقمر والمدن والمخلوقات الأخرى. وهذه المخلوقات نفسها التي تُرى بنظرة واحدة، إنما تتشكل وتتصور في إنسان العين الصغير. هكذا أيضاً العقل بالنسبة إلى القلب، فالقلب صغير ومع ذلك يوجد فيه تنانين وأسود ووحوش سامة وكل ينابيع الشر إلى جانب المهالك والطرقات الوعرة الخشنة، وفي نفس الوقت يوجد فيه الله نفسه، والملائكة والرسل، ويوجد فيه الحياة والملكوت والنور، كذلك المدن السماوية وكنوز النعمة كل هذه توجد فيه.

وكما أن السحابة إذا امتدت على العالم كله تجعل الإنسان لا يرى صاحبه، كذلك ظلمة هذا الدهر الممتدة على كل الخليقة وعلى كل الطبيعة البشرية منذ وقت العصيان، فإن البشر منذ ذلك الحين إذ ظلّلتهم الظلمة، صاروا في الليل، وهم يصرفون حياتهم حيث الخوف والرعب. وكما يخيّم الدخان الكثيف على غرفة البيت، هكذا هي الخطية مع أفكارها النجسة، فإنها تملك على أفكار القلب وتزحف فيها، ومعها شياطين بلا عدد.

سماع الكلمة ونوال نعمة الروح:

٨ ـ وكما يحدث في الأمور المنظورة حولنا أنه في وقت الحرب، لا يذهب الحكماء والعظماء إلى الحرب، بل يذهب الرعاع والمساكين والأميون[١]، فإذا حدث أنهم انتصروا على الأعداء وطردوهم بعيداً عن الحدود فإنهم ينالوا مكافأت وترقيات وأكاليل من الملك. وأما أولئك العظماء فإنهم يتخلفون وراءهم.

هكذا هو الحال أيضاً في المجال الروحانى فإن البسطاء يسمعون الكلمة ويعملون بها عن حب للحق وشوق في قلوبهم، فينالون من الله نعمة الروح. وأما الحكماء الذين يسعون وراء بلاغة الكلام بلا حب للحق فإنهم يهربون من الحرب ولا يتقدمون، وبذلك يصيرون وراء أولئك الذين حاربوا وانتصروا.

٩ ـ وكما أن الرياح عندما تهب بشدة، فإنها تهز كل المخلوقات التي تحت السماء وتصنع صوتاً عظيماً جداً، كذلك قوة العدو فإنها تهاجم الأفكار وتشوشها، وتهز أعماق القلب وتلقى في الفكر شكوكاً شريرة.

السعي في طلب النعمة :

وكما أنه يوجد مكاّسون[٢] يجولون في الطرق الضيقة ويمسكون بالعابرين ويغتصبون منهم أموالهم، هكذا فإن الشياطين يتجسسون على النفوس ويحاولون أن يمسكوا بها. وعند خروج النفوس من الأجساد، فإنها إن لم تكن مُطهرة تماماً فإنهم لا يدعونها تصعد إلى منازل السماء لتلاقى الرب بل تسقطها شياطين الهواء إلى أسفل.

وأما إن كانت وهى في الجسد تسعى وتطلب من الرب نوال النعمة التي من الأعالي فإن هذه النفوس بلا شك تشترك مع أولئك الذين سبق أن دخلوا بسيرتهم الفاضلة، وتمضى معهم إلى الرب كما وعد هو قائلاً: " حيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي" (يو١٢:٢٦). ويملكون إلى أبد الدهور مع الآب والابن والروح القدس، الآن وإلى دهر الدهور آمين.

---

[١] هكذا كان يحدث قديماً.
[٢] محصلوا المكوس : أي الضرائب .

العظة الرابعة والأربعون
تغيير وتجديد الإنسان بالمسيح

التغيير والتجديد الذي يعمله المسيح في الإنسان المسيحي، وأن المسيح هو الذي يشفي أوجاع النفس وأمراضها.

ضرورة التغيير :

١ ـ إن من يأتي إلى الله، ويرغب أن يكون بالحق شريكاً للمسيح ينبغي أن يأتي واضعاً في نفسه هذا الغرض: ألا وهو أن يتغير ويتحوّل من حالته القديمة وسلوكه السابق، ويصير إنساناً صالحاً جديداً ولا يتمسك بشيء من الإنسان العتيق. لأن الرسول يقول " إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥:١٧) وهذا هو نفس الغرض الذي من أجله جاء ربنا يسوع، أن يغيّر الطبيعة البشرية ويحوّلها ويجدّدها ويخلق النفس خلقة جديدة، النفس التي كانت قد انتكست بالشهوات بواسطة التعدي. وقد جاء المسيح لكي يوّحد الطبيعة البشرية بروحه الخاص، أي روح الله، وهو قد أتى لكي يصنع عقلاً جديداً، ونفساً جديدة، وعيوناً جديدة، وآذاناً جديدة، ولساناً جديداً روحياً، وبالاختصار أناساً جدداً كلية ـ هذا هو ما جاء لكي يعمله في أولئك الذين يؤمنون به. إنه يصيرهم أواني جديدة، إذ

يمسحهم بنور معرفته الإلهي، لكي يصب فيهم الخمر الجديد، الذي هي روحه، لأنه يقول إن " الخمر الجديدة ينبغي أن تُوضع في زقاق جديدة" (مت٩:١٧).

قوة المسيح على تغيير الإنسان وشفائه :

٢ـ وكما أن العدو لما أخضع الإنسان لسيادته غيّره لحسابه الخاص إذ ألبسه الشهوات الشريرة وغطاه بها، ومسحه بروح الخطية، وصب فيه خمر الإثم والتعليم الشرير، هكذا فإن الرب أيضاً إذ قد افتدى الإنسان وأنقذه من العدو، فقد جعله جديداً، ومسحه بروحه، وسكب فيه خمر الحياة، والتعليم الجديد: تعليم الروح، لأن الذي غيّر طبيعة الخمس خبزات وصيرها إلى خبزات تكفي لجمع كثير ، والذي أعطى نطقاً لطبيعة الحمار غير العاقل، والذي غيّر الزانية إلى العفة والطهارة، وجعل طبيعة النار المحرقة برداً على أولئك الذين كانوا في الأتون، والذي غيّر طبيعة الأسد الكاسرة لأجل دانيال، فإنه يستطيع أيضاً أن يغيّر النفس التي كانت مقفرة وشرسة، من الخطية إلى صلاحه الخاص ومحبته الشفوقة وسلامه، وذلك " بالروح القدس الصالح (روح الموعد)" (أف١:١٣).

٣ ـ وكما أن راعى الخراف يستطيع أن يشفي الخروف الأجرب ويحميه من الذئاب، كذلك المسيح الراعي الحقيقي فإنه لما أتى أستطاع هو وحده أن يغيّر ويشفي الخروف الضال الأجرب، أي الإنسان من جرب الخطية وبرصها، لأن الكهنة واللاويين ومعلمي الناموس السابقين كانوا غير قادرين أن يشفوا النفس بواسطة تقديم القرابين والذبائح ورش دماء الحيوانات، بل لم يستطيعوا بواسطتها أن يشفوا حتى نفوسهم. فإنهم كانوا محاطين بالضعف. وكما هو مكتوب " لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا" (عب١٠:٤).

الطبيب الحقيقي والراعي الصالح :

ولكن الرب يقول مُظهراً ضعف وعقم أطباء ذلك العهد فقال لهم " على كل حال تقولون لي هذا المثل أيها الطبيب أشفِ نفسك" (لو٤:٢٣) ، فكأنه يقول لهم ـ أنا لست مثل هؤلاء الأطباء الذين لا يستطيعون أن يُشفوا نفوسهم. بل " أنا هو الطبيب الحقيقي والراعي الصالح، الذي يبذل نفسه عن الخراف" (يو١٠:١١)، وأنا أقدر أن أشفي " كل مرض وكل ضعف في النفس" (مت٤:٢٣). أنا هو الحمل الذي بلا عيب، الذي قُدم مرة، وأنا أستطيع أن أشفي أولئك الذين يأتون إلى، إن شفاء النفس الحقيقي إنما هو من الرب وحده كما قال يوحنا المعمدان " هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو١:٢٩)، أي خطية الشخص الذي يؤمن به ويضع رجاءه فيه ويحبه من كل قلبه.

٤ ـ فالراعي الصالح إذن، يشفي الخروف الأجرب. وأما الخروف فلا يستطيع أن يشفي خروفاً مثله. والإنسان ـ أي الخروف العاقل ـ إن لم يحصل على الشفاء، فلا يكون له دخول إلى كنيسة الرب السماوية. وهذا ما قد قيل حتى في الناموس كظل ومثال (لعهد النعمة) بخصوص الأبرص، والرجل الذي فيه عيب. وبهذا المعنى يتكلم الروح رمزياً أن كل أبرص وكل رجل فيه عيب لا يدخل في جماعة الرب (لا٢١:١٧ـ٢٣ عد٥:٢). ولكنه أمر الأبرص أن يذهب إلى الكاهن، ويطلب إليه بإلحاح كثير أن يأخذه إلى الخيمة، وأن يضع يديه على البرص، موضحاً البقعة المُصابة بالمرض، وأن يشفيه.

الشفاء من الخطية ودخول الكنيسة السماوية :

وهكذا بنفس الطريقة فإن المسيح " رئيس الكهنة الحقيقي للخيرات العتيدة" (عب٩:١١) تواضع وانحنى على النفوس المصابة ببرص الخطية وهو يدخل إلى خيمة جسدها ويشفيها ويبرءها من أمراضها. وهكذا بهذه الطريقة يتمكن الشخص من الدخول إلى كنيسة القديسين السماوية أي إسرائيل الحقيقي.

فإن كل نفس مصابة ببرص خطية الشهوات، ولم تأتِ إلى رئيس الكهنة الحقيقي، ولم تشفِ الآن في خيمة القديسين ومجمعهم، فإنها لا تستطيع أن تدخل إلى الكنيسة السماوية. لأن تلك الكنيسة إذ هي طاهرة وبلا عيب فإنها تطلب النفوس الطاهرة والتي بلا عيب. كما يقول الكتاب " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت٥:٩).

٥ ـ فينبغي على الشخص الذي يؤمن بالمسيح حقيقة، أن يتغيّر من حالته الفاسدة الحاضرة إلى حالة جديدة، حالة الصلاح، ويتحوّل من طبيعته الوضيعة الحاضرة إلى طبيعة أخرى، أي طبيعة القداسة الإلهية، ويتجدد بقوة الروح القدس. وهكذا يكون لائقاً للملكوت السماوي.

ويمكننا الحصول على هذه الأشياء إن كنا نؤمن به ونحبه بالحق ونحيا سالكين بحسب جميع وصاياه.

فإن كان الخشب ـ وهو من طبيعة خفيفة عندما ألقى في الماء في زمن إليشع قد أخرج الحديد الثقيل، فكم بالحري جداً عندما يرسل الرب نوره اللطيف الصالح، وروحه السماوي، فإنه بهذا يُخرج النفس التي غرقت في مياه الشر ويجعلها خفيفة ويعطيها جناحين لتطير إلى أعالي السماء، ويحوّلها ويغيّرها عن طبيعتها الخاصة.

٦ ـ وفي العالم المنظور لا يستطيع أحد أن يعبر البحر بنفسه دون أن تكون له سفينة خفيفة مصنوعة من الخشب، وهى التي تستطيع أن تسير على المياه ـ فإن أي إنسان يحاول أن يمشى على البحر بقدميه فإنه يغرق ويهلك.

وبنفس الطريقة لا تستطيع أي نفس أن تعبر بذاتها بحر الخطية المُر والهاوية الخطرة، هاوية قوات الظلمة وأهواء الشر، إن لم تحصل على روح المسيح الخفيف السماوي الذي يعلو ويسير فوق كل شر ويعبر عليه، فبواسطة هذا الروح يستطيع الإنسان أن يصل بطريق مباشر ومستقيم إلى ميناء الراحة السماوية، إلى مدينة الملكوت.

وكما أن أولئك الذين يكونون في السفينة لا يأخذون مياهاً للشرب من البحر، ولا يحصلون منه على ملابس، وطعام لهم، بل يُحضرون كل هذه الأشياء معهم إلى السفينة، هكذا فإن نفوس المسيحيين لا تستمد طعامها من هذا العالم بل من فوق، من السماء. إذ تنال قوتاً سماوياً ولباساً روحياً وهكذا إذ ينالون الحياة من فوق وهم في سفينة الروح الصالح، معطى الحياة، فإنهم يرتفعون فوق قوات الشر المعادية أي الرياسات والسلاطين. وكما أن جميع السفن تُبنى من مادة واحدة، هي مادة الخشب التي بواسطتها يستطيع الناس أن يعبروا البحر، هكذا فمن النور الإلهى السماوي الواحد يحصل المسيحيون على القوة التي بها يرتفعون فوق كل الشرور.

المسيح قائد النفس ومعينها :

٧ ـ ولكن كما أن السفينة تحتاج إلى ربان، وإلى ريح حسنة معتدلة أيضاً لكي تمخر البحر بنجاح، هكذا فإن الرب نفسه يسد كل هذه الاحتياجات للنفس الأمينة. ويحملها فوق العواصف العميقة وأمواج الشر المفترسة وقوات رياح الخطية العاتية.

وهو يفعل هذا باقتدار ومهارة وحكمة إذ يعرف كيف يُهدئ العواصف. لأنه بدون المسيح القائد السماوي لا يستطيع احد أن يعبر البحر الشرير، بحر قوات الظلمة وأمواج التجارب المرة. كما هو مكتوب " يصعدون إلى السموات ويهبطون إلى الأعماق" (مز١٠٧:٢٦). ولكن المسيح له معرفة كاملة كقائد سواء من جهة الحروب أو التجارب. وهو يعبر بالنفس فوق الأمواج الشديدة، كما هو مكتوب " لأنه فيما قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين" (عب٢:١٨).

صلاح الرب وقدرته على التغيير :

٨ ـ لذلك ينبغي أن تتغير نفوسنا وتتحوّل من حالتها الحاضرة إلى حالة أخرى ـ إلى حالة قداسة إلهية وتصير خليقة جديدة بدلاً من العتيقة أي تصير صالحة شفوقة وأمينة بدلاً من كونها في المرارة وعدم الإيمان. وهكذا إذ تصير مناسبة ولائقة فإنها تعود وتسكن في الملكوت السماوي. لأن بولس المغبوط يكتب هكذا عن تغييره الذي به أدركه المسيح قائلاً: " ولكنى أسعى لكي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع" (في٣:١٢).

فكيف أدركه الله إذن؟ إن ذلك يحدث مثلاً حينما يمسك طاغية بمجموعة من الأسرى ويسوقهم قدامه ثم بعد ذلك يدركهم الملك الحقيقي ويخلّصهم منه، وهكذا حينما كان بولس تحت سيادة وتأثير روح الخطية الظالم، فإنه كان يضطهد الكنيسة ويتلفها. ولكن لأنه كان يفعل هذا عن غيرة لله ولكن بجهل، فإنه كان يظن أنه يجاهد لأجل الحق، ولهذا فإن الله لم يهمله بل أدركه، إذ أضاء حوله الملك السماوي الحقيقي بصورة تفوق الوصف وأنعم عليه بأن يسمع صوته، ولطمه كعبد[١] وأطلقه حراً. فأنظر إلى صلاح السيد وقدرته على التغيير، وكيف يستطيع أن يغير النفوس التي كانت مُغلّفة ومقيدة بالخطية والتي تحولت إلى حالة متوحشة وفي لحظة من الزمان يحوّلها إلى صلاحه وسلامه.

تغيير وتجديد نفوسنا هو الغرض من مجيء المسيح في الجسد :

٩ ـ إن كل شيء مستطاع لدى الله! كما حدث في حالة اللص على الصليب. ففي لحظة تغيّر بالإيمان وتحوّل وأُعطىّ أن يدخل إلى الفردوس. وأن الغرض والهدف من مجيء الرب إلينا في الجسد، هو أن يغيّر نفوسنا ويخلقها خلقة جديدة، ويجعلنا " شركاء الطبيعة الإلهية" كما هو مكتوب (٢بط١:٤) وأن يعطى لأرواحنا روحاً سماوية، أي الروح الإلهي، قائداً إيانا إلى كل فضيلة لنستطيع أن نحيا الحياة الأبدية.

نوال تقديس الروح :

لذلك فلنؤمن بكل قلوبنا بمواعيده الفائقة الوصف لأن " الذي وعد هو أمين" (عب١٠:٢٣). لذلك، ينبغي أن نحب الرب ونجتهد أن نحيا في كل فضلية ونطلب بلا انقطاع ونصلى باستمرار لكي ننال موعد روحه تماماً وبصورة كاملة، لكيما تدخل نفوسنا إلى الحياة وتوجد فيها ونحن لا نزال في الجسد.

لأنه إن لم ينل الإنسان وهو في هذا العالم، تقديس الروح بكثرة الإيمان والصلاة، ويصير "مشتركاً" في الطبيعة الإلهية، ويتشرّب النعمة، التي بها يستطيع أن يتمم كل وصية بنقاوة وبلا لوم فإنه لا يكون مُعداً ولائقاً لملكوت السموات. لأن كل صلاح يحصل عليه الإنسان هنا في هذا العالم هو نفسه سيكون له حياة يحيا بها، في ذلك اليوم بنعمة الآب والابن والروح القدس إلى الأبد آمين.

---

[١]لعل في هذا إشارة إلى العادة التي كانت عند اليهود إذ كانوا يضربون العبد على وجهه كعلامة على إعطائه الحرية

العظة الخامسة والأربعون
حضور المسيح وحده يخلص الإنسان ويشفيه

لا يستطيع العلم ولا يستطيع غنى هذا العالم أن يشفي نفس الإنسان بل حضور المسيح فقط هو الذي يشفيه، وفي هذه العظة شرح لقرابة الإنسان العظيمة لله.

١ـ إن الذي اختار حياة العزلة، ينبغي أن يعتبر أن جميع الأشياء الخاصة بهذا العالم، أجنبية وغريبة عنه، فالذي يتبع صليب المسيح حقاً فإنه بعد أن ينكر كل الأشياء حتى نفسه أيضاً (لو ١٤:٢٦) ينبغي أن يسمّر عقله في حب المسيح، فيفضّل الرب على الوالدين والأخوة والزوجة والأولاد والأقرباء والأصدقاء والممتلكات لأن هذا ما علّم به الرب حينما قال: " كل من لا يترك أباه أو أمه أو أخوته أو زوجته أو أولاده أو حقوله ويتبعني فلا يستحقني" (انظر مت ١٠:٣٧، لو ١٤:٢٦، مت١٩:٢٩). فليس بأحد غيره أو بشيء غيره الخلاص والسلام للناس كما سمعنا.

التغيير الذي أصاب النفس بالسقوط :

فكم من ملوك ظهروا من نسل آدم وملكوا على الأرض كلها وظنوا في أنفسهم شيئاً عظيماً بسبب سلطانهم الملوكي، ومع ذلك لم يستطيع أي واحد منهم رغم كل ما له من سلطان أن يكشف الشر الذي تغلغل في النفس بسبب معصية الإنسان حتى جعلها مظلمة تماماً.

إنهم لم يعرفوا خطورة التغيير الذي أصاب النفس، وكيف أن العقل كان في الأصل نقياً، وكان في كرامة عظيمة إذ كان يتأمل إلهه دائماً، وأما الآن فبسبب السقوط فقد اكتست النفس بالعار وعميت عينا القلب حتى لم تعودا تنظرا ذلك المجد الذي كان ينظره أبونا آدم قبل معصيته.

العلم والحكمة لا تخلّص الإنسان :

٢ ـ وكان في العالم أيضاً حكماء كثيرون بعضهم برزوا في الفلسفة وآخرون في السفسطة والمغالطة وآخرون في الفصاحة والبلاغة، وآخرون أحرزوا ثقافة عالية، والبعض الآخر نبغوا في الشعر وغيرهم كتبوا في التاريخ والقصص، كما أن هناك أيضاً كثيرون من أصحاب الحِرف الذين مارسوا فنون صنائعهم المختلفة فالبعض يحفرون على الأخشاب كل أنواع الطيور والأسماك وأشكال البشر. وفي هذا المجال اجتهدوا أن يُظهروا مهارتهم. والبعض الآخر رسموا صوراً أو نحتوا تماثيلاً من النحاس وغيره، وآخرون أقاموا أبنية عظيمة وجميلة. وآخرون حفروا الأرض واستخرجوا منها الفضة والذهب وغيرها من الأحجار الكريمة الفانية. وآخرون كان لهم جمال جسدي ويفتخرون بجمال وجوههم وقد خدعهم الشيطان بالأكثر وأسقطهم في الخطية. وكل هؤلاء الذين تكلّمنا عنهم إذ قد أسَرتهم الحيّة الساكنة في داخلهم، وإذ لم يعرفوا الخطية الساكنة فيهم، صاروا عبيداً لقوة الشر ولم ينفعهم عملهم أو فنهم أو مهارتهم شيئاً.

٣ـ لذلك، فالعالم المملوء بكل الأنواع، إنما يشبه رجلاً غنياً يملك بيوتاً عظيمة فاخرة، ويملك ذهباً وفضة وممتلكات كثيرة وعنده خدام كثيرون، ولكنه مضروب بآلام وأمراض صعبة. هذا رغم غناه ورغم التفاف جميع أفراد أسرته حوله، فإنهم لا يستطيعون أن يريحوه من آلامه وأوجاعه.

حضور المسيح وحده يطهّر النفس والجسد :

إذن، فلا يوجد شيء في هذه الحياة، لا الاخوة، ولا الغنى، ولا القوة، ولا أي شيء مما ذكرناه سابقاً يستطيع أن يشفي الإنسان من الخطية التي غرق فيها، حتى صار غير قادر أن يرى الأشياء بوضوح بل إن حضور المسيح وحده هو الذي يستطيع أن يطهر النفس والجسد. لذلك فلنطرح جانباً كل هموم هذه الحياة ونصرخ إلى الرب ليلاً ونهاراً مكرّسين نفوسنا له. إن هذا العالم المنظور وما فيه من ملذات إنما تُرضى الجسد فقط، ولكنها تزيد أتعاب النفس وأمراضها وتكثر آلامها.

٤ ـ كان هناك إنسان حكيم أراد أن يسعى بكل جهده ليختبر كل أمور هذا العالم لعله يجد فيها منفعة أو فائدة. فذهب إلى الملوك وأصحاب السلطان والحكام ولم يجد خلاصاً ولا شفاءً لنفسه بعد أن أمضى معهم زمناً طويلاً، في النهاية لم ينتفع شيئاً ـ فمضى إلى حكماء العالم وفلاسفته، وذهب إلى الخطباء ولكنه تركهم أيضاً إذ لم يجد لديهم ما ينتفع به. ثم واصل سعيه فوصل إلى الرسامين والذين يستخرجون الذهب والفضة من بطن الأرض وإلى أصحاب الحرف الفنية لكنه لم يجد أيضاً عند كل هؤلاء ما يشفي نفسه الجريحة .
وأخيراً ترك هؤلاء جميعاً وبدأ يطلب الله نفسه، الله الذي يشفي آلام النفس وأمراضها. وبينما هو يفكر في نفسه ويتأمل في تلك الأمور عبرت في مخيلته أشياء كثيرة.

٥ ـ ولنأخذ مثلاً آخر: إذا كانت هناك امرأة غنية تملك أموالاً كثيرة وبيتاً فاخراً ولكنها مع ذلك لا تجد من يحميها، فهناك كثيرون يهاجمونها راغبين أن يلحقوا بها الأذى والخراب، فلأنها لا تستطيع أن تقبل هذا الأذى والهجوم فهي لذلك تبحث عن زوج قوى يكون كفواً لهذا الغرض ومتدرباً من جميع الوجوه. وحينما تجد مثل هذا الرجل بعد سعى كثير، فإنها تفرح به فرحاً عظيماً وتجد فيه حصناً يحميها.

قرابة النفس لله :

هكذا النفس البشرية فإنها بعد السقوط قد جُرحت كثيراً ولفترة طويلة من القوة المعادية وصارت في خراب عظيم وأصبحت " أرملة ووحيدة" (١تى٥:٥)، متروكة من العريس السماوي بسبب تعديها الوصية وصارت ألعوبة في يد كل

القوات الشريرة (إذ أنهم جردوها وأخرجوها عن عقلها وضلّلوها عن المعرفة الروحية الحقيقية، حتى لا ترى أو تدرك ما فعلوه بها بل جعلوها تظن أنها قد خُلقت على هذا الحال منذ البداية). وبعد ذلك حينما سمعت كلمة الله وأدركت غربتها عن الله وكيف أنها صارت مرذولة بسبب سقوطها بدأت تئن وتتوسل أمام الله محب البشر فوجدت الحياة والخلاص. لماذا؟ لأنها رجعت ثانية إلى مصدرها الأصلي. فلا توجد قرابة أو رابطة مثل قرابة النفس لله أو قرابة الله للنفس.

لقد صنع الله أنواعاً مختلفة من الطيور ـ بعضها يبنى عشه ويحصل على قوته من الأرض. وطيور أخرى تأخذ قوتها من تحت الماء. وقد صنع أيضاً عالمين، واحد علوى لأرواح الملائكة الخادمة (عب١: ١٤)، وحدّد لهم فيه نظام حياتهم، وآخر سفلى للبشر على هذه الأرض تحت هذا الهواء الذي نتنفسه.

الله سُرّ بالإنسان وحده :

لقد خلق الله أيضاً السماء والأرض، والشمس والقمر، والمياه والأشجار المثمرة وكل أنواع الكائنات الحية وأجناسها. ولكنه لا يجد راحته في أي من هذه المخلوقات. إنه يحكم كل الخليقة، ولكنه لم يثبّت عرشه فيها ولا دخل في شركة معها. بل إن الله قد سُرّ بالإنسان وحده ودخل في شركة معه وفيه وحده استراح.

النفس لا تجد راحتها إلاّ في الرب :

انظر إذن كم هي قرابة الله للإنسان وقرابة الإنسان لله!. لذلك فإن النفس الحكيمة بعد مرورها على جميع المخلوقات لا تجد راحة لنفسها، إلاّ في الرب وحده والرب أيضاً لا يُسرّ بأحد سوى الإنسان وحده.

٦ـ فإذا رفعت عينيك نحو الشمس، فإنك تجد دائرتها في السماء ولكنها ترسل نورها واشعتها إلى الأرض، وتوجه كل قوة النور وبهائه إليها. هكذا الرب أيضاً فإنه يجلس عن يمين الآب " فوق كل رياسة وسلطان" (أف١: ٢١) ولكنه يمد بصره وينظر إلى قلوب الناس على الأرض، لكي يرفع إليه الذين يترجون نعمته وعونه. ولهذا فهو يقول: " حيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي" (يو١٢: ٢٠)، وأيضاً بولس يقول: " أقامنا معه وأجلسنا معه عن يمينه في السمويات" (أف٢: ٦).

إن الحيوانات غير العاقلة هي أحكم منا إذ أن كل منها ملازم لطبيعته الخاصة، فالحيوانات المتوحشة تلازم الطبع الوحشي، والخراف تلازم طبيعتها، وأما أنت فإنك لا ترتفع إلى أصلك السماوي الذي هو الرب نفسه، بل تسلم نفسك لأفكار الشر وترضى بها في داخلك، وبذلك تجعل نفسك حليفاً للخطية وتحارب إلى جانبها ضد نفسك. وهكذا تصير فريسة للعدو مثل الطير الصغير الذي يمسكه النسر

ويأكله، أو مثل الخروف حينما يمسكه الذئب أو مثل الطفل الجاهل الذي يمد يده للحيّة فتلدغه وتقتله. كل هذه الأمثلة إنما توضح ما يحدث في الحياة الروحانية.

الشركة الكاملة مع العريس السماوي هي الهدف :

٧ ـ إن العذراء المخطوبة لرجل تقبل منه هدايا كثيرة قبل الزواج: جواهر وملابس وأوانى ثمينة، ولكنها لا تقتنع ولا ترضى بكل هذه الهدايا إلى أن يأتى يوم العرس الذي فيه تصير واحداً معه، كذلك أيضاً، النفس المخطوبة كعروس للعريس السماوي فإنها تنال منه كعربون من الروح مواهب شفاء أو معرفة أو إعلانات. ولكنها لا تقتنع بهذه العطايا بل تترّجى الوصول إلى الشركة الكاملة معه والاتحاد به، أي إلى المحبة التي لا تتغير ولا تسقط أبداً بل تحرر طالبيها من الشهوات والقلق والتشويش.

والطفل الصغير الذي يزينونه بجواهر وملابس ثمينة فإنه حينما يجوع لا يفكر في شيء مما يلبسه، بل يتجاهل كل هذه الزينة ويهتم فقط بالوصول إلى ثدي مرضعته ليحصل منها على اللبن. وعلى هذا المثال يمكنك أن تقيس مواهب الله الروحانية، الذي له المجد إلى الأبد آمين

العظة السادسة والأربعون
أولاد الله وأولاد العالم

الفرق بين كلمة الله وكلمة العالم ، وبين أولاد الله وأولاد هذا العالم.

كل مولود يشبه من ولده :

١ ـ كلمة الله هي الله، وكلمة العالم هي العالم. ويوجد فرق عظيم وبون شاسع بين كلمة الله وكلمة العالم، وبين أولاد الله وأولاد العالم. فإن كل مولود يشبه والديه. لذلك فإن كان المولود من الروح يختار أن يعطى نفسه لكلمة العالم وللأمور الأرضية ولمجد هذا العالم الحاضر، فإنه يموت ويهلك، إذ أنه لا يجد ما يشبعه شبعاً حقيقياً في الحياة. لأن ما يشبعه إنما هو من الروح الذي منه وُلد. كما يقول الرب إن من تحاصره هموم هذه الحياة وتربطه الرباطات الأرضية، " يختنق ويصير بلا ثمر لكلمة الله" (مر ٤: ١٩).

وبنفس الطريقة فإن الإنسان العالمي الذي تمتلكه الرغبات الجسدية، إذا حدث أنه سمع كلمة الله فإنه يختنق ويصير كمن لا عقل له. وذلك لأنه اعتاد على خداعات الخطية. فحينما يحدث أن يسمع مثل هذا الإنسان عن الله فإنه يحس بثقل شديد وينفر من كلام الله كأنه حديث سخيف متعب. وكأنه قد أصيب بمرض نتيجة هذا الكلام الإلهي.

٢ ـ ويقول الرسول بولس " الإنسان الطبيعي لا يقبل الأشياء التي للروح لأنها عنده جهالة" (١كو٢:١٤) ويقول النبى " وكان قول الرب لهم كالقئ"[١] ، وهكذا ترى أنه من المستحيل أن يحيا أي إنسان إلاّ بحسب الكلمة التي وُلد منها.

ويمكن أن نشرح هذا بطريقة أخرى. فإذا قرر الإنسان الجسداني أن يتغير فإنه أولاً يموت عن الأمور الجسدية ويصير بلا ثمر في الأشياء التي كان يعيش فيها قبلاً في الشر. ولكن كما يحدث في حالة الإنسان الذي يُصاب بمرض أو بحمى، رغم أن جسده يكون مطروحاً على الفراش، عاجزاً عن ممارسة أي عمل من أعمال الأرض، إلاّ أن عقله لا يكون في راحة بل يذهب هنا وهناك مهتماً ومفكراً في إشغاله، أو في التفكير في استدعاء الطبيب أو في إرسال أصدقائه لإحضاره. وهكذا بنفس الطريقة، فإن النفس التي مرضت بالأهواء بسبب تعديها للوصية، وأصبحت في حالة عجز، فإنها تستطيع أن تأتى إلى الرب وتؤمن به فتنال نعمته وتحصل على معونته. وإذ تجحد سيرتها الأولى الشريرة، حتى وإن كانت لا تزال ضعفاتها القديمة باقية فيها، ولازالت غير قادرة على أن تتمّم أعمال الحياة الروحية، إلاّ أنها تكون منشغلة باهتمام بالحياة في الرب، وتصلى إلى الرب وتطلب الطبيب الحقيقي.

محبة الله وحنانه نحو الإنسان :

٣ ـ إن الأمر ليس كما يقول بعض الذين ضلوا بتأثير تعاليم فاسدة مدعين أن الإنسان قد مات موتاً كاملاً ومطلقاً، وأنه لا يستطيع أن يتمّم أي شيء من الصلاح، ولكننا نقول لهم، إن الطفل الرضيع رغم أنه عاجز عن أن يتمّم أي شيء، ولا يستطيع أن يمشى على قدميه ليذهب إلى أمه، إلاّ أنه يصنع أصواتاً ويبكى ويحبو طالباً أمه. والأم تحنّ إليه وتفرح أن الطفل يبحث عنها بأنين وبكاء، ورغم أن الطفل لا يستطيع أن يأتي إليها، ولكن بسبب بحث الطفل المتلهف عنها، فإنها تأتى هي نفسها إليه مغلوبة بالحنان والحب لطفلها. وتأخذه بين ذراعيها وتحتضنه وتغذيه بحب عظيم وحنان كبير. وبنفس الطريقة فإن الله محب البشر في حنانه نحو الإنسان، يفعل هكذا مع النفس التي تأتى إليه وتطلبه باشتياق. ولأنه يكون مدفوعاً بالمحبة، من ذاته، وبالصلاح الطبيعي الخاص به، إذ هو الكلى الصلاح، فإنه يلتصق بتلك النفس ويصير معها "روحاً واحداً" كما يقول الرسول (١كو٦:١٧).

النفس والرب يصيران روحاً واحداً :

وحينما تلتصق النفس بالرب، ويعطف عليها الرب ويحبها ويأتى إليها ويلتصق بها، وتكون نية الإنسان وقصده أن يستمر بلا انقطاع أميناً لنعمة الرب، فإن الرب والنفس يصيران "روحاً واحداً" و"حساساً واحداً وعقلاً واحداً، وبينما يكون جسدها مطروحاً على الأرض فإن العقل يكون بكليته في أورشليم السماوية مرتفعاً إلى السماء الثالثة، ويلتصق بالرب ويخدمه هناك.

٤ـ وبينما يكون الله جالساً في عرش العظمة في الأعالى في المدينة السماوية، فهو يكون بكليته في شركة مع النفس وهى في الجسد الخاص بها. لقد وضع صورة النفس فوق في أورشليم، المدينة السماوية ـ مدينة القديسين، وفي نفس الوقت وضع صورته الخاصة أي صورة نوره الإلهى الفائق الوصف ـ في جسدها. وهو يخدمها في مدينة جسدها، بينما هي تخدمه في المدينة السماوية. لقد صارت وارثة له في السماء وصار هو وارثها على الأرض. فالرب يصير ميراثاً للنفس وتصير النفس ميراثاً للرب.

فإن كان قلب الخطاة الذين في الظلمة أو عقلهم يستطيع أن يمضى بعيداً عن الجسد ويستطيع أن يتجول في أمكنة بعيدة، وفي لحظة يسافر إلى أقطار بعيدة، وأحياناً بينما يكون الجسد مُلقى على الأرض، يكون العقل (سارحاً) في بلاد أخرى مع صديق يحبه، ويرى نفسه كأنه يعيش هناك معه، فأقول إن كانت نفس الخاطئ هكذا خفيفة ونشيطة حتى أن عقلها لا يحجزه بُعد المسافات، فكم بالأولى جداً تكون النفس التي نزع الرب عنها حجاب الظلمة بقوة الروح القدس وقد استنارت عيونها العقلية بالنور السماوي، وقد أعتقت تماماً من شهوات الخزي، وصارت طاهرة بالنعمة، فإنها تخدم الرب كلّية في السماء بالروح، وتخدمه كلية في الجسد، وتتسع في أفكارها حسبما يريد لها الرب وحيثما يريد لها أن تخدمه.

٥ ـ فهذا ما يقوله الرسول " لكي تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وتعرفوا محبة المسيح التي تفوق المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف٣:١٨،١٩). فتأمل في الأسرار الفائقة الوصف، التي لتلك النفس التي ينزع الرب عنها الظلمة المحيطة بها، ويكشف عن عينيها ويظهر لها ذاته أيضاً، وكيف يمد ويوسّع أفكار عقلها إلى الأعراض والأطوال والأعماق والارتفاعات التي في الخليقة المنظورة وغير المنظورة.

الرب صنع النفس لكي يصيّرها عروساً له :

فالنفس هي حقاً صنيع إلهى عظيم مملوء عجباً. وحين صنعها الرب، صنعها من طبيعة ليس فيها شر، بل صنعها على صورة فضائل الروح (القدس). ووضع فيها قوانين الفضائل والبصيرة، والمعرفة والفطنة، والإيمان، والمحبة والفضائل الأخرى بحسب صورة الروح.

٦ ـ وإلى الآن فإن الرب يمكن أن يأتي إليها ويكشف لها ذاته بالمعرفة والفطنة والمحبة والإيمان. وقد وضع فيها فهماً وملكات فكرية، ومشيئة وعقلاً مدبراً. وقد جعلها أيضاً لطيفة جداً وصيّرها خفيفة متحركة وغير خاضعة للتعب. ووهبها القدرة على المجيء والذهاب في لحظة، وأن تخدمه في أفكارها حيثما يشاء الروح. وبالإجمال فإنه خلقها لكي يصيّرها عروساً له وتدخل في شركة معه، لكيما يلتصق بها ويصير " روحاً واحداً" معها كما يقول الرسول " وأما من التصق بالرب فهو روح واحد" (١كو٦:١٧) الذي له المجد إلى الأبد أمين.

[١] الإشارة إلى إش٢٨:١٣ بحسب إحدى المخطوطات القديمة العروفة بنسخة ثيوديتون .

العظة السابعة والأربعون
الرمز والحقيقة

تفسير رمزي للأشياء التي كانت تُصنع تحت الناموس.

المجد على وجه موسى :

١ـ إن المجد الذي ظهر على وجه موسى كان رمزاً للمجد الحقيقي وكما أن اليهود لم يستطيعوا " أن ينظروا إلى وجه موسى" (انظر ٢كو٣:٧)، هكذا فإن المسيحيين يحصلون على مجد النور في داخل نفوسهم، أما الظلمة ـ إذ لا تحتمل لمعان النور ـ تضمحل وتهرب.

الختان وتطهّيرات الجسد :

وأولئك القدماء كانوا يُعرفون أنهم شعب الله بواسطة علامة الختان الظاهر. وأما هنا الآن فإن شعب الله ينالون علامة الختان في قلوبهم من الداخل. لأن السكين السماوية تقطع الجزء الزائد من العقل، أي غلفة الخطية النجسة. وفي القديم كانت لهم معمودية لتطهير الجسد. أما عندنا نحن فتوجد معمودية الروح القدس والنار. فهذا هو ما كرز به يوحنا " هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (مت٣:١١).

مسكن خارجي وآخر داخلي :

٢ ـ وفي القديم كان هناك مسكن خارجي وآخر داخلي. "وكان الكهنة يدخلون إلى المسكن الأول كل حين صانعين الخدمة. وأما إلى الثانى فرئيس الكهنة فقط مرة واحدة في السنة، بالدم، معلناً الروح القدس بهذا أن طريق الأقداس لم يكن قد أظهر بعد" (عب٩:٦ـ٨). وأما هنا من الجهة الأخرى، فإن الذين يُحسبون أهلاً لذلك هم الذين يدخلون إلى " المسكن غير المصنوع بيد، حيث دخل المسيح كسابق لأجلنا" (عب٦:٢٠).

العصفوران :

إنه مكتوب في الناموس أن الكاهن يأخذ عصفورين ويذبح أحدهما ويرش العصفور الحى بدم المذبوح، ويطلق الحى ليطير حراً (انظر١٤:٤ـ٧). ولكن هذا

الذي كان يُصنع قديماً إنما هو رمز "وظل" للحق، لأن المسيح قد ذُبح، وبدمه المرشوش علينا جعل لنا أجنحة، فإنه أعطانا أجنحة روحه القدوس، لكيما نطير في الجو الإلهى بلا عائق.

الناموس المكتوب على ألواح حجر :

٣ ـ وفي العهد القديم أعطى لهم الناموس مكتوباً على ألواح من حجر، وأما لنا نحن فالقوانين الروحانية " مكتوبة على ألواح قلب لحمية" (٢كو٣:٣)، لأنه مكتوب: " أجعل نواميسى في قلوبهم، وأكتبها في أذهانهم" (عب١٠:١٦). وتلك الأشياء كلها كانت إلى وقت معين وقد تلاشت، وأما الآن (في العهد الجديد) فكل شيءيتم بالحق في الإنسان الباطن. فالعهد موجود في الداخل والمعركة أيضاً في الداخل، وبالإجمال " فإن كل الأشياء التي حدثت لهم، إنما كانت مثالاً، وكُتبت لإنذارنا" (١كو١٠:١١).

عبودية مصر :

لقد أنبأ الله إبراهيم بما سيحدث قائلاً: " أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويُستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة" (تك١٥:١٣)، وقد تحققت هذه النبوءة تماماً. لأن الشعب تغرّب واستُعبد للمصريين الذين "مرروا حياتهم في الطين واللبن" (خر ١:١٤). وقد جعل فرعون عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم ويسوقوهم قسراً. وحينما تنهد بنو إسرائيل إلى الله من العبودية (خر٢:٢٣) فإن الله نظر إليهم وافتقدهم بواسطة موسى (خر٢:٢٥). وبعد أن ضرب المصريين ضربات كثيرة، أخرج بنى إسرائيل من مصر في شهر الزهور عند بزوغ فصل البهجة أي فصل الربيع وبعد انتهاء ظلمة الشتاء.

دم الحمل على الأبواب :

٤ ـ وقد أمر الرب موسى ان يأخذ حملاً بلا عيب، ويذبحه ويرش دمه على القائمتين والعتبة العُليا " لئلا يمسهم الذي أهلك أبكار المصريين" (عب١١:٢٨)، وعندما رأى الملاك الذي أرسل، علامة الدم من بعيد عَبَرَ (عن تلك البيوت)، ولكنه دخل إلى البيوت التي ليست عليها علامة الدم وأهلك الأبكار.

نزع الخمير وأكل خروف الفصح :

وأمرهم لله أيضاً أن ينزعوا الخمير من كل بيت، ويأكلوا خروف الفصح المذبوح، مع فطير، على أعشاب مُرّة، ويأكلوه وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم. وهكذا أمرهم أن يأكلوا فصح الرب بكل عجلة في المساء، وأن لا يكسروا عظماً منه.

٥ ـ " وأخرجهم بفضة وذهب" (مز١٠٥:٣٧)، إذ أمرهم أن يستعير كل منهم من جاره المصرى أوانى ذهب وفضة، وخرجوا من مصر بينما كان المصريون يدفنون أبكارهم، وخرجوا فرحين بتحررهم من العبودية القاسية، أما الحزن والبكاء فكان من نصيب المصريين بسبب هلاك أبكارهم. ولذلك قال موسى: " هذه الليلة هي للرب" (خر١٢:٤٢) التي وعد أن يفتدينا فيها.

فكل هذه الأشياء إنما هي سر النفس التي افتُديت بمجئ المسيح، لأن كلمة "إسرائيل" تُفسر بمعنى: العقل الذي يعاين الله ـ لذلك فالعقل يتحرر من عبودية الظلمة، أي من المصريين روحياً.

٦ ـ فإنه منذ أن مات الإنسان بالمعصية ذلك الموت الخطير، ونال لعنة فوق لعنة: " شوكاً وحسكاً تنبت لك الأرض" (تك٣:١٨) وأيضاً : "متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها" (تك٤:١٢) ـ فمنذ ذلك الوقت نبتّ الشوك والحسك وظهر في أرض القلب. وجرده أعداؤه من مجده بالخديعة وألبسوه العار والخزي.. نزعوا عنه نوره وألبسوه لباس الظلمة، وقتلوا نفسه وشتتوا أفكاره وقسموها، وأحدروا عقله من الأعالي حتى صار الإنسان ـ إسرائيل ـ عبداً لفرعون الحقيقي، فجعل عليه مسخرّين ليعمل أعماله الشريرة وليكمل بناء الطين واللبن. وهذه الأرواح الشريرة أبعدته عن حالة حكمته السماوية، وهبطت به إلى الأعمال المادية الأرضية في الطين أي أعمال الشر وإلى الكلمات والرغبات والتصورات الباطلة الشريرة. لأن الإنسان لما سقط من علوه، وجد نفسه في مملكة معادية تكره الإنسان، وفي هذه المملكة يغصبه حكامها على أن يبنى لهم مدناً شريرة للخطية.

الصراخ إلى الله ودم الخروف :

٧ ـ ولكن إذا صرخ الإنسان وتنهد إلى الله، فإنه يرسل إليه موسى الروحاني الذي يخلّصه من عبودية المصريين. ولكن ينبغي على النفس أن تصرخ أولاً وبعد ذلك تبتدئ أن تحصل على الفداء والتحرر، وهى أيضاً تتحرر في شهر الزهور الجديدة، في الربيع حينما تستطيع أرض النفس أن تنبت أغصان البر الجميلة المزهرة، وحين تكون عواصف شتاء جهالة الظلمة قد انتهت وقد تلاشى العمى الخطير الناشئ عن الخطايا والأعمال الشرير. وحينئذ يأمر الرب أيضاً بنزع كل خميرة "عتيقة" (١كو٥:٧)، من كل بيت أي بطرد كل أعمال وأفكار " الإنسان العتيق الفاسد" (أف٤:٢٢) وكل أفكاره الشريرة ورغباته الدنيئة.

٨ ـ ثم أن الخروف كان ينبغي ذبحه وتضحيته وأن تُرش الأبواب بدمه: لأن المسيح الحمل الصالح الذي بلا عيب قد ذُبح من أجلنا، وبدمه رُشت أبواب القلب، حتى أن دم المسيح المسفوك على الصليب يصير حياة وفداء للنفس وأما للشياطين

فإنه يصير حزناً وموتاً. لأن دم الحمل الذي بلا عيب هو حقيقة حزن لهم، أما للنفس فهو فرح وبهجة.

الأعشاب المُرّة والأحقاء المشدودة :

وبعد رش الدم يأمر الرب بأكل الحمل مساءً مع فطير وأعشاب مُرّة وبأحقاء مشدودة والأحذية في الأرجل والعصا في الأيدى ـ لأنه إن لم تستعد النفس من كل ناحية أن تمارس الأعمال الصالحة بأقصى ما تستطيع من قوة، فإنه لا يُعطى لها أن تأكل من الحمل. ورغم أن الحمل لذيذ وحلو والفطير حسن المذاق إلاّ أن الأعشاب مُرّة وخشنة فإنه بتعبٍ كثير ومرارة تأكل النفس من الفطير الصالح، لأن الخطية التي تسكن فيها تسبب لها ضيقاً ومرارة.

أكل الفصح مساءً :

٩ ـ ويقول الكتاب أيضاً إن الرب أمرهم أن يأكلوا خروف الفصح في المساء وهى الفترة المتوسطة بين النور والظلمة. هكذا النفس أيضاً حينما تقترب من الفداء والتحرر فإنها توجد بين النور والظلمة، وفي هذه الأثناء تقف قوة الله بجوارها وتسندها، ولا تسمح للظلمة أن تدخل إلى النفس وتبتلعها.
وكما أن موسى قال: هذه هي ليلة موعد الله، هكذا المسيح أيضاً حين دُفع إليه الكتاب في المجمع ـ كما هو مكتوب في الإنجيل ـ دعا تلك السنة "سنة الرب المقبولة" ويوم الفداء، فهناك في (العهد القديم) كانت الليلة، ليلة عقاب، وأما هنا فاليوم هو نهار فداء. وهكذا هو الأمر بالحقيقة لأن كل تلك الأشياء كانت رمزاً وظلاً للحق، وكانت ترسم ـ بطريقة سرية ـ صورة الخلاص الحقيقي للنفس التي كانت مغلقاً عليها في الظلام. مقيدة في " الجب الأسفل" (مز٨٨:٦) ومحبوسة وراء " مصاريع نحاس" (مز١٠٧:١٦). ولم يكن لها القدرة على أن تنطلق حرّة بدون فداء المسيح.

المسيح يُخرج النفس من العبودية :

١٠ ـ فإنه يُخرج النفس من مصر ـ من العبودية التي فيها ـ ويقتل أبكار مصر عند الخروج. فإن جزءً من قوة فرعون الحقيقي قد سقط واستولى الحزن على المصريين ـ لأنهم كانوا يئنون حزناً على انفلات الأسرى من بين أيديهم. وقد أمر الرب الشعب أن يستعيروا أوانى ذهب وفضة من المصريين، وأن يأخذوها معهم عند خروجهم. لأن النفس عند خروجها من الظلمة فإنها تسترد أوانى الفضة والذهب، وأعنى بها أفكارها الصالحة "مُطهرة سبع مرات في النار" (مز١٢:٦). وهذه هي الأفكار التي تُقدم بها العبادة لله وفيها يجد مسرته. لأن الشياطين الذين كانوا قبلاً جيراناً للنفس، قد شتّتوا أفكارها واستولوا عليها وخربوها. فطوبى

للنفس التي تُفتدى من الظلمة، وويل للنفس التي لا تصرخ وتئن إلى الله الذي يستطيع وحده أن يخلصها من أولئك الولاة القساة الظالمين.

بدء التحرك بعد أكل الفصح :

١١ ـ لقد بدأ بنو إسرائيل يتحركون بعد أن صنعوا الفصح. وهكذا فإن النفس تتحرك إلى الأمام حينما تنال حياة الروح القدس، فتأكل من الحمل، وتكون قد مُسحت بدمه، وأكلت الفصح الحقيقي، الكلمة الحي.

عمود النار وعمود السحاب :

وكما أن عمود النار وعمود السحاب كانا يسيران أمام بني إسرائيل ليحفظانهم، هكذا فإن الروح القدس يشدّد المؤمنين الآن ويقوّيهم، ويشعلهم، ويرشد النفس بطريقة ملموسة.

وحينما علم فرعون والمصريون أن شعب الله قد هرب فإنهم تجاسروا أن يقتفوا أثرهم حتى بعد قتل أبكار المصريين. فإن فرعون جهز مركباته بسرعة وسعى مع كل شعبه وراء شعب الله لكي يهلكه. ولما كاد أن يلحقهم، انتقل عمود السحاب من أمام بني إسرائيل ووقف خلفهم، بينهم وبين فرعون. فأعاق فرعون، وكان عمود السحاب ظلاماً بالنسبة للمصريين ولكنه كان نوراً ومرشداً وحامياً لبني إسرائيل. ولكي لا أطيل الحديث عليكم بسرد القصة كلها دعونا نطبق كل التفاصيل على الأمور الروحية.

١٢ ـ فإنه حينما تبدأ النفس أولاً بالهروب من الشيطان، فإن قوة الله تقترب منها لتعينها وتقودها إلى الحق. ولكن حينما يعرف فرعون الروحاني ـ أي ملك ظلمة الخطية ـ أن النفس قد تمردت عليه وبدأت تهرب من مملكته فإنه يلاحق الأفكار التي كانت ملكه قبلاً ـ فإن الأفكار كانت هي ممتلكاته، ويحاول بخبثه ويأمل أن ترجع إليه النفس مرة أخرى. ولكن حينما يدرك أن النفس قد هربت من طغيانه هروباً بلا رجعة ـ وهذا بالنسبة إليه ضربة أقوى من قتل الأبكار وسرقة المقتنيات ـ فإنه يجرى وراءها لأنه يخاف لئلا بعد هروب النفس منه تماماً، لا يبقى له من يتمم إرادته ويعمل أعماله. لذلك فهو يسعى وراءها بالشدائد والتجارب والحروب غير المنظورة. وبهذه الشدائد والحروب تُمتحن النفس وتُجرّب، وبواسطتها تُظهر محبتها نحو من أخرجها من مصر (العبودية). لأنها تُسلّم (للتجارب) لكي تُوضع موضع الاختبار وتُمتحن بطرق متنوعة.

تدخل الله للإنقاذ :

١٣ ـ وترى النفس قوة العدو وهو يسعى أن يقتلها ولكنه لا يستطيع، لأن الرب يقف بينها وبين أرواح الشر. وترى أمامها بحراً من المرارة والشدائد واليأس. وهى من ناحية لا تستطيع أن تعود إلى الوراء لأنها ترى العدو مستعداً لقتلها، ومن ناحية أخرى لا تستطيع أن تتقدم إلى الأمام لأن خوف الموت، والشدائد المؤلمة المحيطة بها، يجعلها ترى الموت أمام عينيها. لذلك فإن النفس تيأس من ذاتها، " إذ يكون لها حكم الموت في نفسها" (٢كو١:٩) بسبب كثرة أرواح الشر المحيطة بها. وحينما يرى الله النفس وهى محصورة بخوف الموت، والعدو مستعد أن يبتلعها، فإنه حينئذٍ يأتي لمعونتها ويترفق بها، وهو يتأنى عليها لكي يختبرها، ويرى هل تثبت في الإيمان، وهل عندها حب صادق له. لأن الله هكذا قد رسم " الطريق المؤدى إلى الحياة" (مت٧:١٤) أن يكون كرباً ضيقاً وفيه امتحانات وتجارب مُرة لكي تصل النفس بواسطة هذا الطريق فيما بعد إلى الأرض الحقيقية ـ أرض أولاد الله. لذلك فحينما يكف الإنسان عن الاعتداد بنفسه ويجحد ذاته بسبب الشدة العظيمة والموت الذي يراه أمام عينيه، ففي تلك اللحظة يمزق الله ـ بيد شديدة وذراع رفيعة ـ قوة الظلمة بواسطة إنارة الروح القدس، وتعبر النفس خلال الأماكن المخيفة، تعبر بحر الظلمة، وتخلُّص من النار المحرقة.

عبور البحر والفرح والتسبيح :

١٤ ـ هذه هي أسرار النفس التي تحدث حقاً في الإنسان الذي يسعى باجتهاد أن يأتي إلى موعد الحياة ويُفتدى من مملكة الموت، وينال العربون من الله، وتكون له شركة في الروح القدس. وهكذا فإن النفس إذ تتخلّص من أعدائها، بعبورها البحر المُر، بقوة الله، وإذ ترى أعداءها الذين كانت مستعبدة لهم، وقد هلكوا أمام عينيها، فإنها تفرح فرحاً لا يُنطق به ومملوء مجداً (١بط١:٨) وتتعزى بالله وتستريح في الرب. وحينئذ فإن الروح الذي نالته يسبح فيها تسبيحاً جديداً لله بالدُف الذي هو الجسد، وبأوتار القيثارة الروحية التي هي النفس، وبأفكار النفس السامية وبمفتاح النعمة الإلهية الذي يضرب على الأوتار، فترتفع التسابيح للمسيح الحي ومعطى الحياة. لأنه كما أن نفخة الفم هي التي تنطق وتتكلم حينما تسرى فيها آلات النفخ، هكذا فإن الروح القدس هو الذي يسرى في القديسين الذين يحملون الروح، وهو يسبح فيهم تسابيح ومزامير فيصلون لله بقلب نقى. فالمجد لذلك الذي أنقذ النفس من عبودية فرعون وجعلها عرشاً له، جعلها بيتاً وهيكلاً وعروساً نقية له، وأحضرها إلى ملكوت الحياة الأبدية، وهى لا تزال في هذا العالم.

١٥ ـ وبحسب الناموس كانت الحيوانات غير العاقلة تُقدم كذبائح. ولكن التقدمات لا يمكن أن تكون مقبولة ما لم تُذبح. وهكذا الآن إن لم تُذبح الخطية فإن تقدمتنا لا هي مقبولة أمام الله، ولا هي تقدمة حقيقية.

المياه المُرّة تصير حلوة :

وعندما جاء الشعب في القديم إلى مارة (خر١٥:٢٢) كانت هناك عين ماء تنبع ماءً مراً، لا يصلح للشرب. فلما تحير موسى وصرخ إلى الرب، أمره الرب بأن يلقى شجرة أراه إياها، في الماء المر، فحينما ألقيت الشجرة هكذا في الماء، صار الماء عذباً، إذ تحول عن مرارته وصار مناسباً وصالحاً ليشرب منه شعب الله.
وبنفس الطريقة، فإن النفس صارت مُرّة من شرب سم الحية، وصارت مشابهة لطبيعة الحية المُرّة وأصبحت خاطئة. لذلك فإن الله يلقى شجرة الحياة في داخل ينبوع القلب المُرّ فيتحول القلب من مرارته، ويصير حلواً باتحاده بروح المسيح. وهكذا يصير نافعاً جداً ويذهب في خدمة سيده لأنه يصير لابساً للروح. فالمجد لذلك الذي يحوّل مرارتنا إلى حلاوة الروح وصلاحه. والويل لمن لا تلقى فيه شجرة الحياة، فإنه لا يستطيع أن يتغيّر إلى الصلاح أبداً.

عصا موسى والصليب :

١٦ ـ إن عصا موسى كان لها وجهان :فإنها كانت بالنسبة للأعداء حيّة تلدغ وتُهلك، وأما بالنسبة لبني إسرائيل فقد كانت عكازاً يستندون عليها. هكذا أيضاً، فالخشبة الحقيقية، خشبة صليب المسيح، فإن صليب المسيح إنما هو موت لأرواح الشر، وأما لنفوسنا فهو سند وملجأ أمين فيه نطمئن ونستريح.
إن الرموز والظلال في العهد القديم كانت تشير إلى الحقائق الحاضرة لأن خدمة العبادة القديمة كانت ظلاً وصورة للعبادة الحاضرة. فالختان، والخيمة، والتابوت، والمن، وقسط المن، والكهنوت والبخور، والغُسْلات، وباختصار كل ما كان يُصنع في إسرائيل وفي ناموس موسى وفي الأنبياء، إنما كان إشارة إلى هذه النفس المخلوقة على صورة الله، والتي سقطت تحت نير العبودية وسلطان ظلمة المرارة.

عروس كاملة لعريس كامل :

١٧ ـ فإن الله أراد أن يقيم شركة مع النفس البشرية. ويخطبها لنفسه كعروس للملك، ويغسلها ويطهّرها من كل دنس. ويجعلها بهية مضيئة بدلاً من سوادها وعارها، ويحيّيها من الموت، ويشفيها من انكسارها ويعطيها السلام ويصالحها لنفسه من بعد العداوة.
ورغم أن النفس مخلوقة، إلاّ أن الله يخطبها عروساً لابن الملك ويضمها إليه بقدرته الخاصة، ويغيّرها شيئاً فشيئاً وينميها ويزيدها بفيض نعمته. فهو يوسع النفس ويقودها إلى نمو وازدياد بلا حدود ولا قياس، إلى أن تصير عروساً بلا عيب وبلا لوم تليق به.
فإنه يلد النفس فيه أوّلا، ثم بنفسه ينميها بفعل نعمته، إلى أن تصل إلى قامة محبته الكاملة، فلأنه هو عريس كامل، لذلك فهو يأخذها كعروس كاملة له إلى

شركة العرس المقدسة، الشركة السرّية الطاهرة، وحينئذٍ فإنها تملك معه إلى أبد الدهور أمين.

العظة الثامنة والأربعون
الإيمان الكامل بالله

١ ـ لما أراد الرب، في الإنجيل، أن يقود تلاميذه إلى الإيمان الكامل قال لهم: " الأمين في القليل أمين في الكثير، والظالم في القليل ظالم أيضاً في الكثير" (لو١٦:١٠) فما هو القليل وما هو الكثير؟

القليل هو خيرات هذا العالم، التي وعد أن يعطيها لأولئك الذين يؤمنون به: مثل الطعام واللباس وكل الأشياء الأخرى اللازمة للجسد والصحة وما أشبه ذلك. وهو يدعونا أن لا نهتم أو نقلق بخصوص هذه الأشياء، بل نثق فيه بيقين تام أنه كفء لحاجات أولئك الذين يلتجئون إليه في كل شيء.

أما الكثير فهو هبات العالم الأبدي الذي لا يفنى ولا يضمحل، التي وعد أن يعطيها لأولئك الذين يؤمنون به ويهتمون بطلبها بلا انقطاع ويسألونه لأجلها لأنه هو الذي أوصى بذلك قائلاً: " أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم" (مت٦:٣٣)، لكي بواسطة هذه الأشياء القليلة الزمنية يمكن أن يُختبر كل إنسان إن كان يؤمن بالله، لأنه وعد أن يعطى هذه الأشياء بدون أن نهتم ونقلق من جهتها، بل نهتم فقط من جهة الأمور الأبدية الآتية.

٢ ـ لذلك فإن كان له إيماناً قوياً من جهة الأشياء الزمنية فإن هذا يكشف عن إيمانه بخصوص الأمور التي لا تفنى، وكيف أنه يسعى حقاً طالباً الخيرات الأبدية، لذلك ينبغي على كل واحد من أولئك الذين يطيعون كلمة الحق، أن يختبر نفسه ويمتحنها ، أو يدع الرجال الروحانيين يعينونه على ذلك لكي يعرف إلى أي درجة قد آمن بالله وأعطى نفسه له، وهل إيمانه هذا حقيقي بحسب كلمة الله، أم أنه يعتمد على رأيه الخاص في تبرير وإيمان كاذبين، متخيلاً أن له إيمان داخل نفسه. فإن هذا هو السؤال الذي يمتحن به الإنسان نفسه:

هل هو أمين في القليل، أي في الأمور الزمنية ؟

وكيف يتم هذا الامتحان؟ هذا ما سأوضحه لكم الآن: هل تقول إنك تؤمن أنه قد أعطى لك ملكوت السموات، وأنك قد وُلدت من فوق وصرت ابناً لله، ووارثاً مع المسيح، لتملك معه إلى الأبد وتتنعم في النور الذي لا يُوصف طوال الدهور الأبدية مع الله؟

لا شك أنك ستقول " نعم فإنه لهذا السبب قد تركت العالم وسلّمت نفسي إلى الرب".

٣ ـ لذلك، افحص نفسك الآن، هل لا تزال الاهتمامات الأرضية لها تأثير عليك، وتفكر كثيراً بخصوص الطعام واللباس وغيرها من الاهتمامات المشابهة، كأنك تحصل على هذه الأشياء بقوتك الخاصة وكأنه يلزمك أن تقوم بتزويد نفسك بكل احتياجاتك بدلاً من الوصية التي أعطاها لك الرب ألاّ تهتم ولا تقلق أبداً من جهة هذه الأشياء الأرضية الفانية، التي يعطيها الله حتى للأشرار، وللوحوش والطيور، لقد أعطاك الله وصية ألاّ تهتم بهذه الأمور ولا تقلق، إذ قال: " لا تهتموا بما تأكلون أو بما تشربون أو بما تلبسون، فإن هذه كلها تطلبها الأمم" (مت٦:٢٥-٣٢). أما إن كان لا يزال عندك همّ وانشغال بهذه الأمور، ولم تثق كلّية بكلمته، فاعلم أنك لم تؤمن بعد بأنك ستنال الخيرات الأبدية التي هي ملكوت السموات بالرغم من أنك تظن أنك تؤمن، بينما أنت توجد غير أمين في الأشياء القليلة التي تفنى.

وأيضاً كما أن الجسد هو أفضل من اللباس، كذلك فإن النفس هي أفضل من الجسد (مت٦:٢٥). فهل تؤمن، إذن أن نفسك تحصل من المسيح على الشفاء من الجروح الأبدية التي لا يستطيع البشر شفاءها، أي جروح شهوات الخطية، التي لأجل شفائها جاء الرب إلينا ههنا، لكي يشفي نفوس المؤمنين ويطهرهم من دنس الخطية ونتانتها وبرصها ـ لأنه هو الشافي والطبيب الحقيقي الوحيد؟

٤ـ إنك ستقول "إنني أؤمن بكل تأكيد ـ وهذه هي ثقتي، وهذا هو رجائي " فالآن افحص وانظر إن كانت الأمراض الجسدية تجعلك تجرى إلى الأطباء الأرضيين أم لا، كما لو أن المسيح الذي تؤمن به لم يستطيع أن يشفيك ـ فأنظر كيف تخدع نفسك، لأنك تظن أنك تؤمن وأنت في الحقيقة لا تؤمن كما ينبغي. فلو إنك آمنت أن جروح النفس التي لا تُشفي وأهواء الخطية، يشفيها المسيح، لآمنت أيضاً أنه يستطيع أن يشفي أمراض الجسد المؤقتة ولكنت لجأت إليه وحده وتركت جانباً وسائل الأطباء وأدويتهم[١].

فإن الذي خلق النفس خلق الجسد أيضاً. والذي يشفي النفس غير المائتة، يستطيع أيضاً أن يشفي الجسد من أمراضة وعلله العابرة المؤقتة.

٥ ـ ولكنك بلا شك ستقول "إن الله قد أعطانا نباتات الأرض والعقاقير لأجل شفاء الجسد وقد أعد وسائل الأطباء ومعالجتهم لأجل أمراض الجسد وآلامه ورتب أن الجسد الذي من التراب يكون شفاؤه بوسائل متنوعة من نفس الأرض، وإني أوافقك على صحة هذا الكلام. ولكن انظر وانتبه، وأنت ستعرف لمن أعطى الله هذه الأشياء ولآجل من رتبها حسب رحمته العظيمة ومحبته غير المحدودة للبشر. فحينما سقط الإنسان بتعدي الوصية التي أعطيت له، صار تحت العبودية والعار وكأنه ذهب ليعمل ويكد في أحد المناجم، مطروداً من أفراح الفردوس إلى هذا العالم، وصار تحت قوة سلطان الظلمة وانحدر إلى حالة عدم الإيمان بواسطة الخطايا والشهوات، وحينئذٍ سقط تحت وطأة أمراض الجسد واضطراباته بدلاً من

حالته الأولى الخالية من الاضطراب والمرض. وبالتأكيد فإن كل الذين وُلدوا من الإنسان الأول سقطوا تحت الأمراض والاضطرابات.

٦ ـ لذلك فإن الله قد رتب هذه الأدوية والعلاجات للضعفاء وللذين لا يؤمنون، لأنه لا يريد في كثرة تحننه ومحبته أن يلاشى جنس البشر الخاطئ كلّية، بل أعطى الطب والأدوية لأهل العالم، ولكل الذين هم من خارج لأجل شفائهم وصحتهم وعلاج أجسادهم، وسمح أن تُستعمل هذه الوسائل بواسطة أولئك الذين لم يستطيعوا بعد أن يؤمنوا بالله ويثقوا به كلية مستودعين حياتهم تماماً له بالإيمان.
وأما أنت أيها الراهب، يا من أتيت إلى المسيح، وتريد أن تكون ابناً لله ومولوداً من الروح من فوق، وتنتظر المواعيد التي هي أعلا وأعظم مما أعطى للإنسان الأول، لأن كل ما كان للإنسان الأول من حالة الحرية من الاضطرابات والشهوات، قد سُرّ الله أن يعطيك أكثر منه بحضوره معك، أنت يا من صرت غريباً عن العالم. لهذا ينبغى أن يكون لك إيمان وفهم وأسلوب جديد تماماً للحياة، يتميز كلية عن أهل العالم ويتفوق عليهم.
والمجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد.أمين

---

[١] يُلاحظ أن القديس هنا يخاطب الرهبان ويعتبر اللجوء للأطباء مستوى روحى ضعيف لا يليق بهم انظر فقرة ٦ .

العظة التاسعة والأربعون
الشبع الإلهي

لا يكفي أن تتجنب لذات هذا العالم بل يلزم الحصول على غبطة الدهر الآتي.

فرح الروح بدل فرح العالم :

١ ـ حينما يترك إنسان أهله، ويترك هذا العالم، ويتغرّب عن لذّاته ويترك الممتلكات، والأب والأم، لأجل الرب، ويصلب نفسه ويصير غريباً وفقيراً ومحتاجاً، ولكنه لا يجد العزاء الإلهي في داخل نفسه بدلاً من راحة العالم وعزائه، ولا يشعر بلذة الروح في داخله بدلاً من اللّذة الزمنية العابرة، ولا يكون لابساً لثياب نور الله في الإنسان الباطن، بدلاً من تلك الثياب التي تفنى، ولا يعرف شركة العريس السماوي في نفسه، بدلاً من فرح هذا العالم الظاهر ولا يحصل على عزاء النعمة السماوي، والشبع الإلهي في النفس ـ بظهور مجد الرب ـ كما هو مكتوب[١]، وبالاختصار بدلاً من التمتع الزمني العابر، لا يحصل من الآن في داخل نفسه على التمتع غير الفاسد الذي لا يضمحل والذي تشتهيه النفس شهوة عظيمة، فإن هذا الإنسان قد صار ملحاً بلا ملوحة، بل هو أكثر بؤساً من جميع الناس لأنه حُرم من

الأشياء التي هنا، ولم يحصل على التمتع بالعطايا الإلهية التي تتم بعمل الروح القدس في الإنسان الباطن.

العبور بالروح إلى عالم آخر منذ الآن :

٢ ـ فإن الغاية التي من أجلها يصير الإنسان غريباً عن هذا العالم إنما هي أن تعبر نفسه إلى عالم آخر ودهر آخر كما يقول الرسول " إن سيرتنا هي في السموات" (في٣:٢٠) وأيضاً يقول " وإذ نسير على الأرض لكننا لسنا حسب الجسد نحارب" (٢كو١٠:٢). لذلك فإن من يرفض هذا العالم يجب أن يؤمن بكل يقين، أنه ينبغي أن يعبر بفكره منذ الآن بالروح إلى عالم آخر، وهناك تكون سيرتنا ولذتنا وتمتعنا بالخيرات الروحية، وأنه ينبغي أن يُولد من الروح في الإنسان الباطن كما قال الرب " من يؤمن بي فقد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو٥:٢٤). لأنه يوجد موت آخر غير الموت الطبيعي المنظور، وحياة أخرى غير هذه الحياة، فإن الكتاب يقول: " وأما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" (١تى٥:٦)، وأيضاً يقول الكتاب: "دع الموتى يدفنون موتاهم" (لو٩:٦٠). لأن " ليس الأموات يسبحونك يارب، بل نحن الأحياء نباركك" (مز١١٥:١٧،١٨).

دخول النفس إلى المسكن السماوي :

٣ـ لأنه كما أن الشمس عند إشراقها على الأرض تضئ عليها بكلّيتها، ولكن عندما تصير إلى الغروب تنحسر أشعتها عنها، كذلك فإن النفس التي لا تُولد من فوق من الروح، تكون على الأرض بكليتها وأفكارها مشتّتة في الأرض كلها. ولكن حينما تُحسب أهلاً للحصول على الولادة السماوية وشركة الروح، فإنها تجمع كل أفكارها معاً فتأخذهم معها وتدخل إلى الرب، إلى المسكن السماوي غير المصنوع بأيدي وتصير كل أفكارها سماوية طاهرة ومقدسة وتصعد إلى الجو السماوي الإلهي. وإذ تتحرر من سجن ظلمة رئيس هذا العالم الشرير، الذي هو روح العالم، فإن النفس تجد أفكاراً طاهرة إلهية، لأن الله قد سُرّ بأن يجعل الإنسان شريكاً في الطبيعة الإلهية (٢بط١:٤).

ستجد فرحاً عظيماً :

٤ ـ لذلك فإذا كنت تعتزل كل الأمور المختصة بهذا العالم وتواظب على الصلاة، فإنك ستجد راحة كبيرة في هذا العمل. بل ستجد فرحاً عظيماً في الشدة القليلة والألم وستنتعش انتعاشاً عظيماً. فإنه إن كنت تنفق نفسك وجسدك ساعة بساعة طوال حياتك لأجل هذه الخيرات العظيمة فماذا تكون النتيجة؟.. آه، يا لِعظم تحنّن الله الذي يفوق الوصف، فإنه يعطى نفسه مجاناً لأولئك الذين يؤمنون به حتى

أنهم في وقت قليل يرثون الله، ويسكن الله في الإنسان ويتخذ من الإنسان منزلاً حسناً له! وكما أن الله خلق السماء والأرض ليسكن الإنسان فيهما، كذلك فإنه خلق جسد الإنسان ونفسه ليكونا منزلاً له، لكي يسكن ويستريح في جسد الإنسان كما في منزله الخاص، ويتخذ من النفس الحبيبة عروساً جميلة له مخلوقة على صورته. لأن الرسول يقول: "خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كو١١:٢). وأيضاً " وبيته نحن" (عب٣:٦).

الله يخزن كنوز الروح في نفسك وجسدك :

فكما أن رب البيت يخزّن باجتهاد كل أنواع الخيرات في بيته، هكذا الرب أيضاً في بيته الذي هو نفسك وجسدك، فإنه يضع كنوز الروح السماوية ويخزنها في هذا البيت.

إن الحكماء بحكمتهم، والفطناء بفطنتهم لم يستطيعوا أن يدركوا لطافة النفس " أو أن يتكلموا عنها كما هي، وإنما يدرك لطافتها فقط أولئك الذين يُعطى لهم هذا الإدراك بالروح القدس. ولهم تُعطى المعرفة الصحيحة عن النفس إذ أن الروح يعلنها لهم.

الرب والنفس :

فانظر هنا نظرة جادة لكي تفهم وتتعلّم. أنصت الآن :
فإنه هو إله، أما النفس فليست إلهاً.
إنه هو رب، وهى عبدة.
هو خالق، وهى مخلوقة .
هو صانع، وهى صنعة يديه.
وليس هناك شيء مشترك بين طبيعة الله وطبيعة النفس. ولكن بواسطة محبته ورأفته التي لا تحد والتي تفوق الوصف والإدراك، سُرّ الله أن يسكن في هذا المخلوق العاقل، في صنعة يديه، الثمينة والعجيبة، كما يقول الكتاب " لكي نكون باكورة من خلائقه" (يع١:١٨). لنكون نحن حكمته وشركته، ومسكنه الخاص، وعروسه الطاهرة.

لنعط أنفسنا لإرضاء الرب :

٥ ـ فحينما تُوضع أمامنا هذه الأشياء الصالحة، وهذه المواعيد التي وعدنا بها الرب، وتتضح مسرة صلاحه من نحونا، فلا نهمل يا أبنائي ولا نتأخر أو نتباطأ في السعي للحياة الأبدية، بل نعطى أنفسنا تماماً لإرضاء الرب، مخصصين ذواتنا له كلية.

فلنتوسل، إذن للرب أن ينقذنا بقوة لاهوته من سجن ظلمة شهوات الخزي، وأن يجعل صورته وصنعة يديه تضئ ببهاء، وأن يجعل النفس صحيحة ونقيّة، وهكذا نُحسب أهلاً لشركة الروح، ممجدين الآب والابن والروح القدس إلى الأبد.أمين

[١] هنا يشير القديس مقاريوس إلى مز١٧:١٥ في الترجمة السبعينية حيث نص الآية هكذا "سأمتلئ حتى الشبع بظهور مجدك "

العظة الخمسون
صانع العجائب

الله هو صانع العجائب بواسطة قديسيه.

قوة الله في إيليا :

١ ـ من هو ذاك الذي أغلق أبواب السماء؟ هل هو إيليا أم أن الله الذي فيه، هو الذي أمر المطر ألاّ ينزل؟ إني أؤمن أن ذاك الذي له السلطان على السموات، كان هو نفسه جالساً في عقل إيليا، وأن كلمة الله أمر المطر أن ينزل على الأرض بواسطة لسان إيليا، فنزل المطر.

عمل الله في موسى :

وكذلك موسى أيضاً فإنه ألقى بالعصا على الأرض فصارت حية، ثم تكلم مرة أخرى فعادت وصارت عصا. وأخذ موسى رماداً من الأتون ونثره نحو السماء فصار دمامل أصابت الناس وفي البهائم. وأيضاً مد عصاه فصار البعوض والضفادع على أرض مصر (خر٨:٥و١٧). فهل تستطيع الطبيعة البشرية أن تصنع هذه الأمور؟ .. لقد مد موسى أيضاً يده على البحر فشقّه، وكذلك رفع عصاه على النهر فتحولت مياهه إلى دم. فالواضح أن قوة سماوية كانت ساكنة في قلب موسى وعقله وكانت هذه القوة تعمل هذه الآيات بواسطة موسى.

قوة الله في ضعف داود :

٢ ـ وكيف استطاع داود أن يقاتل الجبّار دون أن يكون متسلحاً؟ فإن يد الله هي التي قادت الحجر بواسطة يد داود حينما رماه على الفلسطيني.. وأن قوة الله هي التي قتلت الجبار وانتصرت عليه، فما كان داود ليستطيع أن يفعل ذلك من ذاته إذ كان ضعيفاً جداً في الجسد (١صم١٧:٤٩ـ٥١).

سقوط أسوار أريحا :

وحينما جاء يشوع بن نون إلى أريحا وحاصرها سبعة أيام، لم يستطع أن يفعل شيئاً بطبيعته، ولكن حينما صدر أمر الله فإن الأسوار سقطت من نفسها.. ومن هو الذي أمر الشمس أن تقف لمدة ساعتين بينما كانت المعركة حامية الوطيس؟ هل هي طبيعة يشوع أم القوة الإلهية التي كانت معه؟

القتال مع عماليق :

ولما دخل يشوع في قتال مع عماليق، كان إذا رفع موسى يديه نحو السماء إلى الله، أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يديه أن عماليق يغلب.

حينما ترفع أفكارك إلى السماء :

٣ ـ ولكن حينما تسمع عن هذه الأمور فلا تدع عقلك يذهب بعيداً، بل حيث إنها كانت رمزاً وظلاً للحقيقة فطبقها إذن على نفسك. فإنك حينما ترفع يدى عقلك وأفكارك نحو السماء وتضع في قصدك أن تلتصق بالرب وتتحد به فإن الشيطان يسقط تحت أفكارك .

وكما سقطت أسوار أريحا بقوة الله، كذلك الآن بقوة الله تتحطم مدن الشيطان وأسوار الشر التي تحارب عقلك ويسقط أعداؤك أيضاً.

عمل الروح في الأبرار والأنبياء :

لقد كانت قوة الله في القديم حاضرة مع الأبرار بلا انقطاع، وكانت تعمل عجائب منظورة. وكانت النعمة الإلهية تعمل أيضاً في الأنبياء، وكان الروح يعمل في نفوسهم للتنبؤ والتكلّم حينما كانت تدعو الحاجة أن يخبروا العالم بأحداث عظيمة. لأن الأنبياء لم يكونوا يتكلمون في كل وقت، بل حينما يشاء الروح الذي فيهم فقط. إلاّ أن القوة الإلهية كانت معهم دائماً.

انسكاب الروح في العهد الجديد :

٤ ـ فإن كان الروح القدس قد انسكب بهذا المقدار في ذلك العهد الذي هو ظلّ لعهد النعمة، كم بالحري ينسكب في العهد الجديد، عهد الصليب ومجيء المسيح، الذي فيه حدث انسكاب الروح والامتلاء به. كما هو مكتوب " إنى أسكب من روحى على كل بشر" (أع٢:١٧). وهذا هو المعنى الذي قصده الرب نفسه حينما قال " وها أنا معكم إلى انقضاء الدهر" (مت٢٨:٢٠). " لأن كل من يطلب يجد" (مت٧:٨). وأيضاً " إن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا

جيدة فكم بالحري الآب السماوي يعطى الروح القدس للذين يسألونه" (لو١١:١٣). " بقوة وبيقين شديد " كما يقول الرسول (١تس١:٥).

الحصول على قوة الروح :

إن هذه الأشياء نحصل عليها بالتدريج، وتحتاج منا إلى وقت، وتعب وصبر ومحبة كثيرة وشوق كبير نحو الرب. وهكذا فإن "حواس النفس"، " تتدرب" كما يقول الكتاب (عب٥:١٤). بواسطة الخير والشر، أي من خلال حيل العدو ومؤامراته وخداعاته من ناحية، ومن الناحية الأخرى بواسطة المواهب والمعونات المتنوعة التي تعطى بعمل الروح القدس وقوته. وإن الذي يواجه خداع الخطية، الذي يلوث الإنسان الباطن بواسطة الشهوات، ولا يتعرف في داخل نفسه على معونة الروح القدس "روح الحق"، الذي يقوّيه ويعين ضعفه، ويجدّد نفسه بفرح القلب، مثل هذا الإنسان يسير في طريقه بدون تمييز، إذ لم يكتشف بعد تدبيرات النعمة المتنوعة، وسلام الله العميق.

هل وجدت الكنز ؟

ومن الناحية الأخرى فإن الذي ينال معونة الرب، ويحصل على الفرح الروحاني ومواهب النعمة السماوية، مثل هذا الإنسان إن كان يتصور أنه لم يعد معرضاً بالمرة لأذى الخطية، فإنه ينخدع دون أن يدرى، إذ أنه لا يميز خبث الخطية ولا يدركه، ولا يعرف أن النمو إنما يتم بالتدريج من الطفولة حتى النضوج والكمال في المسيح. لأن الإيمان يزداد وينمو بواسطة عمل الروح القدس الإلهى، وتبعاً لذلك تتحطم تدريجياً حصون الأفكار الشريرة إلى أن تنهدم كلّية (٢كو١٠:٤).
لذلك ينبغي على كل واحد منا أن يفتش ويعرف، هل هو قد وجد " الكنز في هذا الإناء الخزفي" (٢كو٤:٧)، وهل قد اكتسى بأرجوان الروح، وهل قد رأى الملك ووجد راحته في الداخل بالقرب منه، أم أنه لا يزال يعيش في الدار الخارجية؟
إن النفس لها أجزاء كثيرة، ولها عمق عظيم، فعندما دخلت الخطية إلى الداخل امتكلت كل أجزاء النفس وكل مراعى القلب.

النعمة تملك جزئياً وبالتدريج :

ولذلك حينما يسعى الإنسان ويطلب، فإن النعمة تأتى إليه، وتبدأ في أن تملك عليه، ولكنها قد تملك ربما على جزء أو اثنين من أجزاء النفس. وبعد أن تبدأ النعمة عملها فإن الإنسان غير المختبر حينما يحصل على تعزية بالنعمة، يتخيل أن النعمة قد امتلكت كل أجزاء نفسه وأن الخطية قد استؤصلت منه تماماً. مع أن القسم الأكبر من النفس لا يزال تحت سلطان الخطية وليس سوى جزء واحد فقط تحت سلطان النعمة، وهكذا فإنه ينخدع دون أن يدرى.

ويمكننا أن نتحدث كثيراً إليكم بخصوص هذه الأمور بحسب استعدادكم وإخلاصكم، ولكننا أعطيناكم نقطة بداية، تستطيعون كأناس ذوى حكمة وفهم أن تتأملوا في هذه الكلمات وتفحصوا قوتها وتصيروا أكثر فهماً وحكمة في الرب. وتزدادوا في بساطة القلب، في النعمة وفي قوة الحق، وهكذا إذ تتمسكون بخلاصكم بكل يقين، وتتحررون من كل محاربات الشرير وخداعات العدو، فإنكم تُحسبون أهلاً لأن توجدوا بلا عثرة، ولا دينونة في يوم ربنا يسوع، الذي له المجد إلى الأبد ، أمين.

بشفاعة أبينا القديس الانبا مكاريوس ايها الرب يسوع المسيح ألهنا ارحمنا

أمين

www.answer-me-muslims.com